

# الإمام موسى الكاظم عليه السلام سيد بغداد وحاميتها وشفيعها

قال الإمام الرضا عليه السلام: «فإن أهل بيتك يدفع عنهم بك ، كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام» (رجال الطوسي: ٢/ ٨٥٨ ، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ٨/ ٢٨٣)

بقلم  
علي بن محمد الخليلي

الطبعة الأولى ١٤٣١ - ٢٠١٠





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام  
على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد ، فقد اشتهرت بغداد بأنها عاصمة دولة الخلافة الإسلامية في أزهى  
عصورها ، يوم كانت أقوى وأرقى دول العالم .

كما اشتهرت بمدنيتها وثقافتها ، ومدارسها الفكرية والمذهبية ، وكثرة من نبغ  
فيها وحل فيها ، من العلماء والأدباء .

واشتهرت بمبانيها ومؤسساتها ، من دور وقصور ، ومكتبات ومستشفيات ،  
وجامعات ومدارس ، ومساجد وتكايا .

واشتهرت بغداد بمباهج الحياة فيها ، التي جعلتها مطمح الراغبين في حياة  
الرفاه والترف ، واللهو والمجون .

كما اشتهرت بشخصياتها التي برزت فيها فطبتها ببصماتها ، أو طبعتها بغداد  
بطابعها . ولم تقتصر الشهرة على شخصيات الخلفاء والوزراء والسياسيين ،  
فهؤلاء استولى سلطانهم على الأبدان والأبشار ، ويقابلهم شخصيات الأولياء  
الذين استولى سلطانهم على الأرواح والقلوب ، وكان في طليعتهم الإمام موسى

بن جعفر الكاظم عليه السلام ، الذي قضى في بغداد بضع سنوات ، بين الإقامة الجبرية في أحد أحيائها ، والسجن الخاص في سجونها .

ولهذا السبب كان البغدادي يدين بالولاء الظاهر للسلطة ، لكن ولاءه الواقعي للأولياء ، وفي طليعتهم أهل البيت عليه السلام .

وقد اعترف هارون الرشيد بهذه الحقيقة فقال لابنه المأمون : « أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً ! والله لو نازعتني هذا الأمر لأنخذت الذي فيه عينك ، فإن الملك عقيم » ! ( الإحتجاج : ٢ / ١٦٥ ) .

كما اعترف بهذه الحقيقة أبو نواس الذي هو رمز حياة اللهو والمجون ، بأمثال قوله :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء . وداوني بالتي كانت هي الداء ! ( شرح النهج : ١٦ / ١٠١ ) .

ألا اسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر ! ( الطبري : ٧ / ١٠٩ )

وهو في نفس الوقت الذي في أهل البيت عليه السلام كما في الطبري : ٧ / ١٠٩ :

« مطهرون نقيات ثيابهم      تجري الصلاة أينما ذكروا  
من لم يكن علوباً حين تنسبه      فما له في قديم الدهر مفتخر  
فأنتم المال الأعلى وعندكم      صفاكم واصطفاكم أيها البشر  
« مطهرون نقيات ثيابهم      علم الكتاب وما جاءت به السور

بل جمع أبو نواس بين لهو بغداد وولاء الأولياء في قوله ، كما في المناقب : ٢ / ٣٠٦ :

« ومدامة من خمر حانة قرقف      صفراء ذات تلهب وتشعشع  
رقت كدين الناصبي ، وقد صفت      كصفا الولي الخاشع المتشع  
باكرتها وجعلت أنشق ريحها      وأمص درتها كدرة مرضع

في فتيحة رفضوا العتيق ونعتلاً وعنوا بأروع في العلوم مُشَفِّع  
وتيقنوا أن ليس ينفع في غدٍ غيرُ البطين الهاشمي الأنزع .

فالبغدادى الماجن كالمؤمن ، يخضع للسلطة الظاهرية ، لكنه لا يعطي السلطان  
على قلبه إلا لأولياء الله تعالى ، ومن هنا كان لمشهد الإمام الكاظم عليه السلام قداسةً  
أجمع عليها البغداديون على اختلاف مذاهبهم ، بل على اختلاف أديانهم !

وبذلك كان إسم سيد بغداد إسماً طبيعياً للإمام الكاظم عليه السلام تؤيده الحقائق  
الكبيرة والنصوص الكثيرة ، التي تجدها في هذا البحث موثقة من أصح المصادر .

أما وصفه بأنه حامي بغداد وشفيعها ، فقد أخذناه من حديث لولده الإمام  
الرضا عليه السلام يقول فيه إن الله تعالى يدفع البلاء عن أهل بغداد ببركة قبر أبيه الإمام  
موسى الكاظم عليه السلام .

وقد بيَّنا في فصول الكتاب أن ولاء البغداديين لأهل البيت عليهم السلام لم يبدأ بالإمام  
الكاظم عليه السلام لكنه تتَّوَّج به ، وأثبتنا عراقية وجود الشيعة في الكرخ وضواحي  
بغداد ، قبل تأسيسها كمدينة وعاصمة ، بأكثر من قرن .

ثم بحثنا في الفصل الثاني الروايات الواردة في مصادر الطرفين عن مستقبل  
بغداد ، التي تزعم أن جيش السفياي السوري يدمرها ، وبيننا أنها موضوعة !

ثم سلطنا الضوء على تأسيس بغداد في القرن الثاني ، وشخصية مؤسسها  
المنصور العباسي ، ثم على شخصيات أولاده الخلفاء الذين عاصروا الإمام  
الكاظم عليه السلام ، وكل خلفاء بني العباس من أولاد المنصور .



وطبيعي أن لا يكون بحثنا لهؤلاء الخلفاء من زاوية إنجازاتهم وإيجابياتهم ، بل من الوجه الآخر وهو زاوية صراع الملوك التاريخي مع الأئمة الربانيين ، لأنهم يرون فيهم خطراً على ملكهم ، ويحسدونهم لمودة الناس لهم وعقيدتهم فيهم .

لذلك عقدنا بضعة عشر فصلاً ، تناولنا فيها شخصية المنصور العباسي ، ثم ابنه المهدي ، ثم ابنه موسى الهادي ، من زاوية خلافهم مع أئمة أهل البيت عليهم السلام .

وقد استوجب الموضوع أن نفصل البحث في شخصية هارون الرشيد وأهم وزرائه ، وأسباب عداؤه للإمام الكاظم عليه السلام ، الى أن أقدم على قتله .

وفي المقابل كشفنا معالم شخصية الإمام الكاظم عليه السلام الذي أعجب به أعداؤه قبل أجبائه ، وتعلقت به قلوبهم ، لأنه من منظومة الإمامة الربانية ، الذين استجاب الله فيهم دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام : **فَجَعَلَ أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .**

رزقنا الله وجميع المسلمين شفاعة جدهم عليه السلام وشفاعتهم عليهم السلام ، ووقفنا لزيارتهم .

كتبه : علي الكوراني العاملي

في الثاني عشر من محرم الحرام ١٤٣١

## عراق الشيعية في بغداد

### ١ . مسجد براثا قبل بغداد بأكثر من قرن !

قال الحموي في معجم البلدان : ١ / ٣٦٢ : « براثا : بالشاء المثناة والقصر : محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محول ، وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة » .

وفي أمالي الطوسي / ١٩٩ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس : إنها الزوراء فسيروا وجنّبوا عنها ، فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة ، فلما أتى موضعاً من أرضها قال : ما هذه الأرض ؟ قيل أرض بحرا ، فقال : أرض سباح ، جنبوا ويمّنوا . فلما أتى يمنة السواد فإذا هو براهب في صومعة له فقال له : يا راهب ، أنزل هاهنا ؟ فقال له الراهب : لا تنزل هذه الأرض بجيشك . قال : ولم ؟ قال : لأنه لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل الله ، هكذا نجد في كتبنا . فقال له أمير المؤمنين : فأنا وصي سيد الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسيد الأوصياء . فقال له الراهب : فأنت إذن أصلع قريش ووصي محمد ؟ قال له أمير المؤمنين : أنا ذلك .

فنزل الراهب إليه فقال : خذ عليّ شرائع الإسلام ، إني وجدت في الإنجيل نعتك ، وأنتك تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام !

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قف ولا تخبرنا بشيء ، ثم أتى موضعاً فقال : إلكزوا

هذه ، فلكزه برجله عليه السلام فانجست عين حرارة ، فقال : هذه عين مريم التي انبعثت لها ! ثم قال : إكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً ، فكشف فإذا بصخرة بيضاء فقال علي عليه السلام : على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت هاهنا ؟

فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلى إليها ، وأقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة ، وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة (مسافة قريبة) ثم قال : أرض براثا ، هذا بيت مريم عليها السلام هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء عليهم السلام !

وفي من لا يحضره الفقيه : ٢٣٢ / ١ : « وأما مسجد براثا ببغداد ، فصلى فيه أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من قتال أهل النهروان » .

وفي تهذيب الأحكام : ٢٦٤ / ٣ ، أن الراهب قال : « إنما بنيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع وهو براثا ، قرأت في الكتب المنزلة أنه لا يصلي في هذا الموضع بهذا الجمع إلا نبي أو وصي نبي ، وقد جئت أن أسلم ، فأسلم فخرج معنا إلى الكوفة فقال له علي عليه السلام : فمن صلى هاهنا ؟ قال : صلى عيسى بن مريم وأمه . فقال له علي عليه السلام : أفأفئك من صلى هاهنا ؟ قال : نعم قال : الخليل عليه السلام » .

وفي مناقب آل أبي طالب : ١٠٠ / ٢ : « قال أمير المؤمنين : فاجلس يا حباب ، قال : وهذه دلالة أخرى ، ثم قال : فانزل يا حباب من هذه الصومعة وابن هذا الدير مسجداً ، فبنى حباب الدير مسجداً ، ولحق أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة ، فلم يزل بها مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين عليه السلام فعاد حباب إلى مسجده براثا .

وفي رواية أن الراهب قال : قرأت أنه يصلي في هذا الموضع إيليا ، وصي البارقليطا محمد نبي الأميين ، الخاتم لمن سبقه من أنبياء الله ورسله عليهم السلام ، في كلام



كثير ، فمن أدركه فليتبع النور الذي جاء به . » .

وفي عيون المعجزات / ٢ : « لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان أخذ على النهروانات وأعمال العراق ، ولم يكن يومئذ بنيت بغداد . الخ . » .

وفي اليقين لابن طاووس / ٤٢١ : « فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : وأين تأوي ؟ فقال : أكون في قلاية ( صومعة ) لي هاهنا . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : بعد يومك هذا لا تسكن فيها ، ولكن ابن هاهنا مسجداً وسمه باسم بانيه فبناه رجل اسمه براثا ، فسمي المسجد براثا باسم الباني له . ثم قال : ومن أين تشرب يا حباب ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، من دجلة هاهنا . قال : فلم لا تحفر هاهنا عيناً أو بئراً ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلما حفرنا بئراً وجدناها مالحة غير عذبة ! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إحفر هاهنا بئراً فحفر فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها . فقلعها أمير المؤمنين فانقلعت عن عين أحلى من الشهد وألذ من الزبد ، فقال له : يا حباب ، يكون شريك من هذه العين . أما إنه يا حباب ستبني إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء . » .

أقول : دل هذا الحديث وغيره على أن إبراهيم عليه السلام صلى في موضع براثا ، واشترى أرض كربلاء وسمها كربلاء . وعلى أن مريم عليها السلام عاشت سنوات من تشريدها مع ابنها عيسى عليه السلام في العراق ، ويفهم من روايات سيرتها عليها السلام أن اليهود والرومان ضايقوها فاضطرت إلى الهجرة وبقيت مع ابنها في الشام ومصر والعراق نحو ثلاثين سنة ، ثم أمر الله عيسى عليه السلام فرجع إلى القدس ودعا الناس حتى حاولوا قتله فرفعه الله تعالى .

## ٢ . مقبرة براثا

في كامل الزيارات / ٥٤٦ ، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « إن إلى جانبكم مقبرة يقال لها : براثا ، يحشر منها عشرون ومائة ألف شهيد كشهداء بدر » .

وفي تاريخ بغداد : ١ / ١٣٤ : « وبنواحي الكرخ مقابر عدة ، منها مقبرة باب الكناس مما يلي براثا ، دفن فيها جماعة من كبراء أصحاب الحديث » .

## ٣ . كان سكان الكرخ شيعة قبل تأسيس بغداد

كانت الكرخ قرية عامرة قبل تأسيس بغداد وكان فيها شيعة ، ففي بصائر الدرجات / ٣٥٥ ، أن الإمام الصادق عليه السلام سأل إبراهيم الكرخي : « يا إبراهيم أين تنزل من الكرخ ؟ قلت : في موضع يقال له شادروان ، قال فقال لي : تعرف قَطْفَتَا ؟ قال : إن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتى أهل النهروان نزل قطفتا ، فاجتمع إليه أهل بادرويا ، فشكوا إليه ثقل خراجهم وكلموه بالنبطية ، وأن لهم جيراناً أوسع أرضاً وأقل خراجاً ، فأجابهم بالنبطية : ( وغرظنا من عوديا ) قال فمعناه : رب رجز صغير خير من رجز كبير » . ومعنى الرجز هنا السهم من الأرض .

وتدل النصوص على أن قطفتا وبادرويا وشادروان والكرخ ، كانت قرى كبيرة عامرة ، وعبر عن بعضها بمدينة . وترجمت المصادر الرجالية لعدد من الكرخيين في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام غير إبراهيم المذكور ، وفيهم علماء مؤلفون .

وفي الكافي : ٥ / ١٤١ ، ٢٦٨ ، عن إبراهيم الكرخي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل تكون له الضيعة الكبيرة فإذا كان يوم المهرجان أو النيروز أهدوا إليه

الشيء ليس هو عليهم يتقربون بذلك إليه ... قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أشارك العليج فيكون من عندي الأرض والبذر والبقر ويكون على العليج القيام والسقي والعمل في الزرع حتى يصير حنطة وشعيراً وتكون القسمة ، فيأخذ السلطان حقه ويبقى ما بقي على أن للعلج منه الثلث ولي الباقي ، قال : لا بأس بذلك » .

وذكر في الكافي : ٣ / ٥٢٩ ، خالد بن الحجاج الكرخي ، روى عن الصادق عليه السلام .

وقال الحموي في معجم البلدان : ٤ / ٤٤٨ : « والأشعار في الكرخ كثيرة جداً ، وكانت الكرخ أولاً في وسط بغداد والمحال حولها ، فأما الآن فهي محلة وحدها مفردة في وسط الخراب وحولها محال .. وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية ، لا يوجد فيهم سني البتة » .

#### ٤ . معروف الكرخي ليس من كرخ بغداد

قال الحموي في معجم البلدان : ٤ / ٤٤٩ : « كرخ جُدان : بضم الجيم ، وسمعت بعضهم يفتحها والضم أشهر والبدال مشددة وآخره نون . زعم بعض أهل الحديث أن كرخ باجدا وكرخ جدان واحد ، وليس بصحيح ، فأما باجدا فهو كرخ سامرا ، وأما كرخ جدان فإنه بليدة في آخر ولاية العراق يُنَاح خانقين عن بعد ، وهو الحد بين ولاية شَهْرزور والعراق ، وإلى هذا الكرخ ينسب الشيخ معروف الكرخي بن الفيرزان أبو محفوظ ، وأخوه عيسى بن الفيرزان » .

وفي الأنساب للسمعاني : ٥ / ٥٠ : « هذه النسبة إلى عدة مواضع اسمها الكرخ ... ومنها إلى كرخ باجدا ، قرية بنوحي العراق منها معروف بن الفيرزان الكرخي

أبو محفوظ ، المشتهر . وأخوه عيسى بن الفيرزان الكرخي ، حكى عن أخيه معروف ... حدثني عنه أبو العلاء الحافظ بأصبهان قال : سمعت خلفاً الكرخي الجهمز يقول : نحن من كرخ باجدا ، منها معروف الكرخي ، وبيته معروف يزار إلى اليوم ... وكان أحد المجتهدين المشهورين بالزهد والعزوف عن الدنيا ، يغشاه الصالحون ويتبرك بلقائه العارفون . وكان يوصف بأنه مجاب الدعوة ، ويحكى عنه كرامات .. ومات في سنة مائتين » .

### ٥ . من تاريخ مظالم الشيعة في بغداد

تكاثر الشيعة في بغداد ولم تمنعهم عداوة المنصور العباسي من ذلك ، وعمرت بغداد بسرعة وسكنها علماء وشخصيات ، وكان ثقل الشيعة في الكرخ التي اتسعت وصارت محلة كبيرة من بغداد حتى اتصلت ببراثا ، وصار مسجد براثا مركزاً علمياً وعبادياً واجتماعياً للشيعة ، ومُعَلِّماً من معالم بغداد .

ولم تسلم براثا من حملات المتعصبين فكان فيها وفي الكرخ أحداث ، رواها المؤرخون .

قال السيد محمد الكثيري في كتابه : السلفية بين أهل السنة والإمامية / ٦١٩ ، ما خلاصته : « يقول ابن كثير في حوادث سنة ٣٥٤ : ثم تسلطت أهل السنة (الحنابلة) على الروافض فكبسوا مسجدهم براثا الذي هو عش الروافض ، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة ! وفيها أحرق الكرخ ببغداد فألقي في دورهم النار فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال ، من ذلك ثلاث مائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً ، وسبعة عشر ألف إنسان ! وعند ابن خلدون عشرون ألف إنسان !

أنظر لهذه الهمجية اللانسانية واللا دينية !

مثال آخر لإهدار الدم الشيعة المسلم : فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٦٣ :  
ثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لأنه كان يتسنن ، فخلع عليهم  
وجعل لهم العرفاء والقواد ، فثاروا بالشيعة ، وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء  
وأحرقت الكرخ حريقاً ثانياً ، وظهرت السنة عليهم .

ويقول ابن كثير في حوادث سنة ٣٧٥ : فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء  
على عادة الروافض ، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة ( الحنابلة )  
والرافضة ، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه بعيد عن السداد . وذلك أن  
جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة ، وتسمى بعضهم بطلحة  
وبعضهم بالزبير وقالوا : نقاتل أصحاب علي ! فقتل من الفريقين خلق كثير !

وفي سنة ٣٨٩ : أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدیر  
خم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين  
إلى السنة فادعوا أنه في مثل هذا اليوم حصر النبي (ص) وأبو بكر في الغار .

وفي هذا السياق نفسه يقول ابن كثير في حوادث سنة ٣٨٩ : ولما كانت الشيعة  
يصنعون في يوم عاشوراء مأتماً يظهر فيه الحزن على الحسين بن علي ، قابلتهم  
طائفة أخرى من جهلة السنة فادعوا إن في اليوم الثاني عشر من المحرم قتل  
مصعب بن الزبير ، فعملوا له مأتماً كما تعمل الشيعة للحسين !

إن النصوص التاريخية التي وصفت الفتن لا تترك مجالاً لأي قارئ أو باحث ،  
أن يشك في أن الحنابلة كانوا هم السابقين دائماً لإثارة الفتن والتهجم على الشيعة

يراقبونهم ويتتبعون جميع تصرفاتهم وعبادتهم ! فأى فعل أو قول يخالف المذهب الحشوي يعني الإبتداع والكفر ، ومن ثم المحجوم فالقتل « ! انتهى .

ومما يؤيد كلام الكثيري أن فتنة الحنابلة المجسمة كانت مع غير الشيعة أيضاً كالطبري الفقيه المؤرخ ، فقد هاجموا داره ورجموه ، ولما مات منعوا دفنه في مقابر المسلمين ، ( معجم الأدباء : ٩ / ٥٧ ) . كما أخرجوا ابن حبان من سجستان لأنه أنكر أن يكون الله تعالى محدوداً ! قال السبكي : من أحق بالإخراج : مَنْ يجعل ربه محدوداً أو من ينزهه عن الجسمية؟! « ( المروحين لابن حبان ، والعقائد الإسلامية : ٢ / ٢٦٥ ) .

وهاجموا أئمة المذاهب في المدرسة النظامية ، قال ابن كثير في النهاية ( ١٢ / ١٤٣ ) : « ثم دخلت سنة سبعين وأربع مائة ... وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية ، وحمي لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً ، وجرح آخرون !

وفي النجوم الزاهرة : ٥ / ٥٩ : « سنة ثمان وأربعين وأربع مائة . أقيم الأذان في مشهد موسى بن جعفر ومسجد الكرخ ، بالصلاة خير من النوم ، على رغم أنف الشيعة ! وأزيل ما كانوا يقولونه في الأذان من حي على خير العمل » .

وفي تاريخ الذهبي : ٣٠ / ٩ : « سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة ، فلما كان في ربيع الآخر خطب ( وزير الخليفة ) بجامع براثا مأوى الشيعة ، وأسقط من الأذان حي على خير العمل ، ودق الخطيب المنبر بالسيف ، وذكر في خطبته العباس » .

هذا ، وقد وصف ابن كثير سيطرة السلاجقة على بغداد ، وفرضهم مذهبهم ،

ومصادرهم الحريّة المذهبية التي كانت زمن الدولة البويهية الشيعية ! فقال في النهاية : ١٢ / ٨٦ : « وفيها أُلزِمَ الروافض بترك الأذان بحى على خير العمل ، وأمروا أن ينادي مؤذّنهم في أذان الصبح بعد حى على الفلاح : الصلاة خير من النوم مرتين ، وأزيل ما كان على أبواب مساجدهم من كتابة : محمد وعلي خير البشر ، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ينشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة ! وذلك أن نَوَّءَ الرافضة اضمحل لأن بني بُويّة كانوا حكماً وكانوا يقوونهم وينصرونهم ، فزالوا وبادوا وذهبت دولتهم وجاء بعدهم قوم آخرون من الأتراك السلجوقية الذين يجون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم ، والله المحمود أبداً على طول المدى . وأمر رئيس الرؤساء السوالي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض ، لما كان يتظاهر به من الرفض والغلو فيه ، فقتل على باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره » ! انتهى .

وهكذا يحمدون الله على توفيقهم لظلم الناس ، وإكراههم على الأذان والعبادة على مذهبهم ، ويفتخرون بقتل أحد علماء الشيعة وصلبه على باب دكانه ، واضطرار مرجع الشيعة الى الهرب من بغداد الى النجف ! وقد تأسفوا لأنهم لم يستطيعوا قتله ، لكنهم نهبوا داره ومكتبته !

وفي مقابل هذا القمع الحنبلي لم يسجل الرواة أن الشيعة أجبروا أحداً على صلاتهم ومذهبهم ، أو قتلوا علماء السنة عندما كانت لهم كلمة ، كما في دولة البويهيين ، ودولة الخليفة الناصر العباسي الشيعي ، ودولة السلاطين المغول الشيعة ، بل احترموا علماء المذاهب وعامتهم ! وبهذا صح قول ابن الصفي :

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح .

## ٦ . من العوائل الشيعية في بغداد

آل يقطين : في رجال النجاشي / ٢٧٣ : « علي بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكنها وهو كوفي الأصل ، مولى بني أسد ، أبو الحسن ، وكان أبوه يقطين بن موسى داعية ( للعباسيين ) طلبه مروان ( الحمار ) فهرب . وولد علي بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة ، وكانت أمه هربت به وبأخيه عبيد إلى المدينة حتى ظهرت الدولة رجعت . مات سنة اثنتين وثمانين ومائة في أيام موسى بن جعفر عليه السلام » .

وفي فهرست ابن النديم / ٢٧٩ : « وهربت أم علي به وبأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم علي بعلي وعبيد . فلم يزل يقطين في خدمة أبي العباس وأبي جعفر ( المنصور ) ومع ذلك يرى رأي آل أبي طالب ويقول بإمامتهم ، وكذلك ولده . وكان يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد بن علي والألطف ، وتمَّ خبره إلى المنصور والمهدي فصرف الله عنهم كيدهما . وتوفي علي بن يقطين بمدينة السلام سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وسنة سبع وخمسون سنة ، وصلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد . وتوفي أبوه بعده في سنة خمس وثمانين ومائة . ولعلي بن يقطين ، كتاب ما سئل عنه الصادق من أمور الملاحم . كتاب مناظرته للشاك بحضرة جعفر » .

وفي ذيل تاريخ بغداد : ٤ / ٢٠٢ : « وكانت له وصلة بعيال جعفر بن محمد الصادق ، فأنت منزله بابنيها ، فاستدنى جعفر علياً وأقعدده على حجره ومسح على رأسه . فلما ظهر بنو العباس ظهر يقطين وعادت أم علي بعلي وعبيد ... ولما نقل المهدي إلى الرصافة صُيِّر في حجر يقطين ، فنشأ المهدي وعلي بن يقطين كأنهما أخوان ،



فلما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي بن يقطين وقدمه ، وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم ، فلم يزل في يده حتى توفي المهدي وأفضى الأمر إلى الهادي ، فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحداً من أمره ، إلى أن توفي الهادي وصار الأمر إلى الرشيد فأقره شهراً ، ثم صرفه بيحيى بن خالد البرمكي .

وقال العلامة في الخلاصة / ١٧٤ : « علي بن يقطين بن موسى البغدادي ، سكن بغداد وهو كوفي الأصل ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام حديثاً واحداً ، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثر ، وكان ثقة جليل القدر ، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن عليه السلام ، عظيم المكان في هذه الطائفة . قال أبو عمرو الكشي : علي بن يقطين مولى بني أسد وكان يبيع الأبخار وهي التوابل ، ومات في زمن أبي الحسن موسى وأبو الحسن عليه السلام محبوس سنة ثمانين ومائة ... عن داود الرقي قال : دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم النحر فقال مبتدئاً : ما عرض في قلبي أحد وأنا في الموقف إلا علي بن يقطين ، فإنه ما زال معي وما فارقتني حتى أفضت ! »

وقال السيد الخوئي في المعجم : ١٣ / ٢٤٢ ، ملخصاً : « علي بن يقطين عليه السلام ثقة جليل القدر ، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن موسى عليه السلام عظيم المكانة في الطائفة ...

ولعلي بن يقطين رضي الله عنه كتب منها : كتاب ما سأل عنه الصادق عليه السلام من الملاحم ، وكتاب مناظرة الشاك بحضرته عليه السلام ، وله مسائل عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أخبرنا بكتبه ومسائله ، الشيخ المفيد عليه السلام والحسين بن عبيد الله ... وعده ابن شهر آشوب من خواص أصحاب الكاظم عليه السلام .

سمعت مشايخ أهل بيتي يحكون أن علياً وعبيداً ابني يقطين ، أدخلوا علياً ، فقبله عبد الله عليه السلام فقال : قربوا مني صاحب الذؤابتين وكان علياً ، فقبله إليه فضمه إليه ودعا له بالخير .

لما قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام العراق ، قال له علي بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ؟ فقال : يا علي إن الله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي !

قال أبو الحسن عليه السلام لعلي بن يقطين : إضمن لي خصلة أضمن لك ثلاثاً ، فقال علي : جعلت فداك ، وما الخصلة التي أضمنها لك وما الثلاث اللواتي تضمنهن لي ؟ قال : فقال أبو الحسن عليه السلام : الثلاث اللواتي أضمنهن لك أن لا يصيبك حر الحديد أبداً بقتل ، ولا فاقة ، ولا سقف سجن ، قال : فقال علي : وما الخصلة التي أضمنها لك ؟ قال : فقال : يا علي ، وأما الخصلة التي تضمن لي أن لا يأتيك ولي أبداً إلا أكرمته ، قال : فضمن له علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث .

وقال أبو الحسن عليه السلام : إن الله مع كل طاغية وزيراً من أوليائه يدفع به عنهم .

آل نوبخت : كان المنصور عاملاً لابن المهلب على خراج بليدة في الأهواز كما ذكر الذهبي ، فكسر الخراج أي سرقه ، فحبسه ابن المهلب ! وتعرّف في السجن على نوبخت المنجم جد آل نوبخت البغداديين . ( تاريخ بغداد : ١٠ / ٥٣ ) .

وفي تاريخ بغداد : ١٠ / ٥٦ ، وتاريخ دمشق : ٣٢ / ٥٣ ، وسير الذهبي : ٧ / ٨٨ ، أن نوبخت أخبر المنصور بأنه سيحكم بلاد المسلمين ، فاستبشر المنصور بذلك وكتب له : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا نوبخت إذا فتح الله على المسلمين وكفاهم مؤونة

الظالمين ورد الحق إلى أهله ، لم نغفل ما يجب من حق خدمتك إيانا . وكتب أبو جعفر . قال نوبخت : فلما ولي الخلافة صرت إليه فأخرجت الكتاب ، فقال : أناله ذاكر ولك متوقع ، فالحمد لله الذي صدق وعده وحقق الظن .

وجعله المنصور منجمه الخاص بمرتبة وزرائه ، وأقطعه محلة النوبختية ببغداد ، وهي منطقة سوق الشورجة . وكان منهم وزراء وعلماء وأطباء ومنجمون و مترجمون الى العربية : « وفي القرنين الثالث والرابع كان لكثير من النوبختية الشيعة نفوذ كبير في الدولة العباسية ، منهم : الحسين بن علي بن العباس ، الذي كان يتولى الكتابة للأمير أبي بكر محمد بن رائق ، وكان في مرتبة الوزراء ببغداد ، مدبر الأمور حاكماً على الدولة . وقال الذهبي في علي بن عباس النوبختي : رئيس ولي وكالة المقتدر توفي ٣٢٤ . ( مجلة تراثنا : ٥٥ / ٢١١ ) .

وفي هامش الذريعة : ١ / ٦٩ : « آل نوبخت بيت جليل من متكلمي الإمامية ، جدهم نوبخت كان من الفرس ومن أفاضل المنجمين صاحب المنصور الدوانيقي ، وقام مقامه ولده الذي غير المنصور اسمه وسماه بأبي سهل ، وكان الفضل بن أبي سهل هذا صاحب التصانيف وخازن كتب دار الحكمة للرشيد ، وقام مقامه ولده إسحاق بن الفضل ، وله ولدان إبراهيم بن إسحاق صاحب الياقوت وعلي بن إسحاق الذي ذكر في رجال الشيخ أنه من أصحاب الرضا والجواد وبقي إلى عصر الهادي عليه السلام .

وأما إسماعيل بن علي صاحب إبطال القياس ، فقد صنف في فنون العلوم أكثر من ثلثين كتاباً ذكرها ابن النديم . وقال النجاشي إنه شيخ المتكلمين من

أصحابنا لقي العسكري عليه السلام وروى عنه وحضر وفاته سنة ٢٦٠ ، وهو حال الحسن بن موسى النوبختي صاحب الفرق والمطبوع غير مرة ، وتخرج عليه جماعات كأبي الجيش المظفر بن محمد البلخي وأبي الحسن الناشي والحمدوني والسوسنجردي وغيرهم . وهو الذي أظهر كذب الحسين بن منصور الحلاج ومحمد بن علي الشلمغاني .

وقد نبغ من آل نوبخت علماء كبار وأولياء ، وكان منهم ولي الله أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي عليه السلام السفير الثالث للإمام المهدي صلوات الله عليه ، وستأتي ترجمته . ( راجع في بني نوبخت : فهرست ابن النديم / ٢٢٥ و ٢٢٣ ، والشيعه وفنون الإسلام / ٦٨ ، وتهديب المقال : ٢ / ١٩٥ ، وأعيان الشيعة : ٢ / ٩٣ ) .

آل فرات ، وهم من العوائل المعروفة البارزة في بغداد وكان منهم رئيس وزراء وكذا الباقطانيون ، وكذا آل بسطام الجعفيين ويقال لهم بنو سيرة ، وكذا آل حمدان التغليبين أمراء الموصل وحلب ، وكان بعضهم في بغداد ، ثم آل مقله ، ومنهم الخطاط المشهور علي بن مقله ، الذي طور الخط العربي .

وفي نشوار المحاضرة / ١٠٦٦ ، دافع الوزير ابن الفرات عن إعطائه مناصب كبيرة للشيعه بأنهم أكفأ من غيرهم ، قال : « يتمعضني الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الأعمال على آل بسطام وآل نوبخت ، والله لولا أنه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدتهم ، لما استعملت في الدنيا إلا آل نوبخت دون غيرهم . قال أبو الحسين : وإنما كان يتعصب لآل بسطام لرياسة أبي العباس عليه وللمذهب ، ويتعصب لآل نوبخت للمذهب » .

## ٧ . المراسم الدينية عند الشيعة في بغداد

تكاثر الوجود الشيعي في بغداد مع سرعة عمرانها ، فسكن فيها كثير من شيعة الكوفة والمدينة وبلاد الشام وإيران ، ولم يمض قرن من الزمان حتى صاروا مع الشيعة السابقين جمهوراً واسعاً ، وبرزت منهم شخصيات علمية وسياسية .

وكانت أهم مواسمهم الدينية زيارة الإمام موسى الكاظم والجليل في بغداد وزيارة الإمام الحسين في كربلاء . وكانوا يقيمون مراسم عاشوراء في محلاتهم فيعطلون أسواقهم ويرفعون أعلام السواد ، ويعقدون مجالس التعزية ، ينشدون فيها الشعر ويقرؤون فيها سيرة الحسين ومقتله .

وكان ذلك يثير المتعصبين فيعملون لمنع إقامة المآتم والزيارة ، ويحركون الحكومة ضدهم لتمنعهم ، فكانت تمنع إقامة مراسم عاشوراء في بعض السنوات فتحدث مصادمات بين الشرطة والشيعة . وكانت أحياناً لا تستجيب للحنابلة فيتصدون هم لمنعها بالقوة ، فتحدث مصادمات بينهم وبين الشيعة !

وكان مجسمة الحنابلة يكايدون الشيعة ، فيعلنون الفرح في محلاتهم ببغداد يوم عاشوراء ! تقليداً لبني أمية الذين جعلوه عيداً واحتفلوا فيه ، وأفتوا باستحباب توزيع الحلوى والتوسعة على العيال ، وأفتوا بصيامه شكراً لله على انتصار يزيد على الحسين ووضعوا أحاديث باستحباب الفرح يوم عاشوراء !

قال العجلوني في كشف الخفاء : ٢ / ٢٣٤ : « من اكتحل بالإثم يوم عاشوراء لم ترمد عيناه ، رواه الحاكم والبيهقي في شعبه والديلمي عن ابن عباس ، رفعه . وقال الحاكم : منكر ، وقال في المقاصد : بل موضوع . وقال في اللآلئ بعد أن رواه عن

ابن عباس من طريق الحاكم : حديث منكر ! والإكتحال لا يصح فيه أثر فهو بدعة ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال الحاكم أيضاً : الإكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن النبي (ص) فيه أثر ، وهو بدعة ابتدعتها قتلة الحسين رضي الله عنه وقبحهم . نعم رواه في الجامع الصغير بلفظ : من اكتحل بالإثم يوم عاشوراء لم يرمد أبداً .. وقال ابن رجب في لطائف المعارف : كل ما روى في فضل الإكتحال والإختضاب والإغتسال فيه موضوع لم يصح .

ونص أحد فقهاء السنة على أن الفرح بعاشوراء بدعة من يزيد وابن زياد !

قال البكري الدمي في إعيان الطالبين : ٢ / ٣٠١ : « قال العلامة الأجهوري : أما حديث الكحل فقال الحاكم إنه منكر ، وقال ابن حجر إنه موضوع ، بل قال بعض الحنفية إن الإكتحال يوم عاشوراء لما صار علامة لبغض آل البيت وجب تركه . قال : وقال العلامة صاحب جمع التعاليق : يكره الكحل يوم عاشوراء ، لأن يزيداً وابن زياد اكتحلا بدم الحسين هذا اليوم ، وقيل بالإثم ، لتقر عينهما بفعله » !

فكان حنابلة بغداد المتعصبون ومعهم بعض المسؤولين العباسيين يقلدون بني أمية في الفرح يوم عاشوراء !

ثم رأى أتباع بني أمية أن عملهم شماتة مفضوحة بآل النبي صلى الله عليه وآله فاخترعوا صوم يوم عاشوراء شكراً لله على نجاة بني إسرائيل ليغطوا به على عيد يزيد ! ودونوه في صحيح بخاري ومسلم : « كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم ! فقال رسول الله (ص) : فصوموه أنتم » ( مسلم : ٣ / ١٥٠ ، ونحوه بخاري : ٢ / ٢٥١ ) .

والى الآن ما زلنا نرى في السعدية صوم الشكر ومظاهر الفرح بإقامة الأعراس في يوم عاشوراء ! وكل ذلك إرث من بني أمية ومجسمة حنابلة بغداد !

وقد سجل المؤرخون حدوث اضطرابات سنوية في بغداد بسبب اعتداء الحنابلة أو السلطة على الشيعة لمنعهم من إقامة مراسم عاشوراء ، أو منعهم من زيارة الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام في بغداد ، والحسين عليه السلام في كربلاء .

قال الذهبي في تاريخه : ٢٦ / ١٧ : « أحداث سنة أربع وخمسين وثلاث مائة : فيها عمل يوم عاشوراء ببغداد مآتم الحسين كالعام الماضي » .

وقال في حوادث سنة ٣٥٥ : « أقيم المآتم يوم عاشوراء ببغداد على العادة » .

وقال في حوادث ٣٨٢ : « فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح ( شعارات السواد ) ، كان كذلك يعمل من نحو ثلاثين سنة » .

« في عاشوراء أغلق أهل الكرخ أسواقهم ، وعلقوا عليها المسوح وناحوا ، وذلك لأن السلطان انحدر عنهم فوق القتال بينهم وبين السنة ثم أنزل المسوح وقتل جماعة » . ( تاريخ الذهبي : ٢٩ / ٥ ) .

« تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا مآتماً يوم عاشوراء فأخلفوا ، وجرى بين أهل السنة والشيعة ما زاد على الحد من القتل والجراحات » . ( تاريخ الذهبي : ٣٠ / ٥ ) .

« وفي يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ الدكاكين وعلقوا المسوح ، وأقاموا المآتم على الحسين ، وجددوا ما بطل من مدة . فقامت عليهم السنة ، وخرج مرسوم الخليفة بإبطال ذلك ، وحبس جماعة مدة أيام » . ( تاريخ الذهبي : ٣٠ / ٢٩١ ) .

وقال في الكامل في حوادث سنة ٣٥٨ : « وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس

والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة وفرحاً كثيراً ، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء ، وسبب ذلك أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم الغدير ، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم والنوح وإظهار الحزن ما هو مشهور ، فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم ، وقالوا هو يوم دخل النبي (ص) وأبو بكر الغار ، وعملوا بعدة عاشورا بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء ، وقالوا هو يوم قتل مصعب بن الزبير .

وفي تاريخ الذهبي : ٣٩ / ٥ : « ظهر في أيام عاشوراء من الرفض ببغداد أمر عظيم حتى سبوا الصحابة ، وكانوا في الكرخ إذا رأوا مكحلاً ضربه » .

ولم يذكر الذهبي أن المكحلين والمخضبين كانوا من مجسمة الحنابلة يأتون الى أحياء الشيعة للتحدي ، فقد روى الصفدي في الوافي ( ١١ / ٣٠٠ ) قول أبي الحسين الجزار :

« ويعود عاشوراء يذكركني رزء الحسين فليت لم يعد  
 فليت عيناً فيه قد كحلت بمسرة لم تخل من رمده  
 ويداً به لشماتة خضبت مقطوعة من زندها بيدي »

ثم أخذت السلطة تستدعي علماء سنيين معتدلين للخطابة في بغداد ، ليجمعوا الشيعة والسنة على حب أهل البيت عليهم السلام والترضي على أبي بكر وعمر ، وقد سجل المؤرخون خبر مجالس ابن الجوزي الكبيرة ، الذي كان يروي فيها مناقب أهل البيت عليهم السلام ويترضى عن الشيخين وعن الإمام الحسين عليه السلام ويلعن يزيد ومن شاركه في قتل الحسين عليه السلام ، وقد ألف كتاباً في جواز لعن يزيد .



قال ابن الجوزي عن سنة ٥٦٨ : « جلست يوم عاشوراء بجامع المنصور ، فحضر من الجمع ما حزر بمائة ألف » ( تاريخ الذهبي : ٣٩ / ٤٣ ) . وقال : « تقدم إليّ بالجلوس تحت المنظرة ، فتكلمت في ثالث المحرم والخليفة حاضر ، وكان يوماً مشهوداً . ثم تقدم إليّ بالجلوس يوم عاشوراء فكان الزحام شديداً زائداً على الحد ، وحضر أمير المؤمنين » . ( تاريخ الذهبي : ٤٠ / ٥ ) .

ولم تعجب هذه المجالس الذهبي فقال في تاريخه ( ٤١ / ٣٦٨ ) عن أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني ، إمام الشافعية : « قال ابن النجار : كان رئيس أصحاب الشافعي وكان إماماً في المذهب والخلاف والأصول والتفسير والوعظ ... وكان يجلس بالنظامية وجامع القصر ويحضر مجلسه أمم .. ولما ظهر التشيع في زمان ابن الصاحب التمس العامة منه يوم عاشوراء على المنبر أن يلعن يزيد فامتنع ، ووثبوا عليه بالقتل مرات فلم يُرْعَ ولا زلَّ له لسان ولا قدم وخلص سليماً . وفي أيام مجد الدين بن الصاحب صارت بغداد كالكرخ وجماعة من الحنابلة تشيعوا ، حتى أن ابن الجوزي صار يسجع ويلغز إلا رضي الدين القزويني فإنه تصلب في دينه وتشدد »

يقصد الذهبي أن ابن الجوزي مال الى الشيعة ، ولا يصح قوله ، بل كان ابن الجوزي يعتقد بجواز لعن يزيد ، وألف كتاباً في ذلك .

وفي النهاية لابن كثير : ٣٣ / ١٢ : « وفيها ( سنة ٤٢٠ ) ورد كتاب من محمود بن سبكتكين أنه أحلَّ بطائفة من أهل الري من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً وصلباً شنيعاً ، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي ، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار .. وفي هذا اليوم جمع القضاة والعلماء في دار الخلافة ، وقرئ عليهم

كتاب جمعه القادر بالله ، فيه مواعظ وتفصيل مذاهب أهل البصرة ، وفيه الرد على أهل البدع ، وتفسيق من قال بخلق القرآن ...

وفي يوم الإثنين غرة ذي القعدة جمعوا أيضاً كلهم ، وقرأ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ... وذكر فضائل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة ، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه . وعزل خطباء الشيعة وولى خطباء السنة ، ولله الحمد والمنة على ذلك وغيره . وجرت فتنة بمسجد براثنا وضربوا الخطيب السني بالآجر ، حتى كسروا أنفه وخلعوا كتفه ، فانتصر لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم !

وقال ابن خلدون ( ٤ / ٤٧٧ ) : « كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته إليه مدينة في العالم منذ مبدأ الخليقة فيما علمناه ... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة ، من الخلاف في الإمامة ومذاهبها ، وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم ، من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات ونسبتهم ذلك إلى الإمام أحمد وحاشاه منه ، فيقع الجدل والنكير ، ثم يفضي إلى الفتنة بين العوام ، وتكرر ذلك منذ حُجر الخلفاء .

ولم يقدر بنو بُويّة ولا السلجوقية على حسم ذلك منها ، لسكنى أولئك ( البويهيين ) بفارس وهؤلاء ( السلاجقة ) بأصبهان ، وبعدهم عن بغداد ، وإنما تكون ببغداد شحنة ( حامية عسكرية ) تحسم ما خف من العلل ، ما لم ينته إلى عموم الفتنة . »

## ٨ . منعت السلطمة زيارة مشهد الكاظمين والحسين عليهما السلام

شملت تعدياا السلطمة ومجسمة الحنابلة زوار الإمامين الكاظمين والإمام الحسين عليهما السلام ، ففي الكافي ( ١ / ٥٢٥ ) : « خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحاير ، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقرائي فقال له : إلق بني الفرات والبرسيين وقل لهم : لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه » .

ولم يكتف الخليفة بمنع الشيعة من زيارة قبر الحسين عليه السلام بل أراد هدمه !

ففي أمالي الشيخ الطوسي / ٣٢٨ : « بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم ( المتوكل ) أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير إلى قبره منهم خلق كثير ، فأنفذ قائداً من قواده وضم إليه كتفاً من الجنء كثيراً ليشعب قبر الحسين ويمنع الناس من زيارته والإجماع إلى قبره عليه السلام . فخرج القائد إلى الطف وعمل بما أمر ، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا : لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته ، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا ، فكتب بالأمر إلى الحضرة فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً أن مسيره إليها في مصالح أهلها والإنكفاء إلى المصر ! فمضى الأمر على ذلك حتى كانت سنة سبع وأربعين ، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين وأنه قد كثر جمعهم كذلك وصار لهم سوق كبير ، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجنء ، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين ، ونشب القبر وحرث أرضه وانقطع الناس عن الزيارة ، وعمل على تتبع آل أبي طالب والشيعة رضي

الله عنهم ، فقتل ولم يتم له ما قَدَّرَ . »

وفي أمالي الطوسي / ٣٢٧ : « قال : حدثني أبو برزة الفضل بن محمد بن عبد الحميد قال : دخلت على إبراهيم الديزج وكنت جاره ، أعوده في مرضه الذي مات فيه فوجدته بحال سوء ، وإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب ، فسألته عن حاله وكانت بيني وبينه خلطة وأنس يوجب الثقة بي والإنبساط إليّ ، فكأتمني حاله وأشار لي إلى الطبيب ، فشعر الطبيب بإشارته ولم يعرف من حاله ما يصف له من الدواء ما يستعمله ، فقام فخرج وخلا الموضوع ، فسألته عن حاله فقال : أخبرك والله وأستغفر الله : إن المتوكل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين ، فأمرنا أن نكرهه ونطمس أثر القبر ، فوافيت الناحية مساء معنا الفعلة والروزكاريون ، ( العمال الميامون ) معهم المساحي والمرور ، فتقدمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه ، فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر ونمت ، فذهب بي النوم فإذا ضوضاء شديدة وأصوات عالية وجعل الغلمان ينبهونني ، فقممت وأنا ذعر فقلت للغلمان : ما شأنكم ؟ قالوا : أعجب شأن . قلت : وما ذاك ؟ قالوا : إن بموضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر ، وهم يرموننا مع ذلك بالنشاب ، فقممت معهم لأتبين الأمر فوجدته كما وصفوا !

وكان ذلك في أول الليل من ليالي البيض فقلت : إرموهم ، فرموا فعادت سهامنا إلينا فما سقط سهمٌ منها إلا في صاحبه الذي رمى به فقتله ! فاستوحشت لذلك وجزعت وأخذتني الحمى والقشعريرة ورحلت عن القبر لوقتي ! ووطنت نفسي على أن يقتلني المتوكل لما لم أبلغ في القبر جميع ما تقدم إلي به !

قال أبو برزة : فقلت له : قد كفيت ما تحذر من المتوكل ، قد قتل بارحة الأولى وأعان عليه في قتله المنتصر ، فقال لي : قد سمعت بذلك وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء ! قال أبو برزة : كان هذا في أول النهار فما أمسى الديزج حتى مات .

قال ابن خشيش : قال أبو الفضل : إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام فسأل رجلاً من الناس عن ذلك فقال له : قد وجب عليه القتل إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر . قال : ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لي عمر ، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر !

### ٩ . أئمة أهل البيت عليهم السلام في بغداد

تشرفت بغداد بثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام هم : الإمام الصادق والكاظم والجواد ، فقد أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام الى بغداد أكثر من مرة ، وأراد أن يقتله ، مع أنه يعرف حق المعرفة أنه إمام رباني ، ويشهد بذلك !

قال العلامة الحلبي رحمته الله في منهاج الكرامة / ٥٦ : « وكان عبد الله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعة لولده ، فقال له الصادق عليه السلام : إن هذا الأمر لا يتم ! فاغتاظ من ذلك فقال عليه السلام : إنه لصاحب القباء الأصفر ، وأشار بذلك إلى المنصور ! فلما سمع المنصور بذلك فرح لعلمه بوقوع ما يُخبر به ، وعلم أن الأمر يصل إليه . ولما هرب المنصور ( من جيش ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ) كان يقول : أين قول صادقهم !

وقد أحضر المنصور الإمام الصادق عليه السلام في حج سنة ١٤٢ الى مقره في الريذة ، وسنة ١٤٧ عندما زار المدينة ، وقبلها وبعدها الى الأنبار والحيرة وبغداد .

وفي مهج الدعوات / ١٩٨ : « دعاء مولانا الصادق عليه السلام ... لما استدعاه المنصور مرة سادسة ، وهي ثاني مرة إلى بغداد » .

وكان في كل مرة ينوي قتله فيحدث له مانع بمعجزة وكرامة للإمام عليه السلام ، حتى تمكن من دس السم له بعد اثني عشرة سنة من حكمه !

وفي هذه السنوات الإثني عشرة مع الأربع سنوات في عهد السفاح استطاع الإمام عليه السلام أن يبث العلوم ويخرج العلماء ، ويعمق الإيمان في الخاصة والعامة .

وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام قرار المنصور بإبادة العلويين بعد انتصاره على الحسينيين ! فقال كما في مقاتل الطالبين / ٢٣٣ : « لما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بياخمرى ، حُسِرنا عن المدينة ولم يُترك فيها منا محتلم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل ! ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى . قال : فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : أنت الذي يجي إليك هذا الخراج ؟ قلت : إليك يجي يا أمير المؤمنين الخراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا . قال : أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم وأعقر نخلكم ، وأترككم بالسراة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة ! »

وتراجع المنصور يومها عن قتله ، وقال أحد أصحابه : « فدخلت يوماً على أبي جعفر الدوانقي وإذا هو يفرك يديه ويتنفس تنفساً بارداً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ماهذه الفكرة ؟ فقال : يا محمد إني قتلت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون ، وقد تركت سيدهم ! فقلت له : ومن ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ذلك جعفر بن محمد ! ( دلائل الإمامة / ٢٩٨ ، ومهج الدعوات / ١٨ ، وعيون المعجزات / ٨٠ )

وفي إحدى المرات أحضر المنصور الإمام عليه السلام الى بغداد في جو إيجابي عندما كان يرتب الخلافة لابنه المهدي ! قال محمد بن إبراهيم الإمام العباسي : « أرسل المنصور بُكراً واستعجلي الرسول وظننت أن ذلك لأمر حادث ، فركبت إذ سمعت وقع الحافر فقلت للغلام : أنظر من هذا فقال : هذا أخوك عبد الوهاب فرفقت في السير فلحقني فسلمت عليه وسلم علي فقال : أتاك رسول هذا ؟ قلت : نعم ، فهل أتاك ؟ قال : نعم ، قلت : فيم ذاك ترى ؟ قال : تجده اشتهى خلاً وزيتاً يريد الغداء ، فأحب أن نأكل معه ! قلت : ما أرى ذلك وما أظن هذا إلا لأمر ! قال : فانتبهينا إليه فدخلنا فإذا الربيع واقف عند الستر وإذا المهدي ولي العهد في الدهليز جالس وإذا عبد الصمد بن علي ، وداود بن علي ، وإسماعيل بن علي ، وسليمان بن علي وجعفر بن محمد بن علي بن حسين ، وعبد الله بن حسن بن حسن ، والعباس بن محمد . قال الربيع : اجلسوا مع بني عمكم ، قال فجلسنا فدخل الربيع وخرج فقال للمهدي : أدخل أصلحك الله ، ثم دخل فقال : أدخلوا جميعاً فدخلنا وسلمنا وأخذنا مجالسنا ، فقال للربيع : هات دويماً وما يكتبون فيه ، فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورقاً ، ثم التفت إلى عبد الصمد بن علي فقال : يا عم حدث ولدك وإخوتك وبني أخيك حديث البر والصلة ، فقال عبد الصمد : حدثني أبي عن جدي عبد الله بن العباس عن النبي (ص) أنه قال : إن البر والصلة ليظليان الأعمار ويعمران الديار ويكثران الأموال ولو كان القوم فجاراً .... ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمد فقال : يا أبا عبد الله حدث إخوتك وبني عمك بحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : ما من ملك يصل رحمه وذوي قرابته ويعدل على رعيته ، إلا شدد الله



له ملكه وأجزل له ثوابه وأكرم ما به وخفف حسابه » ( تاريخ دمشق : ٣٦ / ٢٤٢ ،  
والمنتظم : ٩ / ١٠٦ ) . فكان إحضار المنصور لشخصيات بني العباس وبني علي عليه السلام  
ليروي لهم أحاديث صلة الرحم ويجمعهم حول ولي عهده الذي سماه بالمهدي !

### ١٠ . الإمام الجواد في بغداد عليه السلام

في مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٩٠ : « لما بويع المعتصم ( ابن هارون ) جعل يتفقد أحواله  
فكتب إلى عبد الملك الزيات أن ينفذ إليه التقى عليه السلام وأم الفضل ، فأنفذ ابن  
الزيات علي بن يقطين إليه ، فتجهز وخرج إلى بغداد فأكرمه وعظمه ، وأنفذ  
أشناس بالتحف إليه وإلى أم الفضل ، ثم أنفذ إليه شراب حماض الأترج تحت  
ختمه على يدي أشناس وقال : إن أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي دؤاد وسعد  
بن الخصيب ، وجماعة من المعروفين ، ويأمرك أن تشرب منها بماء الثلج ... » .

وفي الإرشاد : ٢ / ٢٩٨ : « لما أخرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة  
الأولة من خرجتيه ، قلت له عند خروجه : جعلت فداك ، إني أخاف عليك من  
هذا الوجه ، فألى من الأمر بعدك ؟ قال : فكراً بوجهه إلي ضاحكاً وقال : ليس  
حيث ظننت في هذه السنة . فلما استدعي به إلى المعتصم صرت إليه فقلت له :  
جعلت فداك أنت خارج ، فألى من هذا الأمر من بعدك ؟ فبكى حتى اخضلت  
لحيته ثم التفت إلي فقال : عند هذه يخاف عليّ ، الأمر من بعدي إلى ابني علي » .

وفي الإرشاد : ٢ / ٢٨٩ : « أشخصه المعتصم في أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد ،  
فأقام بها حتى توفي في آخر ذي القعدة من هذه السنة ، فدفن في ظهر قبر جده أبي



الحسن موسى عليه السلام .

وفي المناقب : ٣ / ٤٨٧ : « قال ابن بابويه : سَمَّ المعتصم محمد بن علي . وأولاده : علي الإمام ، وموسى وحكيمة وخديجة وأم كلثوم .. وقد كان زوجه المأمون ابنته ولم يكن له منها ولد . وسبب وروده بغداد إشخاص المعتصم له من المدينة ، فورد بغداد لليلتين من المحرم سنة عشرين ومائتين وأقام بها حتى توفي في هذه السنة » .

### ١١ . رسالة الإمام الهادي عليه السلام الى شيعته في بغداد

في رجال الطوسي : ٢ / ٨٠٠ ، عن أحمد بن محمد بن عيسى قال : « نسختُ الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالي الذين هم ببغداد المقيمين بها ، والمدائن ، والسواد ، وما يليها : أحمد الله إليكم على ما أنا عليه من عافيته وحسن عاداته ، وأصلي على نبيه وآله أفضل صلواته ، وأكمل رحمته ورأفته ، وإني أقمت أبا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه ومن كان قبله من وكلائي ، وصار في منزلته عندي ، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم ليقبض حقي ، وارتضىته لكم وقدمته على غيره في ذلك ، وهو أهله وموضعه ، فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك والي ، وأن لا تجعلوا له على أنفسكم علة ، فعليكم بالخروج عن ذلك والتسرع إلى طاعة الله وتحليل أموالكم ، والحقن لدمائكم ، وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله لعلكم ترحموا .. نحن وأنتم في وديعة الله وحفظه . وكتبته بخطي والحمد لله كثيراً .

وفي كتاب آخر : وأنا أمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي

وأن يلزم كل واحد منكما ما وُكِّل به وأمر بالقيام فيه بأمر ناحيته ، فإنكم إذا انتهيتم إلى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي . وآمرك يا أبا علي بمثل ما أمرتك يا أيوب ، أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ، ولا تلي لهم استيذاناً عليّ ، ومُر من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يُصَيِّره إلى الموكل بناحيته . وآمرك يا أبا علي في ذلك بمثل ما أمرت به أيوب ، وليقبل كل واحد منكما قبل ما أمرته به .

ورواه في غيبة الطوسي / ٣٥١ ، وفيه : « وروى محمد بن يعقوب رفعه إلى محمد بن فرج قال : كتبت إليه أسأله عن أبي علي بن راشد ، وعن عيسى بن جعفر بن عاصم ، وعن ابن بند ، وكتب إلي : ذكرت ابن راشد عليه السلام فإنه عاش سعيداً ومات شهيداً ، ودعا لابن بند والعاصمي ، وابن بند ضرب بعمود وقتل ، وابن عاصم ضرب بالسياط على الجسر ثلاث مائة سوط ورمي به في الدجلة ! فهؤلاء جماعة الحمودين ، وتركنا ذكر استقصائهم لأنهم معروفون مذكورون في الكتب . »

أقول : تدل هذه الرسالة على وجود الشيعة من يومها وانتشارهم في بغداد وضواحيها وعلى أن نظام الوكلاء الذي اعتمده الأئمة عليهم السلام كان دقيقاً وفعالاً وحديثاً . وتشير الى ظروف المراقبة للإمام عليه السلام ووكلائه ، وبطش السلطة بخواص الشيعة والناشطين منهم

## ١٢ . السفراء الأربعة البغداديون

عاش السفراء الأربعة رضوان الله عليهم في بغداد ودفنوا فيها ، فقد انتقل عثمان بن سعيد العمري بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام اليها ، وفي تلك الفترة ضعف مركز سامراء وانتقل منها الخلفاء الى بغداد ! ولم يبق منها إلا مشهد الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام . ( معجم البلدان : ٣ / ١٧٦ ) .

ويبدل حديث أحمد بن الدينوري (دلائل الإمامة / ٣٠٤) على أن محمد بن عثمان العمري عليه السلام كان في بغداد بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هجرية .

بل نصَّ حديث وفد قم الذين وصلوا الى سامراء أيام وفاة الإمام العسكري عليه السلام (كمال الدين / ٤٧٨) : « وأمرنا القائم عليه السلام أن لا نحمل إلى سر من رأى بعدها شيئاً من المال ، فإنه ينصب لنا ببغداد رجالاً يحمل إليه الأموال ، وتخرج من عنده التوقيعات .. وكنا بعد ذلك نحمل الأموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين بها ويخرج من عندهم التوقيعات » .

وقال الصدوق في كمال الدين / ٤٤٢ : « ورآه من الوكلاء ببغداد : العمري ، وابنه ، وحاجز ، والبلالي ، والعطار ، ومن الكوفة : العاصمي . ومن الأهواز : محمد بن إبراهيم بن مهزيار . ومن أهل قم : أحمد بن إسحاق . ومن أهل همدان : محمد بن صالح . ومن أهل الري : السامي ، والأسدي يعني نفسه . ومن آذربيجان : القاسم بن العلا . ومن نيسابور : محمد بن شاذان النعيمي . ومن غير الوكلاء من أهل بغداد : أبو القاسم بن أبي حابس ، وذكر جماعة كثيرين » .

### السفير الأول : عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه

عثمان بن سعيد العمري السَّمَّان الأَسدي . كان من شبابه رضي الله عنه بواب الإمام الهادي عليه السلام ووكيله ، ثم كان وكيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

وقد وثقه كلاهما صلوات الله عليهما ، ففي غيبة الطوسي / ٢١٥ ، عن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله ، الحسينيين قالا : « دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر خادمه فقال : يا مولاي بالباب قوم شعث غير ، فقال لهم : هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن .. في حديث طويل يسوقانه ، إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر : فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري ، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام : إمض يا عثمان ، فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله ، واقبض من هؤلاء النفر اليمينين ما حملوه من المال . ثم ساق الحديث إلى أن قالا : ثم قلنا بأجمعنا : يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك ، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك ، وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى . قال : نعم ، واشهدوا عليّ أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي ، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم » . وإثبات الهداة : ٣ / ٥١١ .

وفي الطرائف / ١٨٣ : « وكان له عليه السلام وكلاء ظاهرون في غيبته ، معروفون بأسمائهم وأنسابهم وأوطانهم ، يخبرون عنه بالمعجزات والكرامات ، وجواب أمور المشكلات ، بكثير مما ينقله عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى من الغائبات منهم عثمان بن سعيد العمري المدفون بقطقطان من الجانب الغربي ببغداد » .

وتوفي عثمان بن سعيد رضي الله عنه في بغداد ، وقبره فيها قرب الميدان ، وهو مزار

للشيعة ، ولذلك قام الوهابيون بالإعتداء عليه ، وفجروا قربه عبوات في هذه الأيام ، وأواخر شهر رمضان سنة ١٤٣٠ :

<http://www.alcauther.com/html/modules.php?name=News&file=article&sid=10392>

« نفذ التكفيريون وأعوانهم البعثيون تفجيرين بعبوتين ناسفتين ، استهدفتا المرقد الشريف لعثمان بن سعيد العمري سفير الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وأكد مصدر أمني مطلع لشبكة نهرين نت أن الإرهابيين زرعوا عبوتين ناسفتين ، واحدة في المرقد الشريف والأخرى في مرآب قريب من المكان . وأضاف المصدر بأن حصيلة هذين التفجيرين كان استشهاد ٣ مواطنين وجرح ثمانية آخرين . والجدير بالذكر أن المرقد الشريف للسفير عثمان بن سعيد العمري يقع بالقرب من ساحة الميدان في العاصمة بغداد ، وأن هذا التفجير يأتي ضمن سلسلة تفجيرات تستهدف المراكز المقدسة من جديد » .

### السفير الثاني : محمد بن عثمان بن سعيد العمري عليه السلام

روى الطوسي في الغيبة / ٣٦٨ : « سمعت جعفر بن أحمد بن متيل القمي يقول : كان محمد بن عثمان أبو جعفر العمري رضي الله عنه ، له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس ، وأبو القاسم بن روح رضي الله عنه فيهم ، وكلهم كانوا أخص به من أبي القاسم بن روح ، حتى أنه كان إذا احتاج إلى حاجة أو إلى سبب ينجزه على يد غيره لها لم يكن له تلك الخصوصية . فلما كان وقت مضيّ أبي جعفر رضي الله عنه وقع الإختيار عليه ، وكانت الوصية إليه » .

وقال العلامة في خلاصة الأقوال / ٢٥٠ و ٤٣٢ : « محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، بفتح العين ، الأسدي ، يكنى أبا جعفر ، وأبوه يكنى أبا عمرو ، جميعاً وكيلان في

خدمة صاحب الزمان عليه السلام ، ولهما منزلة جليلة عند هذه الطائفة ، وكان محمد قد حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج ، فسئل عن ذلك فقال : للناس أسباب . ثم سئل بعد ذلك فقال : قد أمرت أن أجمع أمري ، فمات بعد شهرين من ذلك ، في جمادى الأولى سنة خمس وثلاث مائة ، وقيل سنة أربع وثلاث مائة ، وكان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة . فلما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان الوفاة واشتدت حاله ، حضر عنده جماعة من وجوه الشيعة ، منهم أبو علي بن همام ، وأبو عبد الله محمد الكاتب ، وأبو عبد الله الباقر ، وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي ، وأبو عبد الله بن الوجناء ، وغيرهم من الوجوه الأكابر ، فقالوا له : إن حدث أمر فمن يكون مكانك ؟ فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي ، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر ، والوكيل والثقة الأمين ، فارجعوا في أموركم إليه ، وعولوا في مهماتكم عليه ، فبذلك أمرت وقد بلغت . ثم أوصى أبو القاسم بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرى ، فلما حضرته الوفاة سئل أن يوصي فقال : لله أمر هو بالغه . ومات رحمته الله سنة تسع وعشرين وثلاث مائة .

وكانت وفاة محمد بن عثمان عليه السلام أواخر جمادى الأولى سنة ٣٠٥ ، وقبره ببغداد في محلتهم المعروفة باسم الخلائي ، وهو مشهد كبير من معالم بغداد ، يقصده الناس للزيارة والصلاة في مسجده . ( تهذيب المقال : ٢ / ٤٠١ ، ومقدمة علل الشرائع ) .

### السفير الثالث : أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي رضي الله عنه

في غيبة الطوسي / ٢٢٦ ، عن « محمد بن همام : إن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه ، جمعنا قبل موته وكنا وجوه الشيعة وشيوخها ، فقال لنا : إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي ، فقد أمرتُ أن أجعله في موضعي بعدي ، فارجعوا إليه وعوّلوا في أموركم عليه » .

وقال الشيخ الطوسي في الغيبة / ٣٩١ : « قال ابن نوح : وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سئل ف قيل له : كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك ؟ فقال : هم أعلم وما اختاروه ، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة لعلي كنت أدل على مكانه ، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه ! أو كما قال » .

وقال جعفر بن متيل رضي الله عنه كما في كمال الدين / ٥٠٣ : « لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري السمان رضي الله عنه الوفاة ، كنت جالسا عند رأسه أسأله وأحدثه وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجليه ، فالتفت إليّ ثم قال لي : قد أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح ، قال : فقممت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني ، وتحولت عند رجليه » .

وفي كمال الدين / ٥١٩ : « قال الحسين بن علي بن محمد المعروف بأبي علي البغدادي : ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتنني عن وكيل مولانا من هو ؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها ،

فدخلت عليه وأنا عنده فقالت له : أيها الشيخ أي شئ معي ؟ فقال ما معك فألقيه في الدجلة ، ثم ائتني حتى أخبرك ! قال فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقيته في الدجلة ، ثم رجعت ودخلت إلى أبي القاسم الروحي قدس الله روحه فقال أبو القاسم لمملوكة له : أخرجي إليّ الحُق ، فأخرجت إليه حُقَّةً فقال للمرأة : هذه الحُقَّة التي كانت معك ورميت بها في الدجلة ، أخبرك بما فيها أو تخبريني ؟ فقالت له : بل أخبرني أنت ! فقال : في هذه الحُقَّة زوج سوار ذهب ، وحلقة كبيرة فيها جوهرة ، وحلقتان صغيرتان فيهما جواهر ، وخاتمَان أحدهما فيزوج والآخر عقيق ! فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً ! ثم فتح الحُقَّة فعرض عليّ ما فيها فنظرت المرأة إليه ، فقالت : هذا الذي حملته بعينه ورميت به في الدجلة ، فعُشِيّ عليّ وعلى المرأة ، فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة » !

وروى الطوسي في الغيبة / ٣٩٤ ، عن الصفواني قال : « أوصى الشيخ أبو القاسم رضي الله عنه إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنه ، فقام بما كان إلى أبي القاسم ، فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ، ولمن يقوم مقامه فلم يُظهر شيئاً من ذلك ، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن » .

\* \*



### السفير الرابع : أبو الحسن علي بن محمد السمري عليه السلام

قال العلامة الحلبي في خلاصة الأقوال / ٢٥٠ ، ٤٣٢ : « وأوصى أبو القاسم ابن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري ، فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال : لله أمر هو بالغه . والغيبة الثانية هي التي وقعت بعد مضي السمري .. ومات عليه السلام سنة تسع وعشرين وثلاث مائة » .

وفي كمال الدين : ٢ / ٥١٦ ، عن الحسن بن أحمد المكتب قال : « كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري قدس الله روحه ، فحضرته قبل وفاته بأيام ، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم . يا علي بن محمد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً . وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو وجود بنفسه فقيل له : من وصيك من بعدك ؟ فقال : لله أمر هو بالغه ! ومضى رضي الله عنه ، فهذا آخر كلام سمع منه » وغيبة الطوسي / ٢٤٢ ، وإعلام الوري / ٤١٧ ، والإحتجاج : ٢ / ٤٧٨ ، والخرائج : ٣ / ١١٢٨ ، وغيرها .

أقول : المنفي هو المشاهدة مع ادعاء السفارة ، بقريضة قوله عليه السلام : « وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة » أما المشاهدة بدون ادعاء سمة فهي ممكنة وقد وقعت كثيراً .

### ١٣ . قبور السفراء الأربعة والمؤلفات فيهم

دَوَّنَ علماءنا سيرة السفراء الأربعة وأحاديثهم رضوان الله عليهم ، وألفوا فيهم الكتب الخاصة ، فقد ذكر في الذريعة إلى تصانيف الشيعة ( ١ / ٣٥٣ ) كتابين قديمين للسيرافي والجوهرى ، قال : «أخبار الوكلاء الأربعة : وهم عثمان بن سعيد ، ومحمد بن عثمان ، والحسين بن روح ، وعلي بن محمد السمري ، النواب المخصصون في الغيبة الصغرى والسفراء والأبواب فيها الحجة المهدي عليه السلام ، لأبي العباس أحمد بن علي بن العباس بن نوح السيرافي ، نزيل البصرة ، من مشايخ النجاشي ، توفي حدود النيف والعشرة بعد الأربع مائة كما يظهر من فهرس الشيخ ، حيث إنه قال فيه إنه مات عن قرب وكان شروع الشيخ في الفهرس بأمر الشيخ المفيد ، لكنه فرغ منه بعد وفاته ، حيث ذكر فيه حكاية يوم وفاة المفيد في سنة ٤١٣ ، فيكون وفاة السيرافي أيضاً في هذه الحدود .

أخبار الوكلاء الأربعة المذكورين ، لأبي عبد الله الجوهرى ، أحمد بن محمد بن عياش ، صاحب مقتضب الأثر المتوفى سنة ٤٠١ ، ذكره النجاشي .

\* \*

وقبور السفراء الأربعة كلهم في بغداد رضوان الله عليهم ، فقد انتقل إليها السفير الأول عثمان بن سعيد بعد سنة أو سنتين من وفاة الإمام العسكري عليه السلام كما دلت رواية أحمد بن محمد الدينوري . وقد وصف الشيخ الطوسي رحمته الله قبره وزيارته له فقال في الغيبة / ٣٥٨ : « قال أبو نصر هبة الله بن محمد : وقبر عثمان بن سعيد بالجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان في أول الموضع المعروف

في الدرب ، المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب يمنة الداخل إليه ، والقبر في نفس قبلة المسجد . قال محمد بن الحسن مصنف هذا الكتاب : رأيت قبره في الموضع الذي ذكره ، وكان بني في وجهه حائط وبه محراب المسجد ، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيق مظلم ، فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرةً ، وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة . ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى برًا وعمل عليه صندوقاً ، وهو تحت سقف يدخل إليه من أراهه ويذوره ، ويتبرك جيران الخلة بزيارته ويقولون هو رجل صالح ، وربما قالوا هو ابن داية الحسين عليه السلام ! ولا يعرفون حقيقة الحال فيه ، وهو إلى يومنا هذا وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، على ما هو عليه .

أما السفير الثاني محمد بن عثمان عليه السلام فتوفي سنة ٣٠٥ ، وأن الإمام عليه السلام أخبره عن وفاته قبل شهرين ، فاستعد وحفر قبراً وكان يقرأ فيه القرآن ، وكتب على لوحة آيات القرآن ، وأسماء الأئمة عليهم السلام ليدفنها معه .

وأما الحسين بن روح عليه السلام فتوفي سنة ٣٢٦ ففي غيبة الطوسي / ٣٨٦ : « عن بنت أبي جعفر العمري أن قبر أبي القاسم الحسين بن روح في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ إلى التل وإلى الدرب الآخر وإلى قنطرة الشوك قال : وقال لي أبو نصر : مات أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه في شعبان سنة ست وعشرين وثلاث مائة ، وقد رويت عنه أخباراً كثيرة » .

وأما وفاة علي بن محمد السمري فكانت سنة ٣٢٩ ، في النصف من شعبان ، وقد

وصف الطوسي رحمته الله قبره فقال في الغيبة / ٣٩٦ : « عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب أن قبر أبي الحسن السمري رضي الله عنه في الشارع المعروف بشارع الخنجي ، من ربع باب المحول ، قريب من شاطئ نهر أبي عتاب . وذكر أنه مات في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة » . راجع : أعيان الشيعة : ٦ / ٢١ ، وتهذيب المقال : ٢ / ٤٠٠ .

وقال السيد محمد صادق بحر العلوم في مقدمة علل الشرائع / ٥ ، ملخصاً :

« أ - أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رحمته الله ... قبره بالجانب الغربي من بغداد مما يلي سوق الميدان ، معروف بزار ويتبرك به الشيعة .

ب - أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري رحمته الله ، وهو المعروف بالخلافي توفي سنة ٣٠٥ ، آخر جمادى الأولى ، وقبره في الجانب الشرقي من بغداد عند والدته في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله .

ج - أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي رحمته الله توفي سنة ٣٢٦ ، وقبره ببغداد في الجانب الشرقي في سوق العطارين بزار ويتبرك به وهو معروف باسم قبر الحسين بن روح .

د - أبو الحسين علي بن محمد السمري رحمته الله ، توفي سنة ٣٢٩ ، وقبره في الجانب الغربي مما يلي سوق المهرج والسراجين ، وهو معروف بزار ويتبرك به » .

\* \*

## ١٤ . مذاهب الغلو التي كانت في بغداد

وأشهرها مذهب الحلاج ، والشلمغاني ، ومذهب بشار الشعيري الذي عرف أتباعه بالكرخية الخمسة . وقد ترجم علماؤنا لعدد من المغالين وحذروا منهم .

ومذهب الخمسة مأخوذ من مذهب الحلول المجوسي ، قالوا : « إن سلمان الفارسي والمقداد وعماراً وأبا ذر وعمر بن أمية الضمري ، هم الموكلون بمصالح العالم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » . ( خلاصة الأقوال للعلامة / ٣٦٤ ) .

ولعل أول من أشاع ذلك في بغداد أحمد بن هلال الكرخي ، الملعون على لسان الإمام المهدي عليه السلام ، فسُمِّي أتباعه الكرخية والكرخيين .

قال الطوسي في الغيبة / ٤١٤ : « وكان الكرخيون خمسة ، لا يشك في ذلك أحد من الشيعة ، وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به .. وجنون أبي دلف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تحصى ، فلا نطول بذكرها الكتاب ها هنا » .

وقال العلامة الحلي عليه السلام في خلاصة الأقوال / ٣٦٤ ، عن علي بن أحمد الكوفي : « كان إمامياً مستقيم الطريقة وصنف كتباً كثيرة سديدة ، ثم خلط وأظهر مذهب الخمسة وصنف كتاباً في الغلو والتخليط . وقال ابن الغضائري : كذاب غال صاحب بدعة ومقالة » .

وترجم في معجم البلدان : ٤ / ٤٤٧ ، لكرخيٍّ آخر على نفس المذهب ، لكنه من كرخة الأهواز ، لا كرخة بغداد ، قال : « أبو جعفر الكرخي المعروف بالجرى ، وهذا الرجل مشهور بالجلالة فيهم قديماً وكان مقيماً بالبصرة ، قال : وشاهدته أنا وهو

شيخ كبير وقد اختلت حاله ، فصار يلي الأعمال الصغار من قبل عمال البصرة ... استفاض عنهم أنهم كانوا خمسة يعتقدون أن علياً وفاطمة والحسن والحسين ومحمداً صلى الله عليه وآله خمسة أشباح أنوار قديمة ، لم تنزل ولا تزال ، إلى غير ذلك من أقوال هذه النحلة ، وهي مقالة مشهورة .

وأصل مذهب المخمسة من بشار الشعيري ، ومذهبه تطوير لمذهب ( العليوية ) الذي ظهر في زمن الإمام الصادق عليه السلام !

فقد روى الطوسي رحمته الله في رجاله : ٢ / ٧٠١ : « عن مرازم قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : تعرف مبشر ، بشر بتوهم الإسم قال : الشعيري ، فقلت : بشار ؟ قال بشار ! قلت : نعم جار لي ! فقال عليه السلام : إن اليهود قالوا ووحيدوا الله ، وإن النصارى قالوا ووحيدوا الله ، وإن بشاراً قال قولاً عظيماً ! إذا قدمت الكوفة فأتته وقل له : يقول لك جعفر : يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا برئ منك ! قال مرازم : فلما قدمت الكوفة فوضعت متاعي وجئت إليه فدعوت الجارية ، فقلت قولي لأبي إسماعيل هذا مرازم ، فخرج إليّ فقلت له : يقول لك جعفر بن محمد : يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا برئ منك ! فقال لي : وقد ذكرني سيدي ! قال قلت : نعم ذكرك بهذا الذي قلت لك ! فقال : جزاك الله خيراً وفعل بك ، وأقبل يدعو لي !

ومقالة بشار هي مقالة العليوية يقولون إن علياً عليه السلام هرب وظهر بالعلوية الهاشمية ، وأظهر أنه عبده ورسوله بالمحمدية ، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخاص علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأن معنى الأشخاص الثلاثة فاطمة والحسن والحسين تلبيس ، والحقيقة شخص علي لأنه أول هذه الأشخاص

في الأمة ، وأنكروا شخص محمد ﷺ وزعموا أن محمداً عبد علي !

وأقاموا محمداً ﷺ مقام ما أقامت الخمسة سلمان ! وجعلوه رسولاً  
لمحمد ﷺ فوافقوهم في الإباحات والتعطيل والتناسخ « !

وفي رجال الطوسي : ٢ / ٧٧٥ : « لما مات أوصى إلى ابنه سميع بن محمد فهو الإمام !  
ومن أوصى إليه سميع فهو إمام مفترض الطاعة على الأمة ، إلى وقت خروج  
موسى بن جعفر عليه السلام ! وزعموا أن الفرض عليهم من الله تعالى إقامة الصلوات  
الخمسة وصوم شهر رمضان ، وأنكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض ، وقالوا  
بإباحة المحارم والفروج والغلمان ، واعتلوا في ذلك بقول الله تعالى : **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ  
ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَأْتَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ! وقالوا بالتناسخ ....

وزعمت هذه الفرقة والمخمسة والعلياوية وأصحاب أبي الخطاب أن كل من  
انتسب إلى أنه من آل محمد فهو مبطل في نسبه مفتر على الله كاذب ، وأنهم الذي  
قال الله تعالى فيهم إنهم يهود ونصاري في قوله : **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ  
اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ** ... إذ كان محمد عندهم  
وعلي هو رب لا يلد ولا يولد ولا يستولد ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وكان سبب قتل محمد بن بشير لعنه الله ، لأنه كان معه شعبة ومخاريق ... وكان  
عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنه صورة أبي الحسن (الإمام الكاظم عليه السلام) في  
ثياب حرير ، وقد طلاها بالأدوية وعالجها بجمل عملها فيها ، حتى صارت شبيهاً  
بصورة إنسان وكان يطويها فإذا أراد الشعبة نفخ فيها فأقامها ! وكان يقول  
لأصحابه ان أبا الحسن عليه السلام عندي فإن أحببتم أن تروه وتعلموا أي نبي فهلتموا

أعرضه عليكم ، فكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه فيقول لهم : هل ترون في البيت مقيماً أو ترون فيه غيري وغيركم ؟ فيقولون : لا ، ليس في البيت أحد ، فيقول : أخرجوا فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر ويسبل الستر بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة ، ثم يرفع الستر بينه وبينهم ، فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبي الحسن لا ينكرون منه شيئاً ويقف هو منه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة أنه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يسأره ، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون ، ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً !

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها ، فهلكوا بها فكانت هذه حاله مدة ، حتى رفع خبره إلى بعض الخلفاء أحسبه هارون أو غيره ممن كان بعده من الخلفاء وأنه زنديق ، فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال : يا أمير المؤمنين استبقني فإني أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها فأطلقه ! فكان أول ما اتخذ له الدوالي ، فإنه عمد إلى الدوالي فسواها وعلقها وجعل الزبيق بين تلك الألواح ، فكانت الدوالي تمتلئ من الماء وتميل الألواح وينقلب الزبيق من تلك الألواح فيتبع الدوالي لهذا ، فكانت تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء في البستان فأعجبه ذلك ، مع أشياء عملها يضاهي الله بها في خلقه الجنة . فقوده ( جعله قائداً ) وجعل له مرتبة .

ثم إنه يوماً من الأيام انكسر بعض تلك الألواح فخرج منها الزبيق ، فتعطلت فاستراب أمره وظهر عليه التعطيل والإباحات ! وقد كان أبو عبد الله وأبو الحسن عليه السلام يدعوان الله عليه ويسألانه أن يذيقه حر الحديد فأذاقه الله حر الحديد . » .

وقد انخدع بهذه المذاهب والبدع بعض العوام . لكنها انتهت والحمد لله .



## بحث الروايات التي وردت عن بغداد

### ١ . تسمية بغداد بالزوراء

قال البكري في معجمه ( ٢ / ٧٠٥ ) : « الزوراء بفتح أوله ، ممدود . وهو إسم يقع على عدة مواضع ، فمنها الزوراء بالمدينة ، التي زاد عليها عثمان النداء الثالث يوم الجمعة لما كثر الناس .. والزوراء : موضع آخر في ديار بني أسد .. والزوراء أيضاً رصافة هشام بالشام وكانت للنعمان بن جبلة .. والزوراء : دار بالحيرة .. هدمها أبو جعفر المنصور .. وروى أبو عمر الزاهد عن العطافي عن رجاله قال : تذكروا عند الصادق الزوراء ، فقالوا : الزوراء : بغداد . فقال الصادق : ليس الزوراء بغداد ، ولكن الزوراء الري » . والري الآن حي من طهران .

أقول : الزوراء التي بالمدينة بيت لعثمان عند السوق منحرف البناء أمرهم أن يصعدوا على سطحه ويؤذنون قبل الأذان ليتهيأ الناس . ( صحيح بخاري : ١ / ٢١٩ ، ومسلم : ٧ / ٥٩ ، وابن ماجه : ١ / ٣٥٩ ، وعمدة القاري : ٦ / ١٦١ ، وابن أبي شيبة : ٦ / ٥٤ ) .

وفي معجم البلدان : ٣ / ١٥٥ : « زوراء : تأنيث الأزور وهو المائل .. ومنه سميت القوس الزوراء لميلها ، وبه سميت دجلة بغداد الزوراء .. قال الأزهري : سميت الزوراء لازرار في قبلتها .. وقال غيره : الزوراء مدينة أبي جعفر المنصور وهي في

الجانب الغربي ، وهو أصح مما ذهب إليه الأزهري بإجماع أهل السير ، قالوا : إنما سميت الزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة ، أي ليست على سمتها » .

وفي مجموع النووي : ١ / ١٢٢ : « وفي بغداد أربع لغات : إحداها بدالين مهملتين . والثانية بإهمال الأولى وإعجام الثانية . والثالثة بغدان بالنون . والرابعة مغدان . ومعناها بالعريية عطية الصنم وقيل بستان الضم . وسماها أبو جعفر المنصور مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام : ويقال لها الزوراء أيضاً » .

وقال المجلسي في بحار الأنوار : ٥ / ٢٧٩ : « والزوراء : بغداد » .

وتقدم في رواية أمالي الطوسي / ١٩٩ ، عن الإمام الباقر عليه السلام : « إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس : إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من التودد في النخالة ، فلما أتى موضعاً من أرضها قال : ما هذه الأرض ؟ قيل أرض بحرا . فقال : أرض سباخ جنبوا » .

وهذا يدل على أن الزوراء إسم لمحلة قرب بغداد وبراثا ، وأن أرض بحرا قسم من أرض الزوراء ، وأن براثا تقع الى يمينها ، لآتي من النهروان .

وما ذكره البكري عن الإمام الصادق عليه السلام رواه في الكافي ( ٨ / ١٧٧ ) : « عن معاوية بن وهب قال تمثل أبو عبد الله عليه السلام ببيت شعر لابن أبي عقب :

وينحر في الزوراء منهم لدى الضحى ثمانون ألفاً مثلما تنحر البدن

ثم قال لي : تعرف الزوراء ؟ قال قلت : جعلت فداك يقولون إنها بغداد قال : لا ، ثم قال عليه السلام : دخلت الري ؟ قلت نعم ، قال : أتيت سوق الدواب ؟ قلت نعم ،

قال : رأيت الجبل الأسود عن يمين الطريق ؟ تلك الزوراء يقتل فيها ثمانون ألفاً منهم ثمانون رجلاً من ولد فلان كلهم يصلح للخلافة ! قلت : ومن يقتلهم جعلت فداك ؟ قال : يقتلهم أولاد العجم .

فهذا الحديث عن زوراء أخرى قرب الري ، تقع فيها معركة يقتل فيها ثمانون ألفاً ، منهم ثمانون شخصاً من ولد العباس ، أو ولد أبي سفيان أو غيرهما . وقد وقعت معارك عديدة في الري وقتل فيها ألوف في ثورة أبي مسلم الخراساني ، ثم في معارك المأمون والأمين ، ثم في الأحداث الكثيرة بعدها .

فهو إخبار عن حدث يقع بعد عصر الإمام الصادق عليه السلام وليس فيه أي إشارة إلى اتصاله بعصر ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أو كونه علامة له .

وفي غيبة النعماني / ١٤٨ ، بسنده عن عبد الله بن ضمرة ، عن كعب الأخبار أنه قال : « ومن نسل علي القائم المهدي الذي يبدل الأرض غير الأرض ، وبه يحتج عيسى بن مريم عليه السلام على نصارى الروم والصين . إن القائم المهدي من نسل علي ، أشبه الناس بعيسى بن مريم خلقاً وخلقاً وسمتاً وهيبة ، يعطيه الله عز وجل ما أعطى الأنبياء عليهم السلام ويزيده ويفضله . إن القائم من ولد علي له غيبة كغيبة يوسف ورجعة كرجعة عيسى بن مريم ، ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الأحمر ، وخراب الزوراء وهي الري ، وحسف المزورة وهي بغداد ، وخروج السفياي ، وحرب ولد العباس مع فتیان أرمنيّة وأذربيجان ، تلك حرب يقتل فيها ألوف وألوف كل يقبض على سيف محلي تحفّق عليه رايات سود . تلك حرب يشوبها الموت الأحمر والطاعون الأعبر ...

ثم ذكر حديثاً عن علي عليه السلام جاء فيه : « إن لبني العباس يوماً كيوم الطموح ، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلي ، الويل لشيعة ولد العباس من الحرب التي سنح بين نهاوند والدينور ، تلك حرب صعاليك شيعة علي ، يقدمهم رجل من همدان اسمه على اسم النبي ، منعوت موصوف باعتدال الخلق وحسن الخلق ونضارة اللون ، له في صوته ضجاج ، وفي أشفاره وطف ، وفي عنقه سطع ، أفرق الشعر ، مفلج الثنايا ، على فرسه كبدر تمام إذا تجلى عنه الظلام ، يسير بعصا به خير عصا به آوت وتقربت ودانت لله بدين . تلك الأبطال من العرب الذين يلقحون حرب الكريهة ، والدبرة يومئذ على الأعداء . إن للعدو يومذاك الصيلم والإستئصال » .

أقول : يبدو أن النعماني رحمته الله قبل حديث عبد الله بن ضمرة عن كعب ، وحديث عمرو بن سعد عن أمير المؤمنين عليه السلام ولكنهما لا يصحان . فمضافاً إلى الإشكالات على متنه ، فإن راويه عبد الله بن ضمرة السلولي لم يوثق عندنا ، وحديثه مقطوع ، وكعب الأبحار لم يدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يسند حديثه إليه . كما أن كعباً ليس ثقة عندنا ، وقد كان مع معاوية ضد علي عليه السلام فلا ينسجم الحديث مع مذهبه !

نعم يحتمل أن يكون الحديث عن أبي بن كعب رحمته الله ونسب إلى كعب لأن عبد الله بن ضمرة يروي عنهما ، لكن الإحتمال لا يكفي ( راجع : معجم السيد الخوئي : ١١ / ٢٤٠ ، وعلل الدارقطني : ١١ / ٤٤ وثقات العجلي : ١ / ١٢٩ ، وتاريخ بخاري : ٥ / ١٢٢ ) .

وأما حديث عمرو بن سعد فلم يوثقه أحد ، وفي بقية رجاله وفي متنه إشكال ، ثم هو يتحدث عن خراب بغداد في أحداث ستقع « سنة إظهار غيبة المتغيب من ولدي » ولا بد أن يكون المقصود به معركة الإمام المهدي عليه السلام مع الظالمين .

## ٢ . رد روايات خسف بغداد وخرابها

شاع بين الناس الى عصرنا أن بغداد سوف يخسف بها وتُزول ، حتى يمرّ المائر فيقول هنا كانت بغداد ! وبعد تتبعي لروايات خراب بغداد اطمأنيت بأنها من وضع رواة بني أمية ، لأن العباسيين أنهوا الأمويين وحلت بغداد محل الشام ، فرغم أتباع الأمويين أن السفياي سيقتم لبني أمية ويدمر بغداد .

فقد رووا عن جرير بن عبد الله البجلي قال : « قال رسول الله ﷺ : تبني مدينة بين دجلة ودجيل والصرّة وقطربل ، تحبى إليها كنوز الأرض يخسف بها ، فلهي أسرع ذهاباً في الأرض من الحديدة الحمّاة في الأرض الخوّارة » ( ملاحم ابن المنادي / ٤٣ ، وتذكرة القرطبي : ٢ / ٦٨١ و ٦٩٧ ، وجامع السيوطي : ٤ / ٧٧٢ ، وموضوعات ابن الجوزي : ٢ / ٦١ ) .

ورروا عن أبي الأسود الدؤلي عن علي بن أبي طالب أنه قال : « سمعت حبيبي محمداً ﷺ يقول : سيكون لبني عمي مدينة من قبل المشرق بين دجلة ودجيل وقطربل والصرّة ، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب ، يسكنها شرار خلق الله وجبايرة أمي ، أما إن هلاكها على يد السفياي ، كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها » ( تاريخ بغداد : ١ / ٣٨ ) .

و « قُطْرِبَل .. كلمة أعجمية اسم قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب إليها الخمر ، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين » . ( معجم البلدان : ٤ / ٣٧١ ) .

وقد عقد الخطيب البغدادي في تاريخه ( ١ / ٥٤ ) « باب ذكر أحاديث رويت في الثلب لبغداد والطعن على أهلها ، وبيان فسادها وعللها وشرح أحوال رواتها وناقليها » .

وضَعَفَ هذه الأحاديث لوجود مجاهيل ووضاعين في أسانيدها . وكذلك فعل

ابن الجوزي في كتابه : الموضوعات ( ٦٠ / ٢ ) بتفصيل ، وأورد ستة عشر طريقاً لحديث جرير بن عبد الله البجلي ، وضعفها .

ونلاحظ أن في روايات خسف بغداد رواة يهوداً التقوا مع حلفائهم الأمويين في التبشير بزوال بغداد ، فقد روى الخطيب ( ٦٧ / ١ ) «عن أبي يعقوب الإسرائيلي وكان قد قرأ الكتب أنه قيل له : ما بال بغداد لا تكاد تُرى فيها إلا مستعجلاً ؟ فقال : لأنها قطعة من بابل فهي تلبيل بأهلها ... قال أبو الحسين بن المنادي : فنظرنا ما في كلام هذا الإسرائيلي فإذا هو كلام لا يصح في المعتبر » .

ومثل هذا الحديث يضع يدنا على العقدة اليهودية من بابل ، التي ما زالت تعيش في نفوسهم من يوم غزاهم نبوخذ نصر البابلي ، فهم يحلمون بتدمير بابل وبغداد !

\* \*

### ٣ . أحاديث جيش السفيناني في بغداد

أصل دخول جيش السفيناني الى العراق قطعي ، فهو من علامات ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وقد رواه السنة والشيعه ، كالبخاري : ٢ / ١٥٩ ، وفي : ٣ / ١٩ ، وقد جزأ حديثه وعنوانه بعنوانين بعيدة ! وفضح عمله الحاكم ( ٤ / ٥٢٠ ) ومسلم ( ٨ / ١٦٦ ) .

راجع : الجمع بين الصحيحين : ٤ / ٢٣٨ و ٤٥٥ / ٢٤٥ ، وابن شيبه : ١٥ / ٤٣ وأحمد : ٦ / ٣١٦ ، وأبا داود : ٤ / ١٠٧ ، وتهذيب ابن عساكر : ٣ / ٤٥٠ ، وجامع الأصول : ١٠ / ١٧٩ ، وجمع الفوائد : ١ / ٥٥ ، والمسند الجامع : ٢٠ / ٧٩٥ ، وابن ماجه : ٢ / ١٣٥٠ ، والنسائي : ٥ / ٢٠٧ ، والطبراني الكبير : ٢٣ / ٢٠٢ ، و : ٢٤ / ٧٥ ، والحاكم : ٤ / ٤٢٩ ، وصححه على شرط الشيخين ، وعبد الرزاق : ١١ / ٣٧١ .

وقال السيوطي في الدر المنثور : ٥ / ٢٤٠ : « وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس في قوله : **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** قال : هو جيش السفيناني ، قال : من أين أخذ ؟ قال : من تحت أرجلهم » .

وفي تفسير الطبري : ٢٢ / ٧٢ ، عن حذيفة برواية طويلة جاء فيها : « قال رسول الله وذكر فتنة بين أهل المشرق والمغرب : فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة ، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويقتلون بها أكثر من مائة امرأة ، ويقتلون بها ثلاث مائة كبش من بني العباس ، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام .. الخ . » . والكشاف : ٣ / ٤٦٧ ، وتذكرة القرطبي : ٢ / ٦٩٣ ، وتفسيره : ١٤ / ٣١٤ ، والبحر المحيط : ٧ / ٢٩٣ ، ونوادير الأخبار : ٢٥٧ / ٣ ، والإستيعاب : ٣ / ٩٢٨ .

وفي الفتن لابن حماد : ١ / ٣٢٩ ، « عن علي رضي الله عنه قال : إذا نزل جيش في طلب

الذين خرجوا إلى مكة ، فنزلوا البيداء خسف بهم وبياد بهم ، وهو قوله عز وجل :  
**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَالَا فَوَتْ وَأَخْدُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ .** من تحت أقدامهم .

والذي أعتقده أن حديث دخول جيش السفياي الى الحجاز والعراق صحيح في أصله بل متواتر بالمعنى ، لكن الرواة الأمويين زادوا عليه سيطرة السفياي على العراق وتدميره بغداد ! لكن لا تجد ذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام .

بل تجد فيها أن جيش السفياي يكون منتدباً لمهمة حفظ الأمن في المدينة وفي العراق وتكون مدته قصيرة لأنه قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ببضعة شهور .

وذكرت أحاديث أهل البيت عليهم السلام أن جيشه في العراق يصيب أناساً من شيعة آل محمد صلوات الله عليهم ، كما ذكرت سيطرته على المدينة المنورة وقتله أفراداً وحبسه بني هاشم ، ثم يتجه الى مكة فيخسف به . ولم تذكر أنه يدمر بغداد ولا يحتل العراق !

ففي تفسير العياشي : ١ / ٦٥ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « ويظهر السفياي ومن معه حتى لا يكون له همة إلا آل محمد عليهم السلام وشيعتهم فيبعث بعثاً إلى الكوفة فيصيب أناساً من شيعة آل محمد عليهم السلام قتلاً وصلباً ، ويبعث بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً ويهرب المهدي والمنصور منها ، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم ، لا يترك منهم أحد إلا أخذ وحبس ، ويخرج الجيش في طلب الرجلين ، ويخرج المهدي منها على سنة موسى خائفاً يترقب ، حتى يقدم مكة » .

وفي الإختصاص / ٢٥٥ ، عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً : « ثم لا يكون همهم إلا الإقبال نحو العراق ويمر جيشه بقرقيسا فيقتلون بها مائة ألف رجل من الجبارين . ويبعث السفياي جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألف رجل ، فيصيبون من أهل الكوفة



قتلاً وصلباً وسبياً ، فبيناهم كذلك إذ أقبلت رايات من ناحية خراسان تطوى المنازل طياً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم ، وخرج رجل من موالي أهل الكوفة ، فيقتله أمير جيش السفياي بين الحيرة والكوفة » .

وبهذا يتضح أن ما ورد في تدمير بغداد وزوالها على يد السفياي ، وأفاعيله الواسعة في العراق ، من إضافات الرواة الأمويين .

ومما يؤيد ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام أخبر بأن المهدي عليه السلام سيدمر الشام في معركته مع السفياي واليهود ، ففي معاني الأخبار / ٤٠٦ ، عن عباية الأسدي ، قال : « سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وهو مسجى وأنا قائم عليه يقول : لآبني بمصر منبراً ، ولأنقضن دمشق حجراً حجراً ، ولأخرجن اليهود والنصارى من كور العرب ، ولأسوقن العرب بعصاي هذه ! قال قلت له : يا أمير المؤمنين كأنك تخبرنا أنك تحيا بعد ما تموت؟! فقال : هيهات يا عباية ، ذهبت في غير مذهب . يفعله رجل مني » .

فيبدو أن هذا الحديث أثار الأمويين ، فأضافوا الى حديث السفياي الصحيح ، أنه سيدمر بغداد ويقتل أهل العراق !

\* \*

#### ٤ . صحة الأحاديث التي تدم الجبارة في بغداد

قال العلامة الحلبي في كشف اليقين / ٨٠ ، في فصل إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالمغيبات :  
« ومن ذلك إخباره بعمارة بغداد ، وملك بني العباس ، وذكر أحوالهم ، وأخذ المغول الملك منهم . رواه والدي عليه السلام وكان ذلك سبب سلامة أهل الحلة والكوفة والمشهدين الشريفين من القتل ، لأنه لما وصل السلطان هولوكو إلى بغداد ، وقبل أن يفتحها هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح إلا القليل ، فكان من جملة القليل والدي عليه السلام ، والسيد محمد الدين بن طاووس والفقير ابن أبي العز ، فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت الإليية ، وأنفذوا به شخصاً أعجمياً فأنفذ السلطان إليهم فرماناً مع شخصين : أحدهما يقال له فلانة والآخر يقال له علاء الدين ، وقال لهما إن كانت قلوبهم كما وردت به كتبهم فيحضرون إلينا ، فجاء الأيران فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي الحال إليه ، فقال والدي عليه السلام : إن جئت وحدي كفى؟ فقالا : نعم ، فأصعد معهما ، فلما حضر بين يديه ، وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة ، قال له : كيف أقدمتم على مكاتبتني والحضور عندي قبل أن تعلموا ما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم ! وكيف تأمنون إن صالحني ورحلت عنه؟! فقال له والدي : إنما أقدمنا على ذلك لأننا روينا عن إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في بعض خطبه : الزوراء وما أدراك ما الزوراء أرض ذات أثل ، يشد فيها البنيان ويكثر فيها السكان ، ويكون فيها قهارم وخزان ، يتخذها ولد العباس موطناً ، ولزخرفهم مسكناً ، تكون لهم دار لهو ولعب ، ويكون بها الجور الجائر والخوف المخيف ، والأئمة الفجرة والقراء



الفسقة والوزراء الخونة ، يخدمهم أبناء فارس والروم ، لا يأتّمرون بمعروف إذا عرفوه ، ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه ، يكتفي الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء ! فعند ذلك الغم الغميم والبكاء الطويل ، والويل والعويل لأهل الزوراء ، من سطوات الترك وما هم الترك ، قوم صغار الحدق ، وجوههم كالبحان المطرقة ، لباسهم الحديد ، جرد مرد ، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم ، جهوري الصوت قوي الصولة عالي الهمة ، لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا نكسها ، الويل الويل لمن ناوأه ، فلا يزال كذلك حتى يظفر .

فلما وصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم ، رجوناك فقصدناك ! فطيب قلوبهم وكتب لهم فرماناً باسم والدي ﷺ يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها »

ولم أجد مصدر هذا الحديث وسنده ، ووجدت قريباً منه في كفاية الأثر / ٢١٣ ، عن علقمة بن قيس قال : خطبنا أمير المؤمنين ﷺ على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيما قال في آخرها : « ألا وإني ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب ، فارتقبوا الفتنة الأموية والمملكة الكسروية وإماتة ما أحياه الله وإحياء ما أماته الله ، واتخذوا صوامعكم بيوتكم ، وعضوا على مثل جمر الغضا ، فاذكروا الله ذكراً كثيراً ، فذكره أكبر لو كنتم تعلمون . ثم قال : وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيلية والفرات ، فلو رأيتموها مشيدة بالحص والآجر ، مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستسقى ، والمرمر والرخام وأبواب العاج والأبنوس ، والخيم والقباب والشاريات ، وقد عُليت بالساج والعرعر والسنوبر والخشب ، وشيدات بالقصور ، وتوالت عليها ملوك بني الشيبان أربعة وعشرون ملكاً

على عدد سني الملك الكديد ، فيهم السفاح والمقلاص والجموع والخدوع والمظفر والمؤنث والنظار والكبش والمهتور والعشار والمصطلم والمستصعب والعلام والرهباني والخليع والسيار والمسرف والكديد والأكتب والمترف والأكلب والوشيم والظلام والعيوق .

وتعمل القبة الغبراء ذات القلادة الحمراء ! في عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين الأقاليم كالقمر المضيئ بين الكواكب الدرية . ألا وإن لخروجه علامات عشرًا : أولها طلوع الكوكب ذي الذنب ويقارب من الحاوي ، ويقع فيه هرج ومرج وشغب ، وتلك علامات الخصب ، ومن العلامة إلى العلامة عجب ، فإذا انقضت العلامات العشر ، إذ ذاك يظهر القمر الأزهر ، وتمت كلمة الإخلاص لله على التوحيد » . وملاحم ابن طاووس / ١٣٦ ، ومناقب ابن شهرآشوب : ٢ / ٢٧٣ ، ومشارك البرسي / ١٦٤ ، قال : ومن ذلك ما ورد عنه في خطبة الإفتخار ، وعنه إثبات الهداة : ١ / ٥٩٨ و : ٢ / ٤٤٢ ، والبحار : ٣٦ / ٣٥٤ ، و : ٤١ / ٣١٨ و ٣٢٩ ، و : ٥٢ / ٢٦٧ .

لكن اعتماد علماء الحلة على الحديث المتقدم يدل على أنه ثبت عندهم بسند صحيح ، وإن لم يصلنا مصدره ، في كثير من مصادرنا التي فقدناها .

ويظهر أن الأمويين رووا أجزاء من أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام وحذفوا منها ذم بني العباس وذكر المغول ، وأضافوا لها أن بغداد يخسف بها ، أو أنها تُدمَّر على يد السفيناني !

\* \*

## المنصور العباسي مؤسس بغداد

### ١ . شخصية المنصور وأسرته

أبو جعفر المنصور العباسي ، أو المنصور الدوانيقي ، هو ثاني الخلفاء العباسيين وهو مؤسس الدولة العباسية ، ومؤسس المذاهب الأربعة ، ومؤسس بغداد .

إسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وكان جده عبد الله بن عباس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان معه في حروبه مع عائشة وطلحة والزبير ومعاوية والخوارج ، ثم كان ضد يزيد بن معاوية ، وضد ابن الزبير ، وقد نفاه الأخير من مكة ، فسكن الطائف وتوفي فيها .

وكان ابنه الصغير علي بن عبد الله أحب أبنائه إليه ، فأوصاه أن يذهب بعد وفاته الى الشام ، لأن بني أمية خير له من آل الزبير ، فهم وبنو هاشم أولاد عبد مناف .

وسكن ابنه علي في الشام وأكرمه الأمويون ، وبعده ابنه محمد ، حتى غضب عليه الخليفة الأموي فأبعده الى الأردن ، وكان يعطيه نفقته .

وبرز ابنه إبراهيم بن محمد الذي تبناه قائد الثورة الخراسانية أبو سلمة الخلال ، فسجنه الخليفة الأموي مروان بن محمد المعروف بمروان الحمار ، ومات في السجن . وهرب إخوته السفاح والمنصور وغيرهم من بني العباس ، وكانوا يتابعون أخبار ثورة الخراسانيين على الأمويين ، لأنها كانت تحت شعار إعادة

الحق الى الرضا من آل محمد عليهم السلام .

ولما انتصرت الثورة ووصلت قوات أبي مسلم الخراساني الى الكوفة ، جاء العباسيون اليها ، لكن قائد الثورة أبا سلمة الخلال حبسهم في بيت ، وأرسل مبعوثاً الى الإمام جعفر الصادق عليه السلام يعرض عليه البيعة بالخلافة ، فلم يقبل ، فعرضها على عبد الله بن الحسن فلم يقبلها له وأرادها لابنه محمد ، فقام أبو سلمة ببيعة السفاح واسمه أيضاً عبد الله .

كان السفاح أصغر من المنصور بعشر سنين ، فقد ولد المنصور سنة ٩٥ هجرية وولد السفاح سنة ١٠٤ ، وزعموا أن أباهما أوصى للسفاح بعد إبراهيم ، لأنه أصغر إخوته ، وأمه حارثية من آل عبد المدان ، وأم المنصور أمة فارسية .

وحكم السفاح أربع سنوات وكانت عاصمته الأنبار ، وتوفي سنة ١٣٦ فجأة وهو شاب وعمره ٣٥ سنة ، وقالوا إنه أوصى للمنصور الذي كان عمره يومها ٤١ سنة ، فحكم نحو ٢٣ ، وجعل الخلافة في أولاده ، ولم تخرج منهم .

« وكان ( المنصور ) أسمر طويلاً ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، يخضب بالسواد » . ( تاريخ دمشق : ٣٢ / ٣٤٦ ) . وأمه سلامة ، وهي أمة ( التنبية للمسعودي / ٢٩٥ ) من بلدة إيذة الفارسية في الأهواز ، وقد ولدت بالبصرة ، وأخذت ابنها المنصور الى بلدها إيذة ، فقد عمل فيها جانياً ، وتزوج وولد ابنه المهدي فيها !

ولم تكن سلامة محترمة ، فقد وصفها عبد الله عم المنصور بالزانية قال : « أفعَلَهَا ابن سلامة الفاعلة ، لا يكني » ! ( أنساب الأشراف / ١٠٠٧ ) .

وقد كتبنا في جواهر التاريخ ترجمة وافية للمنصور ، وأبرز صفاته ، وخطته لإبادة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام ، وقتله الإمام الصادق عليه السلام .

## ٢ . نَقَلَ المنصور العاصمة حتى استقر في بغداد

نقل المنصور عاصمته من الأنبار الى الحيرة ، ثم الى الهاشميات قرب الكوفة ، ثم بنى بغداد وسكن فيها . قال في معجم البلدان : ١ / ٤٥٩ : « فأنفق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار .. وذاك أن الأستاذ من الصناعات كان يعمل في كل يوم بقيراط إلى خمس حبات ، والروزجاري ( العامل ) يجتهد إلى ثلاث حبات ، وكان الكبش بدرهم ، والحمل بأربعة دوايق ، والتمر ستون رطلاً بدرهم ... وكان بين كل باب من أبواب المدينة والباب الآخر ميل ، وفي كل ساف من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنان وستون ألف لبنة من اللبن الجعفري ... »

وكان المنصور كما ذكرنا بنى مدينته مدورة وجعل داره وجامعها في وسطها ، وبنى القبلة الخضراء فوق إيوان ، وكان علوها ثمانين ذراعاً ، وعلى رأس القبلة صنم على صورة فارس في يده رمح ... وسقط رأس هذه القبلة سنة ٣٢٩ ، وكان يوم مطر عظيم ورعد هائل ، وكانت هذه القبلة تاج البلد وعلم بغداد ، ومآثرة من مآثر بني العباس ، وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيّف وثمانون سنة ... وكان لا يدخل أحد من عمومة المنصور ولا غيرهم من شئ من الأبواب إلا راجلاً .. فقال له عمه عبد الصمد : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير ، فلو أذنت لي أن أنزل داخل الأبواب فلم يأذن له .. ثم أقطع المنصور أصحابه القطائع فعمروها « .

وفي الطبري : ٦ / ٢٣٧ ، ٢٩٧ : « وبعث إلى راهب في الصومعة فقال : هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة ؟ فقال له : بلغني أن رجلاً يقال له مقلاص يبنها ! قال أنا والله مقلاص « ! » فرآه راهب كان هناك وهو يقدرّ بناءها فقال : لا تتم ! فبلغه

فأتاه فقال : نعم ، نجد في كتبنا أن الذي بينها ملك يقال له مقلاص ! قال أبو جعفر : كانت والله أُمِّي تلقبني في صغري مقلاصاً » ! ( تاريخ بغداد : ١ / ٨٧ ) .

وأصل المقلاص : الناقة السمينه ( الصحاح : ٣ / ١٠٥٣ ) وسمي به سارق مشهور كان يسرق النوق السَّمان ! ففي هامش النهاية لابن كثير : ١٠ / ١٠٨ : « مقلاص : إسم لص كانت تضرب به الأمثال ، وكان أبو جعفر المنصور صبيّاً سرق غزلاً لعجوز كانت تخدمه وباعه لينفق على أترب له ، فلما علمت بفعلته سمته مقلاصاً ، وغلب عليه هذا اللقب » . وتاريخ الذهبي : ٩ / ٣٣ ، والنهاية : ١٠ / ١٠٨ .

وسماه أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في خطبته عن بني عباس ! قال عليه السلام : « وتبني مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات ، فلو رأيتموها مشيدة بالخص والأجر مزخرفة بالذهب والفضة والالزورد المستسقى والمرموم والرخام وأبواب العجاج والأبنوس . . وتوالت ملوك بني الشيبان ( أي الشيطان ) أربعة وعشرون ملكاً على عدد سني الملك ، فيهم السفاح والمقلاص والجموح والخدوع والمظفر والمؤنث والنطار والكبش والكيسر والمهثور والعيارخ . » ( كفاية الأثر / ٢١٣ ، والمناقب : ٢ / ١٠٨ ) .

### ٣ . ظلم بني العباس أشهر من كفر إبليس !

كان السفاح أول خلفاء بني العباس ليناً أكثر من بقيتهم ! وكان شيعياً كبقية إخوته ، فقد خطب عمه داود بن علي في مراسم بيعته فقال : « أيها الناس ! الآن تقشعت حنادس الفتنة .. وأخذ القوس باريها ، ورجع الحق إلى نصابه في أهل



بيت نبيكم ، أهل الرأفة بكم والرحمة لكم والتعطف عليكم .. وإنه والله أيها الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من علي بن أبي طالب ، وهذا القائم خلفي ، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر » . ( يعقوبي : ٢ / ٣٥٠ ) .

وحكم السفاح أربع سنوات ومات دفعة ، وتولى بعده أخوه المنصور وكان أكبر منه بعشر سنوات ، ولا يبعد أنه سمه !

وحكم المنصور نحو ٢٣ سنة ، وأباد أعمامه وإخوته أو أخضعهم ، وحصر الخلافة في أولاده ، فلم يحكم بعده أحدٌ إلا من أولاده !

وظلم بني العباس أشهر من كفر إبليس ! فقد شكى أحد من ظلمهم فحكم عليه المنصور أن يدفن حياً ! قال سديف الشاعر :

« إننا لنأمل أن ترتد ألفتنا      بعد التباعد والشحناء والإحـن  
وتنقضي دولة أحكام قادتها      فينا كأحكام قوم عابدي وثن  
فطالما قد بروا في الجور أعظمتنا      بري الصنـاع قداح النبع بالسفن

فكتب المنصور إلى ( عمه حاكم المدينة ) عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ، ففعل !

وقال أبو عطاء : يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار !

( حياة الإمام الرضا عليه السلام للسيد جعفر مرتضى / ١٠٧ ، وشرح إحقاق الحق : ٣ / ٤٢١ ، عن العمدة

لابن رشيق : ١ / ٥٨ ، طبع مصر ) .

وقال المنصور لأعرابي في الشام : « أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت ! قال : إن الله تعالى لا يجمع علينا ولايتكم والطاعون ! فسكت ولم يزل يطلب له العلل حتى قتله ! ( تاريخ دمشق : ٣٢ / ٣١٩ ، والنهـاية : ١٠ / ١٣١ ) .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ٢ / ١٤٤ ، أن المنصور سأل ابن أبي ذؤيب ، ومالك بن أنس ، وابن سمعان ، وهم أئمة عند السنة : « أي الرجال أنا عندكم ، أمن أئمة العدل ، أم من أئمة الجور ؟ فقال مالك : فقلت يا أمير المؤمنين ، أنا متوسل إليك بالله تعالى وأتشفع إليك بمحمد وبقرابتك منه ، إلا ما أعفيتني من الكلام في هذا ! قال : قد أعفأك أمير المؤمنين ، ثم التفت إلى ابن سمعان فقال له : أيها القاضي ناشدتك الله تعالى أي الرجال أنا عندك ؟ فقال ابن سمعان : أنت والله خير الرجال يا أمير المؤمنين ، تحج بيت الله الحرام ، وتجاهد العدو ، وتؤمن السبل ويأمن الضعيف بك أن يأكله القوي ، وبك قوام الدين ، فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة !

ثم التفت إلى ابن أبي ذؤيب فقال له : ناشدتك الله أي الرجال أنا عندك ؟ قال : أنت والله عندي شر الرجال ، استأثرت بمال الله ورسوله ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين ، وأهلك الضعيف وأتعبت القوي وأمسكت أموالهم ، فما حجتك غداً بين يدي الله ؟

فقال له أبو جعفر : ويحك : ما تقول ، أتعقل ؟ أنظر ما أمامك ! قال : نعم ، قد رأيت أسيفاً ، وإنما هو الموت ولا بد منه ، عاجله خير من آجله !

ثم خرجا وجلستا ، قال : إني لأجد رائحة الحنوط عليك ! قلت : أجل : لما نمت إليك عني ما نمتي وجاءني رسولك في الليل ظننته القتل ، فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفي ! فقال أبو جعفر : سبحان الله ما كنت لأتلم الإسلام وأسعى في نقضه ، أو ما تراني أسعى في أود الإسلام وإعزاز الدين عائداً بالله مما قلت يا أبا

عبد الله ، إنصرف إلى مصرك راشداً مهدياً ، وإن أحببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك أحداً ، ولا يعدل بك مخلوقاً !

فقلت : إن يجزني أمير المؤمنين على ذلك فسمعاً وطاعة ، وإن يجزني أمير المؤمنين اخترت العافية . فقال : ما كنت لأجبرك ولا أكرهك ، إنقلب معاني مكلوؤ . قال : فبت ليلتي ، فلما أصبحنا أمر أبو جعفر بصرر دنانير ، في كل صرة خمسة آلاف دينار ، ثم دعا برجل من شرطته فقال له : تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة ، أما مالك بن أنس إن أخذها فبسبيله وإن ردها لا جناح عليه فيما فعل ، وإن أخذها ابن أبي ذؤيب فأتني برأسه ! وإن ردها عليك فبسبيله لا جناح عليه . وإن يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه وإن أخذها فهي عافيته ! فنهض بها إلى القوم ، فأما ابن سمعان فأخذها فسلم ، وأما ابن أبي ذؤيب فردها فسلم ، وأما أنا فكنت والله محتاجاً إليها فأخذتها !

أقول : وهذا من دهاء المنصور ، ولا بد أنه قتله سراً بالسم ونحوه !

#### ٤ . الثروة التي ورثها المنصور لابنه

قال الربيع الحاجب : « مات المنصور وفي بيت المال شيء لم يجمعه خليفة قط قبله مائة ألف ألف درهم وستون ألف ألف درهم ، فلما صارت الخلافة إلى المهدي قسم ذلك وأنفقه . وقال الربيع : نظرنا في نفقة المنصور فإذا هو ينفق في كل سنة ألفي درهم ، مما يجيء من مال الشراة » . ( تاريخ بغداد : ٣ / ١١ ) .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : ٤٣٨ / ١٠ : « جمع من الأموال ما لا يعبر عنه ، وكان

مسيكاً (بجياً) ، فذكر عن الربيع الحاجب أنه قال : مات المنصور وفي بيت المال مائة ألف ألف درهم وستون ألف ألف درهم .. وزن ذلك المال بالقنطار الدمشقي ألف قنطار وست مائة قنطار وسبعون ، وإذا صرف بها ذهب مصري جاء أزيد من مائة قنطار وسبعين قنطاراً » .

« فتح المنصور يوماً خزانة مما قبض من خزائن مروان بن محمد فأحصى فيها اثني عشر ألف عدل خز ، فأخرج منها ثوباً وقال : يا ربيع إقطع من هذا الثوب جبتين لي واحدة ولمحمد واحدة ، فقلت : لا يجيء منه هذا . قال : فاقطع لي منه جبة وقلنسوة ، وبخل بثوب آخر يخرجه للمهدي ! فلما أفضت الخلافة إلى المهدي أمر بتلك الخزانة بعينها ففرقت على الموالي والغلمان » . ( تاريخ بغداد : ٣ / ١١ ) .

« قال لي المهدي : يا ربيع قم بنا حتى ندور في خزائن أمير المؤمنين ، قال فدرنا فوقفنا على بيت فيه أربع مائة حبّ مطينة الرؤوس ، قال فقلنا : ما هذه ؟ قيل : هذه فيها أكباد مملحة ، أعدها المنصور للحصار » . ( تاريخ دمشق : ٣٢ / ٣٣٢ ) .

## ٥ . كان المنصور شيعياً قبل ثورة الحسينيين !

كان المنصور شيعياً وبايع مهدي الحسينيين الذين ثاروا على الأمويين لإعادة الخلافة لآل النبي صلى الله عليه وآله ، وكان شعارهم البراءة من بني تيم وعدي ، وبني أمية !

وكان المنصور يخدم محمداً « قال عمير بن الفضل الخثعمي : رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه ، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود ، وأبو جعفر ينتظره ، فلما خرج وثب أبو

جعفر فأخذ بردائه حتى ركب ، ثم سوى ثيابه على السرج ومضى محمد ! فقلت  
وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمدا : من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى  
أخذت بركابه ، وسويت عليه ثيابه ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد  
بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، مهدينا أهل البيت » . ( مقاتل الطالبين / ١٦١ ) .

كما خطب عمه داود بن علي في مراسم بيعة السفاح ، فقال : « وإنه والله أيها  
الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من علي بن أبي طالب ،  
وهذا القائم خلفي ، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر » . ( تاريخ يعقوبي : ٢ / ٣٥٠ ) .

كما كان العديد من وزراء المنصور وأنصاره شيعة ، وقد أقطعهم إقطاعات في  
بغداد ، كآل يقطين وآل نوبخت .

## ٦ . المنصور مهندس الخلافة ومهندس المذاهب !

بعد عشر سنوات من خلافته ، كان المنصور مشغولاً ببناء بغداد ، فواجه ثورة  
الحسينيين الخطيرة ، فانشغل بها عن كل شيء ، حيث أيد الحسينيين كبار فقهاء  
الحجاز والعراق مثل مالك بن أنس وأبي حنيفة وسفيان الثوري ، وأفتوا بوجوب  
الثورة معهم على المنصور ! وسماه أبو حنيفة : « لص الخلافة » !

وسيطر الحسينيون على الحجاز والبصرة والأهواز وواسط ، وهزم جيشهم  
الكثيف جيش المنصور ووصل الى مشارف الكوفة ، وتهيأ المنصور للهرب لولا  
أن قائد الحسينيين إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثني ، أصابه سهم طائش فقتله ،  
فاستعاد المنصور النصر عليهم !

وبعد انتصاره رابط في الكوفة ، واشتغل بترتيب أوضاع الحجاز والعراق ، بل بترتيب مستقبل الدولة العباسية ، واتخذ في ذلك قرارات تاريخية هامة ، سياسية وعقائدية وفقهية ، كانت وما زالت هي الحاكمة على حياة المسلمين وثقافتهم !

وبذلك صار المنصور عمر بن الخطاب الثاني ، لأن الأول كان مهندس الخلافة الإسلامية وخطوط ثقافتهم العامة ، وكان المنصور المهندس الثاني للخلافة ومذاهبها الفقهية وعقائدها وتفاصيل ثقافتها !

وأبرز مراسيمه وقراراته ستة :

### الأول : تأسيس مذاهب مقابل مرجعية الإمام الصادق عليه السلام

يعترف أئمة المذاهب بأن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أب المذاهب الفقهية ، وأستاذ أئمتها ، ويروون تعظيمهم له عليه السلام علمياً وفقهياً وتقوى !

لذلك قرر المنصور أن يؤسس مذاهب فقهية بإمامة تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام ليصرف مرجعية المسلمين منه اليهم !

قال الذهبي في سيره ( ٨ / ١١١ ) وابن خلدون في مقدمته / ١٨ ، إن المنصور أحضر مالك بن أنس وقال له بدعائه : « لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك ! وإنني قد شغلتي الخلافة ، فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به ، تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة . قال مالك : فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ » !

وقال القاضي عياض في ترتيب المدارك / ١٢٤ : « قال مالك : فقلت له : إن أهل العراق لا يرضون علمنا ( لأنهم شيعة أو متأثرون بهم ) !

قال : يُضربُ عليه عامَّتُهُم بالسيف وتقطع عليه ظهورهم بالسياط ! »

وشرط عليه المنصور أن لا يروي عن علي عليه السلام ! ولذلك لا تجد في الموطأ أي رواية عن علي عليه السلام ! ( مستدرک الوسائل : ١ / ٢٠ ) .

وقد أسس مالك المذهب المالكي ، مع أنه يقول : « ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد ، فضلاً وعلماً وورعاً ، وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال : إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً . وكان من عظماء البلاد ، وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم ، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد ، فإذا قال : قال رسول الله اخضراً مرةً واصفرَّ أخرى حتى لينكره من لا يعرفه » . ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٣٩٦ ) .

وقال مالك أيضاً : « اختلفتُ إلى جعفر بن محمد زماناً ، وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصل ، وإما صائم ، وإما يقرأ القرآن ، وما رأيته يحدث عن رسول الله (ص) إلا على طهارة . وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله .

ولقد حججت معه سنة ، فلما أتى الشجرة أحرم ، فكلما أراد أن يُهلَّ كاد يغشى عليه فقلت له : لا بد لك من ذلك ، وكان يكرمني وينسبط إلي ، فقال : يا ابن أبي عامر إني أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك !

ولقد أحرم جده علي بن حسين ، فلما أراد أن يقول اللهم لبيك أو قالها ، غشي عليه وسقط عن ناقته « ( التمهيد لابن عبد البر : ٢ / ٦٧ ، وبعضه تهذيب التهذيب : ٢ / ٨٨ ) .

ولو سألت مالكا : ما دامت هذه عقيدتك في أستاذك ، فلماذا أسست مذهباً ضده ولماذا لم ترو عنه في كتابك الموطأ إلا خمسة أحاديث !؟

فجوابه : إن المنصور العباسي أمره بذلك ، والمأمور معذور !

وكذلك حال أبي حنيفة ، فقد سئل : « من أفقه من رأيت ؟ قال : جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال : يا أبا حنيفة إن الناس قد فُتتوا بجعفر بن محمد ، فهى له مسائلك الشداد ، فهيات له أربعين مسألة ، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه ، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلي لأبي جعفر ، فسلمت عليه فأومأ إليّ فجلست ، ثم التفت إليه فقال : يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة . فقال : نعم أعرفه . ثم التفت إليّ فقال : ألق على أبي عبد الله من مسائلك ، فجعلت ألقى عليه ويجيبني ، فيقول : أنتم تقولون وكذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، ونحن نقول كذا ، وربما تابعنا ، وربما تابعهم ، وربما خالفنا جميعاً ، حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أحل منها بشئ ! ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا : أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس » ! ( المناقب : ٣ / ٣٧٨ ، وتحذيب الكمال : ٥ / ٧٩ ، وسير الذهبي : ٦ / ٢٥٨ .. وغيره ) .

ولو سألت أبا حنيفة : ما دامت هذه عقيدتك في أستاذك ، فلماذا أسست مذهباً ضده ، وخالفت فقهه ؟ فجوابه : هكذا أمرني أبو جعفر المنصور ، والمأمور معذور !

وقال الذهبي في سيره : ٦ / ٢٥٧ : « عن عمرو بن أبي المقدم قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين ! قد رأيتته واقفاً عند الجمرة يقول : سلوني ، سلوني ! وعن صالح بن أبي الأسود : سمعت جعفر بن محمد يقول سلوني قبل أن تفقدوني ، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي » !

وقال ابن حجر في الصواعق / ٢٠١ : « ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به



الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان . روى عنه الأئمة الأكابر ك يحيى بن سعيد وابن جريح ، ومالك ، والسفيانين ، وأبي حنيفة ، وشعبة ، وأيوب السجستاني « .

وقال الشيخ محمد أبو زهرة : « لا نستطيع في هذه العجالة أن نخوض في فقه الإمام جعفر ، فإنَّ أستاذ مالك وأبي حنيفة وسفيان بن عيينة ، لا يمكن أن يدرس فقهه في مثل هذه الإمامة » .

وقال ابن أبي الحديد : « أما أصحاب أبي حنيفة فأخذوا عن أبي حنيفة ، وأما الشافعي فهو تلميذ تلميذ أبي حنيفة ، وأما ابن حنبل فهو تلميذ الشافعي . وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق ، وعلمه ينتهي إلى علم جده علي عليه السلام » .

وقال الإيجي في المواقيف : ٣ / ٦٣٨ : « كان أبو يزيد ( البسطامي ) مع علو طبقتة سَقَاءً في دار جعفر الصادق رضي الله عنه ، وكان معروف الكرخي بواب دار علي بن موسى الرضا ، هذا مما لا شبهة في صحته ، فإن معلوماً كان صبيّاً نصرانياً فأسلم على يد علي بن موسى وكان يخدمه . وأما أبو يزيد فلم يدرك جعفرأ بل هو متأخر عن معروف ، ولكنه كان يستفيض من روحانية جعفر » . والطرائف / ٥٢٠ .

وترجم الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء : ٣ / ١٩٢ ، للإمام الصادق عليه السلام بتفصيل ، ومما قاله : « الإمام الناطق ذو الزمام السابق ، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، أقبل على العبادة والخضوع ، وآثر العزلة والخشوع ، ونهى عن الرئاسة والجموع ..

أحمد بن عمرو بن المقدم الرازي قال : وقع الذباب على المنصور فذبه عنه ، فعاد فذبه حتى أضجره ، فدخل جعفر بن محمد عليه فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب ؟ قال : ليُدلَّ به الجبارة !

وأقبل على أبي حنيفة فقال : يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله (ص) قال : أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس قال الله تعالى له : أسجد لآدم ، فقال : **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** . فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس ، لأنه اتبعه بالقياس !

ثم قال جعفر : أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا ؟ قال قتل النفس . قال : فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ! ثم قال : أيهما أعظم الصلاة أم الصوم ؟ قال : الصلاة ، قال : فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فكيف ويحك يقوم لك قياسك ! إتق الله ولا تقس الدين برأيك .

### الثاني : إبادة العلويين حتى أطفالهم !

اتخذ المنصور قراراً بإبادة العلويين جميعاً حتى لو لم يقوموا بعمل ضد حكمه !

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد : ٣١١ / ١ : « ومن آيات الله تعالى فيه ( أمير المؤمنين عليه السلام ) أنه لم يُمنَّ أحد في ولده وذريته بما مني عليه السلام في ذريته ، وذلك أنه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبي ولا إمام ولا ملك زمان ولا بر ولا فاجر ، كالخوف الذي شمل ذرية أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا لحق أحداً من القتل والطرده عن الديار والأوطان والإخافة والإرهاب ما لحق ذرية أمير المؤمنين عليه السلام وولده !

ولم يجر على طائفة من الناس من ضروب النكال ما جرى عليهم من ذلك ، فقتلوا بالفتك والغيلة والإحتيال ، وبني على كثير منهم وهم أحياء البنيان ، وعذبوا بالجوع والعطش حتى ذهبوا أنفسهم على الهلاك ، وأحوجهم ذلك إلى

التمزق في البلاد ومفارقة الديار والأهل والأوطان ، وكتمان نسبهم عن أكثر الناس ! وبلغ بهم الخوف إلى الإستخفاء من أحبائهم فضلاً عن الأعداء ، وبلغ هربهم من أوطانهم إلى أقصى الشرق والغرب والمواضع النائبة في العمران ، وزهد في معرفتهم أكثر الناس ، ورغبوا عن تقريبتهم والإحتلاط بهم ، مخافة على أنفسهم وذريتهم من جبايرة الزمان !!

وقال الحاكم الأنماطي النيسابوري كما في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٠٢ / ٢ : « لما بني المنصور الأبنية ببغداد ، جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ، ويجعل من ظفر منهم في الأسطوانات المحوفة المبنية من الجص والآجر ! فظفر ذات يوم بغيلام منهم حسن الوجه ، عليه شعر أسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فسلمه إلى البناء الذي كان يبني له وأمره أن يجعله في جوف أسطوانة ويبي عليه ووكل عليه من ثقاته من يراعي ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشاهدة ! فجعله البناء في جوف أسطوانة فدخلته رقه عليه ورحمه له ، فترك الأسطوانة فرجه يدخل منها الروح ، فقال للغلام : لا باس عليك فاصبر فإني سأخرجك من جوف هذه الأسطوانة إذا جن الليل ، فلما جن الليل جاء البناء في ظلمه فأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له : إتق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي وغيب شخصك فإني إنما أخرجتك ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأني خفت إن تركتك في جوفها أن يكون جسدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة خصمي بين يدي الله عز وجل ، ثم أخذ شعره بالآلات الجصاصين كما أمكن وقال : غيب شخصك وانج بنفسك ، ولا ترجع إلى أمك . فقال الغلام :

فإن كان هذا هكذا فعرف أمي أني قد نجوت وهربت ، لتطيب نفسها ويقل جزعها وبكاؤها وإن لم يكن لعودي إليها وجه ! فهرب الغلام ولا يدري أين قصد من وجه أرض الله تعالى ولا إلى أي بلد وقع؟! قال ذلك البناء : وقد كان الغلام عرفني مكان أمه وأعطاني العلامة ، فأتهيت إليها في الموضع الذي دلني عليه فسمعت دويأكدوي النحل من البكاء ، فعلمت أنها أمه فدنوت منها وعرفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره وانصرفت .

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام كما في مقاتل الطالبين / ٢٣٣ : « لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخرى ، حُسِرنا عن المدينة ولم يُترك فيها منا محتم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً ، نتوقع فيها القتل .. الخ .» !

وقال الصدوق رحمته الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٠٠ : « باب ذكر من قتله الرشيد من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله لموسى بن جعفر عليه السلام بالسم في ليلة واحدة ، سوى قتل منهم في سائر الأيام والليالي !

حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن البزاز ... حدثني عبيد الله البزاز النيسابوري وكان مسناً قال : كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة فرحلت إليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السفر لم أغيرها ، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر ، فلما دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلمت عليه وجلست ، فأتي بطشت وإبريق فغسل يديه ، ثم أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة ، وذهب عني أني صائم وأني في شهر رمضان ، ثم ذكرت فأمسكت يدي ، فقال لي حميد : مالك لا

تأكل ؟ فقلت : أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علةٌ توجب الإفطار ، ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة توجب الإفطار ! فقال : ما بي علةٌ توجب الإفطار وإني لصحيح البدن ، ثم دمعت عيناه وبكى ! فقلت له بعد ما فرغ من طعامه : ما يبكيك أيها الأمير ؟ فقال : أنفذ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أحب ، فلما دخلت عليه رأيتُه بين يديه شمعة تتقد وسيفاً أخضر مسلولاً ، وبين يديه خادم واقف . فلما قمت يديه رفع رأسه إليّ فقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت : بالنفس والمال ! فأطرق ثم أذن لي في الانصراف ، فلم ألبث في منزلي حتى عاد الرسول إليّ وقال : أحب أمير المؤمنين ، فقلت في نفسي : إنا لله ، أخاف يكون قد عزم على قتلي وإنه لما رأني استحيا مني ! وقعدت إلى بين يديه فرفع رأسه إليّ فقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد ! فتبسم ضاحكاً ، ثم أذن لي في الانصراف ، فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد إليّ الرسول فقال : أحب أمير المؤمنين ، فحضرت بين يديه وهو على حاله ، فرفع رأسه إليّ وقال لي : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد والدين ! فضحك ثم قال لي : خذ هذا السيف وامثل ما يأمرُك به الخادم !

قال : فتناول الخادم السيف وناولنيهِ وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه ، فإذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة ، ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والدواب ، شيوخ وكهول وشبان ، مقيدون .

فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة ، فجعل يُخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ، حتى أتيت على آخرهم ! ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر .

ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة ، مقيدون فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ، فجعل يُخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر ، حتى أتيت على آخرهم !

ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشعور والدواب ، فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً ، فجعل يُخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمى به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم ، وبقي شيخٌ منهم عليه شعر فقال لي : تباً لك يا ميشوم ! أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت عليه جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولد لهم عليّ وفاطمة؟! فارتعشت يدي وارتعدت فرايصي فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني ! فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورمى به في تلك البئر !

فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فما ينفعني صومي وصلاتي ! وانا لا أشك أبي مخلد في النار !

قال مصنف هذا الكتاب : للمنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله « !

أقول : ولم يكتف المنصور بذلك حتى أوصى ابنه بمواصلة سياسته في إبادة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام ، وابتكر لوصيته أسلوباً خاصاً لتكون مؤثرة في ابنه !

قال الطبري في تاريخه : ٦ / ٣٤٣ : « لما عزم المنصور على الحج دعا ربيعة بنت أبي العباس امرأة المهدي ، وكان المهدي بالري قبل شخص أبي جعفر ، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن ، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن ، ولا تطلع عليها أحداً الا المهدي ولا هي إلا أن يصح عندها موته فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتح الخزانة ! فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته ، فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة ، فتح الباب ومعه ربيعة فإذا أزعج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم ! وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ ، عدة كثيرة ! فلما رأى ذلك ارتاع لما رأى ، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها ، وعمل عليهم دكاناً » . أي بنى عليهم بناء ، والأزج غرفة مخروطية داخل تلك الغرفة فيها جماجم القتلى العلويين رحمهم الله . ( لسان العرب : ٢ / ٢٠٨ ، والصحاح : ١ / ٢٩٨ ) .

ويقصد المنصور من كتابة نسب كل واحد منهم في رقعة أن يقول لابنه لا تخف من النسب وكونهم أبناء النبي ﷺ وذريته من فاطمة وعلي عليهما السلام !

### الثالث : أحيا المنصور حملة الأمويين ضد علي عليه السلام !

فقد شدد في النهي عن رواية فضائل علي عليه السلام وعاقب من يرويها ، كما أصدر مرسوماً أمر فيه بتعظيم أبي بكر وعمر على المنابر ، لأنهم خصوم علي عليه السلام .

روى الحافظ ابن المغازلي في فضائل علي عليه السلام / ٢٢٦ ، والحافظ ابن حنويه الحنفي ، بسنده عن سلمان بن الأعمش عن أبيه قال : « وجّه إليّ المنصورُ فقلت للرسول : لما يريدني أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعلم ، فقلت : أبلغه أني آتيه ، ثم تفكرت في نفسي فقلت : ما دعاني في هذا الوقت لخير ، ولكن عسى أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فإن أخبرته قتلني !

قال : فتطهرت ولبست أكفاني وتحنطت ثم كتبت وصيتي ، ثم صرت إليه فوجدت عنده عمرو بن عبّيد ، فحمدت الله تعالى على ذلك وقلت : وجدت عنده عون صدق من أهل النصره . فقال لي : أدن يا سليمان فدنوت ، فلما قربت منه أقبلت علي عمرو بن عبّيد أسأله وفاح ميّ ربح الخنوط . فقال : يا سليمان ما هذه الرائحة ؟ والله لتصدّقتني وإلا قتلتك . فقلت : يا أمير المؤمنين أتاني رسولك في جوف الليل فقلت في نفسي : ما بعث إليّ أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسألني عن فضائل عليّ فان أخبرته قتلني ، فكتبت وصيتي ولبست كفني وتحنطت . فاستوى جالساً وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم . ثم قال : أتدري يا سلمان ما اسمي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين دعنا الساعة من هذا . فقال : ما اسمي ؟ فقلت : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . قال : صدقت فأخبرني بالله وقرابتي من رسول الله كم رويت من



حديث علي بن أبي طالب وكم من فضيلة من جميع الفقهاء؟ قلت : شئ يسير يا أمير المؤمنين . قال : كم؟ قلت : مقدار عشرة آلاف حديث وما يزيد . قال : يا سلمان ألا أحدثك بحديث في فضائل علي يأكل كل حديث رويته عن جميع الفقهاء ، فإن حلفت لاترويها لأحد من الشيعة حدثتك بها ! قال : لا أحلف ولا أحدث بها . قال : إسمع . كنت هارياً من بني مروان وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحب علي وفضائله .. الخ . » .

ولم يقتل المنصور الأعمش يومها ، لكن من الطبيعي أن يكون قتله بعدها بالسم !

### الرابع : أمر بتعظيم أبي بكر وعمر لأنهما خصوم علي عليه السلام

قال البياضي في الصراط المستقيم : ٢٠٤ / ٣ : « لما وقع بينه وبين العلوية خلاف قال : والله لأرغمن أنفي وأنوفهم ، ولأرفعن عليهم بني تميم وعدي ، وذكر الصحابة في خطبته ، واستمرت البدعة إلى الآن » !

وقال العلامة الحلبي رحمته الله في منهاج الكرامة / ٦٩ : « ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة ، وأن النبي صلى الله عليه وآله قال : كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فإن مصيرها إلى النار . وقال : من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردُّ عليه ! ولو زُودوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم ، كذكر الخلفاء في خطبتهم ، مع أنه بالإجماع لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولا في زمن أحد من الصحابة والتابعين ، ولا في زمن بني أمية ولا في صدر ولاية العباسيين ، بل هو شئ أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية فقال : والله لأرغمن أنفي وأنوفهم ، وأرفعن عليهم بني تميم وعدي ، وذكر الصحابة في

خطبته ، واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان « ! انتهى .

فالهدف الأهم عنده أن يواجه ثورات العلويين ، لذلك رأى أن يعيد الإعتبار لأبي بكر وعمر ، حتى لو ناقض بذلك نفسه ونقض مذهب بني العباس ! فقولته : لأرغمن أنفي وأنوف بني علي ، معناه : عليّ وعلى أعدائي يا رب ! فأصدر أمره إلى خطباء الجمعة في أنحاء الدولة بأن يترضوا على أبي بكر وعمر ، وأمر الفقهاء أن يفتوا به : « قال مالك : قال لي المنصور : من أفضل الناس بعد رسول الله ؟ فقلت : أبو بكر وعمر . فقال : أصبت ! وذلك رأي أمير المؤمنين » . ( النهاية لابن كثير : ١٠ / ١٣٠ ) .

وقد بحثنا مرسومه في الترضي عن الشيخين في كتاب : كيف رد الشيعة غزو المغول .

### الخامس : تعظيم جده العباس وحصر الخلافة بأولاده

فقد وضع المنصور وأولاده أحاديث في مناقب العباس وأنه الوارث الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله لأنه عمه ، وأنه أولى به من ابن عمه علي عليه السلام وولديه الحسن والحسين عليهما السلام ، وبعد العباس يأتي مقام أبي بكر وعمر ، رغم أنهم أخذوا الخلافة وهي حقٌّ للعباس وأولاده ! لكن رضي الله عنهما ، فهما خير من علي وأبناء علي !

ثم زعم المنصور أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه فعقد له لواءً وأوصاه بأتمته « وعمه بعمامة من ٢٣ دوراً ، وقال له : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة » !

قال « ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان » ! ( تاريخ بغداد : ١ / ٨٥ ، وتاريخ دمشق : ٣٢ / ٣٠١ ، وابن كثير : ١٠ / ١٢٩ ، وحكم بصحة المنام ) !

وكان المنصور وأولاده لا يقبلون أن يقال إن جدهم العباس قال لعلي عند وفاة

النبي ﷺ : « أبسط يدك أبايعك فيقال : عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ، فلا يختلف عليك اثنان . فقال له علي : ومن يطلب هذا الأمر غيرنا » ! ( الإمامة والسياسة : ١ / ١٢ ، والإقتصاد / ٢١٤ ، والنزاع والتخاصم / ٧٨ ) .

أو يقال إن الحسنين أبناء النبي ﷺ لقوله تعالى : **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ..**

ولا أن يذكر مذهب جدهم عبد الله بن عباس وأحاديثه ، لأنه كان تلميذاً مطيعاً لعلي عليه السلام ناطقاً بفضائله ووصية النبي صلى الله عليه وآله له بالخلافة !

وكلها تنقض ما يريده المنصور من تمجيد جده العباس وحصر الخلافة به هو !

قال أحمد بن حنبل في العلل : ٢ / ٣١٢ : « قدم بن جريح على أبي جعفر ( المنصور ) فقال له : إني قد جمعت حديث جدك عبد الله بن عباس ، وما جمعه أحد جمعي أو نحو ذا ، قال : فلم يعطه شيئاً ! فضمه إلى سليمان بن مجالد ... فأحسن إلى ابن جريح يعني أعطاه وأكرمه ، فقال له بن جريح : ما أدري ما أجزيك به ، ولكن خذكتي هذه فانسخوها ، فبعضها سماع وبعضها عرض » .

واسمع ما يقوله ابن جريح وهو ربيعة الرأي وأستاذ مالك بن أنس !

« أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن ، فكنا نستزيده حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة هو نائم في ذاك الطاق ! فأتينا ربيعة فأبهناه ، قلنا له : أنت ربيعة بن أبي عبد الرحمن ؟ قال : بلى ، قلنا : ربيعة بن فروخ ؟ قال بلى ، قلنا ربيعة الرأي ؟ قال بلى . قلنا هذا الذي يحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال بلى ، قلنا له : كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم » ! ( تاريخ بغداد : ٨ / ٤٢٣ ) .

## ٧ . المنصور يحاول قتل الإمام الكاظم عليه السلام

عندما ارتكب المنصور قتل الإمام الصادق عليه السلام بالسسم في سنة ١٤٨ ، كان عمر الإمام الكاظم عليه السلام نحو عشرين سنة ، وعاش المنصور بعدها عشر سنوات ، وقد ذكرت نصوص سياسة المنصور مع الإمام الكاظم عليه السلام ومحاولته قتله !

أولها : في إحدى المرات التي أمر بقتل الإمام الصادق عليه السلام ولم يوفق !

فقد روى في الدر النظيم / ٦٢٢ ، لابن حاتم العاملي عن : « قيس بن الربيع قال : حدثنا أبي الربيع قال : دعاني المنصور يوماً وقال : أما ترى ما هو ذا يبلغني عن هذا الحبشي ؟ قلت : ومن هو يا سيدي ؟ قال : جعفر بن محمد ، والله لأستأصلن شأفته . ثم دعا بقائد من قواده فقال له : انطلق إلى المدينة في ألف رجل فاهجم على جعفر بن محمد وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر ! فخرج القائد من ساعته حتى قدم المدينة وأخبر جعفر بن محمد ، فأمر فأتي بناقتين فأوثقهما على باب البيت ، ودعا بأولاده موسى وإسماعيل ومحمد وعبيد الله ، فجمعهم وقعد في المحراب وجعل يهمهم . قال أبو نصر : فحدثني سيدي موسى بن جعفر أن القائد هجم عليه فرأيت أبي وقد همهم بالدعاء ، فأقبل القائد وكل من كان معه وقال : خذوا رأس هذين القائمين ، ففعلوا وانطلقوا إلى المنصور ، فلما دخلوا عليه أطلع المنصور في المخلاة التي كان فيها الرأسان ، فإذا هما رأسا ناقتين !

فقال المنصور : وأي شيء هذا ؟! قال : يا سيدي ما كان أسرع من أن دخلت البيت الذي فيه جعفر بن محمد فدار رأسي ولم أنظر ما بين يديّ فرأيت شخصين قائمين خيّل إليّ أنهما جعفر بن محمد وموسى ابنه ، فأخذت رأسيهما !

فقال المنصور : أكتم عليّ ! فقال : ما حدثت به أحداً حتى مات !

قال الربيع : فسألت موسى بن جعفر عليه السلام عن الدعاء فقال : سألت أبي عن الدعاء فقال : هو دعاء الحجاب وهو : بسم الله الرحمن الرحيم : **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا .** اللهم إنني أسألك بالإسم الذي به تحيي وتميت وترزق وتعطي وتمنع ، يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم من أرادنا بسوء من جميع خلقك فأعم عنا عينه ، واصمم عنا سمعه واشغل عنا قلبه ، واغلل عنا يده ، واصرف عنا كيده . وخذه من بين يديه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه ، يا ذا الجلال والإكرام .

وثانيها : عندما قتل الإمام الصادق عليه السلام بالسم أرسل الى واليه على المدينة : أنظر إن كان أوصى الى شخص فاقتله وابعث اليّ برأسه ! وهذا ينسجم مع قرار المنصور بإبادة ذرية علي وفاطمة عليهما السلام !

قال كاتبه أبو أيوب الخوزي كما في الكافي : ١ / ٣١١ ، وغيبة الطوسي / ١٩٨ ، واللفظ له : « بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي ، وبين يديه شمعة وفي يده كتاب ، فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلي وهو يبكي وقال : هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ( ثلاثاً ) وأين مثل جعفر؟! ثم قال لي : أكتب فكتبت صدر الكتاب ، ثم قال : أكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه ! قال : فرجع الجواب إليه : إنه قد أوصى إلى خمسة : أحدهم أبو جعفر المنصور ، ومحمد بن سليمان ( واليه على المدينة ) وعبد الله وموسى ابني جعفر ، وحميدة ! فقال

المنصور ليس إلى قتل هؤلاء سبيل» .

وهذا يدل على أن المنصور كان يريد مبرراً لقتل الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، لأن أباه كان ينص عليه من صغره بأنه الإمام بعده ، وقد امتحنه أبو حنيفة وهو صبي وأجابته وأفحمه ، وظهرت منه معجزات . لذا وسع الإمام الصادق عليه السلام وصيته وجعل أوصيائه خمسة أولهم المنصور نفسه ، ثم واليه على المدينة ، ليحفظ حياة الإمام الكاظم عليه السلام ويجبط تعطش المنصور لدماء أبناء علي عليه السلام !

وفي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٣٤ ، أن أبا حمزة الثمالي عليه السلام لما بلغته وصية الإمام الصادق عليه السلام قال : « الحمد لله الذي هدانا إلى المهدي . بين لنا عن الكبير ، ودلنا على الصغير ، وأخفى عن أمر عظيم . فسئل عن قوله فقال : بين عيوب الكبير ودل على الصغير لإضافته إياه ، وكنتم الوصية للمنصور ، لأنه لو سأل المنصور عن الوصي لقليل أنت » .

وثالثها : ورد أن الإمام الكاظم عليه السلام غادر المدينة ، وتخفى عن السلطة في قرى الشام ، لفترة لم يحددها الراوي . ففي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٢٧ : « دخل موسى بن جعفر عليه السلام بعض قرى الشام متنكراً هارباً ، فوقع في غار وفيه راهب يعظ في كل سنة يوماً ، فلما رآه الراهب دخله منه هيبة فقال : يا هذا أنت غريب ؟ قال عليه السلام : نعم . قال : منا أو علينا ؟ قال عليه السلام : لست منكم . قال : أنت من الأمة المرحومة ؟ قال عليه السلام : نعم . قال : أفمن علمائهم أنت أم من جهالهم ؟ قال عليه السلام : لست من جهالهم . فقال : كيف طوي أصلها في دار عيسى ، وعندكم في دار محمد وأغصانها في كل دار ؟ فقال عليه السلام : الشمس قد وصل ضوءها إلى كل مكان وكل

موضع وهي في السماء . قال : وفي الجنة لا ينفد طعامها وإن أكلوا منه ولا ينقص منه شيء ؟ قال عليه السلام : السراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء .

قال : وفي الجنة ظل ممدود ؟ فقال عليه السلام : الوقت الذي قبل طلوع الشمس كلها ظل ممدود ، قاله تعالى : **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا .**

قال : ما يؤكل ويشرب في الجنة ، لا يكون بولاً ولا غائطاً ؟

قال عليه السلام : الجنين في بطن أمه !

قال : أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر ؟ فقال عليه السلام إذا احتاج الإنسان إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك ، ويفعلون بمراده من غير أمر .

قال : مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة ؟ قال عليه السلام : مفتاح الجنة لسان العبد لا إله إلا الله . قال : صدقت ، وأسلم والجماعة معه .

ورابعها : يدل على أن المنصور استعمل الليونة والإحترام مع الإمام الكاظم عليه السلام وأراد أن يظهر للفرس أن علاقته به جيدة ، أو يعرف تعاطف الفرس معه عليه السلام !

ففي مناقب آل أبي طالب : ٤٣٣ / ٣ : « وحكي أن المنصور تقدم إلى موسى بن جعفر بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه فقال عليه السلام : إني قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً ، وإنه سنة للفرس ومحامها الإسلام ، ومعاذ الله أن نحبي ما محاه الإسلام !

فقال المنصور : إنما نفعل هذا سياسة للجنود ، فسألتك بالله العظيم إلا جلست ، فجلس ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنونه ويحملون إليه الهدايا والتحف ، وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل ، فدخل في آخر الناس

رجل شيخ كبير السن فقال له : يا ابن بنت رسول الله إنني رجل صعولك لا مال لي ، أتخفك بثلاث أبيات قالها جدي في جدك الحسين بن علي :

عجبت لمصقول علاك فرنده      يوم الهياج وقد علاك غبار  
ولا سهم نفذتك دون حرائر      يدعون جـدك والدموع غـزار  
ألا تقضضت السهام وعاقها      عن جسمك الإجلال والإكبار

قال : قبلت هديتك ، أجلس بارك الله فيك ، ورفع رأسه إلى الخادم وقال : إمض إلى أمير المؤمنين وعرفه بهذا المال وما يصنع به ؟ فمضى الخادم وعاد وهو يقول : كلها هبة مني له يفعل به ما أراد ، فقال موسى عليه السلام للشيخ : إقبض جميع هذا المال فهو هبة مني لك !

أقول : قام الفرس بالثورة على بني أمية وسلموا قيادتها الى بني العباس ، وكانت سلامة أم المنصور فارسية من بلدة إيذه أو إيذج قرب الأهواز ، فكان المنصور يتكلم الفارسية ويألفها ، وسكن في إيذة وتزوج وولد فيها ابنه محمد الذي سماه المهدي . وكان يحتفل مع الفرس بعيد النوروز ، ويستقبل قادة الدولة ويقدمون له الهدايا الثمينة على رسومهم ، ولا بد أنه خطط لجلوس الإمام عليه السلام مكانه وتحجج بالمرض ، ليقول للناس إن موسى بن جعفر عليه السلام مؤيد له يُقر بشريعته ، وأن المنصور يحترمه ويستنبيه في بعض المراسم التشريعية ، ويظهر أن ذلك كان بعد ليونة الإمام عليه السلام معه وتطمينه بأنه ليس في صدد الثورة عليه .

\* \*



## الإمام الكاظم عليه السلام قديس بغداد

### ١ . شريط سيرة الإمام الكاظم عليه السلام

- ١ . أبوه الإمام جعفر الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وأستاذ أئمة المذاهب الإسلامية . وأمه حميدة المصفاة البربرية ، ويبدو أنها كانت سمراء فانتقلت منها السمرة الى الإمام عليه السلام .
- ٢ . في الخامسة من عمره الشريف أجلسه والده الإمام الصادق عليه السلام ، فتحدث لأخبار اليهود عن معجزات النبي ﷺ ، وسيأتي ذلك في أواخر الكتاب .
- ٣ . كان صبياً فسأله أبو حنيفة عن الجبر والإختيار ، فأجابه جواباً علمياً مقنعاً .
- ٤ . عرفه الإمام الصادق عليه السلام الى أصحابه في حياته ، وأنه الإمام بعده .
- ٥ . في العشرين من عمره استشهد أبوه الإمام الصادق عليه السلام واستقل بالإمامة وعاش بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة ، الى أن استشهد سنة ١٨٣ في سجن هارون .
- ٦ . في الحادية وعشرين من عمره كان في العراق وجاء الى الحج ، فرآه شقيق البلخي سنة ١٤٩ ، وربما كان المنصور أحضره الى العراق ، أو كان في زيارة الى المؤمنين بالكوفة ، أو في زيارة قبر جده أمير المؤمنين وجده الحسين عليه السلام .
- ٧ . عاصر المنصور العباسي وجلس مكانه مرة لاستقبال المهثين بعيد النوروز .

٨. عاصر حكم المهدي بن المنصور عشر سنوات ، وأحضره مرة الى بغداد ليسأله عن قوم ثمود ومدائن صالح ، ثم حبسه ، فرأى مناماً مربعاً فأطلقه .

٩. عاصر موسى الهادي ، وفي عهده كانت ثورة صاحب فخ وأتهم الخليفة الإمام عليه السلام بأنه هو الأمر بالثورة ، وقرر قتله ، لكنه أمه الخيزران قتلته قبل ذلك .

١٠. عاصر هارون المسمى بالرشيد ثلاث عشرة سنة ، وكتب الى الخيزران يعزيها بموت ولدها المهدي ، ويهنيها بحكم ولدها هارون !

١١. أحضره هارون الى بغداد في سنة توليه الخلافة ، وقد يكون فرض عليه الإقامة الجبرية فيها ، ثم حبسه فرأى آياته وأطلقه وأعطاه ثلاثين ألف درهم .

١٢. حبسه هارون في سنة ١٧٩ في سجن البصرة لمدة سنة ، ثم نقله الى بغداد وأبقاه أربع سنوات في الإقامة الجبرية والسجون ، الى أن قتله بالسم سنة ١٨٣ .

١٣. وردت الرواية بأنه كان في الشام فترة ، والتقى ببعض علماء النصارى ، ولعله كان غيَّب نفسه في زمن المنصور أو المهدي العباسي قبل أن يحبسه .

١٤. عاش في بغداد فترات في وضع الإقامة الجبرية ، وكان له مجالس مع هارون ووزرائه وغيرهم ، وفي هذه المدة رأى بشراً الحافي ، وقد وصفت الرواية بيته المتواضع الذي كان يعيش فيه في بغداد ، وهو يختلف عن بيته في المدينة .

١٥. روت المصادر له عليه السلام عدة أحاديث ومناظرات مع هارون الرشيد ، كانت في فترات إحضاره وحبسه وإقامته الجبرية .

١٦. قيل إنه عليه السلام حبس في واسط سنة ، ولم نجد ذلك في المصادر التي بأيدينا .

١٧. أبرز برنامج في حياة الإمام عليه السلام العبادة وسجوداته الطويلة ، وكان يشكر ربه في السجن على أنه فرغه لعبادته .

١٨. روي عنه الكثير من العلم ، من ذلك مسائل علي بن جعفر ، وكتاب الحلال والحرام ، ورسالة في العقل لهشام بن الحكم . ومئات الروايات في مسائل من عقائد الإسلام وأحكامه . وكل أحاديث متميزة كأحاديث آباءه الأئمة عليهم السلام .

١٩. كان يدير شيعته في العالم ، وفيهم شخصيات كبيرة كعلي بن يقطين وزير المهدي وهارون ، والحسن بن راشد ، وجعفر بن محمد بن الأشعث من وزراء هارون أيضاً ، وهشام بن الحكم ، ومحمد بن أبي عمير ، من كبار الشخصيات .

وكان يحترمه كبار علماء عصره من السنة ويرجعون إليه أحياناً . وكان الطالبون يحترمونه ويقدمونه ، حتى أن الخليفة المهدي كان يعتقد أنه كان وراء ثورة فح .

٢٠. تميزت حياته بكثرة المعجزات من صغره عليه السلام ، وأكثرها إخبار بمغيبات عن أشخاص وأحداث ، فكانت تقع كما أخبر عليه السلام ، وكان يجاهر بذلك ويخبر هارون ووزيره يحيى بن خالد وغيرهم ، وفي آخر سجن له زاره يحيى البرمكي فقال له : « أبلغه عني يقول لك موسى بن جعفر : رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك بما ترى ، وستعلم غداً إذا جاتيك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه والسلام ! فخرج يحيى من عنده واحمرت عيناه من البكاء حتى دخل على هارون فأخبره بقصته ومارد عليه ، فقال هارون : إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا ! فلما كان يوم الجمعة توفي عليه السلام » . ( الغيبة للطوسي / ٢٤ ) .

٢١. ما أن دفن الإمام عليه السلام حتى صار قبره الشريف مزاراً ومشهداً ، وتوافد أوليائه من الشيعة وكذلك كبار علماء السنة وأئمة المذاهب ، لزيارته والصلاة عنده والتوسل به الى الله تعالى ، وعرف عليه السلام بعد وفاته باسم : باب الحوائج .

## ٢ . اعتقاد أئمة المذاهب بالإمام الكاظم عليه السلام

أجمع كبار أئمة السنة وعلمائهم على تعظيم الإمام الكاظم عليه السلام وتقديسه ، وترجموا له في كتبهم ، وزاروا قبره للتبرك والتوسل به الى الله تعالى .

وقد اشتهر عن الإمام الشافعي أنه كان يزور قبر الإمام الكاظم عليه السلام ويقول : «قبر موسى الكاظم تريقاً مجرب لإجابة الدعاء» ( كرامات الأولياء للسجاعي / ٦ ، والرسالة القشيرية لابن هوازن / ١٠ ، والفجر الصادق للزهراوي / ٨٩ ، وسيوف الله للقادري الحبيبي / ٨٣ ، والبصائر / ٤٢ لحمد الله الداجوي الحنفي ) .

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه : ١ / ١٣٣ ، عن إمام الحنابلة في عصره الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول : « ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به ، إلا سهل الله تعالى لي ما أحب » !

وقال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة : ٢ / ٩٣٢ : «وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله ، وذلك لنجح قضاء حوائج المسلمين ، ونيل مطالبهم وبلوغ مآربهم وحصول مقاصدهم » .

وقال السيد الميلاني في شرح منهاج الكرامة : ١ / ١٧٠ : « وقال القرماني : هو الإمام الكبير الأوحى الحجّة ، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً ، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً ، وهو المعروف بباب الحوائج ، لأنه ما خاب المتوسل به في قضاء حاجته قط .

وقال ابن حجر المكي : هو وارث أبيه علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً ، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله ، وكان أعبد أهل زمانه ، وأعلمهم وأسخاهم .

وقال ابن الجوزي : موسى بن جعفر ، كان يدعى العبد الصالح ، وكان حليماً كريماً ، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال .

وفي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٢٢ : « وحكي أنه مُغص بعض الخلفاء فعجز بختيشوع النصراني عن دوائه ، وأخذ جليداً فأذاب به بدواء ، ثم أخذ ماء وعقده بدواء ، وقال : هذا الطب ، إلا أن يكون مستجاب دعاء ذا منزلة عند الله يدعوك !

فقال الخليفة : عليّ بموسى بن جعفر ، فأتي به فسمع في الطريق أنينه فدعا الله سبحانه وزال مغص الخليفة ، فقال له : بحق جدك المصطفى أن تقول بيم دعوت لي ؟ فقال عليه السلام : قلتُ : اللهم كما أريته ذل معصيته ، فأره عز طاعتي !

### ٣ . مقتطف من تراجم أئمة علماء السنة للإمام الكاظم عليه السلام

١ - قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : ٦ / ٢٦٨ : « موسى الكاظم ، الإمام ، القدوة ، السيد أبو الحسن العلوي ، والد الإمام علي بن موسى الرضى مدني نزل بغداد .

ذكره أبو حاتم فقال : ثقة صدوق ، إمام من أئمة المسلمين . قلت له عند الترمذي وابن ماجه حديثان . قيل : إنه ولد سنة ثمان وعشرين ومئة بالمدينة . قال الخطيب : أقدمه المهدي بغداد ورده ، ثم قدمها وأقام ببغداد في أيام الرشيد ، قدم في صحبة الرشيد سنة تسع وسبعين ومئة ، وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه .

ثم قال الخطيب : كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده . روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله (ص) فسجد سجدة في أول الليل ، فسمع وهو يقول في سجوده : عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك ، يا أهل التقوى ، ويا أهل المغفرة . فجعل يرددتها حتى أصبح .

وكان سخياً كريماً ، يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصره فيها ألف دينار . وكان يصير الصرر بثلاث مئة دينار وأربع مئة ومئتين ثم يقسمها بالمدينة ، فمن جاءته صرة استغنى .

ثم قال يحيى : وذكر لي غير واحد أن رجلاً من آل عمر كان بالمدينة يؤذيه ويشتم عليه ، وكان قد قال له بعض حاشيته : دعنا نقتله فنهاهم وزجرهم .

وذكر له أن العمري يزدرع بأرض ، فركب إليه في مزرعته فوجده ، فدخل بحماره فصاح العمري لا توطئ زرعنا ، فوطئ بالحمار حتى وصل إليه فنزل عنده وضاحكه . وقال : كم غرمت في زرعك هذا ؟ قال : مئة دينار ، قال : فكم ترجو ؟ قال : لا أعلم الغيب وأرجو أن يجيئني مئتا دينار ، فأعطاه ثلاث مئة دينار وقال : هذا زرعك على حاله . فقام العمري فقبل رأسه وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ! وجعل يدعو له كل وقت .

فقال أبو الحسن لخاصته الذين أرادوا قتل العمري : أيها هو خير ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار ؟ قلت : إن صحت فهذا غاية الحلم والسماحة !

قال أبو عبد الله المحاملي ... عيسى بن محمد بن مغيث القرشي ، وبلغ تسعين سنة ، قال : زرعت بطيخاً وقتاء وقرعا بالجوانية ، فلما قرب الخير ، بيتني الجراد ،

فأتى على الزرع كله . وكنت غرمت عليه وفي ثمن جملين مئة وعشرين ديناراً .  
فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر فسلم ثم قال : أيش حالك ؟ فقلت :  
أصبحت كالصرم . قال : وكم غرمت فيه ؟ قلت : مئة وعشرين ديناراً مع ثمن  
الجملين . وقلت : يا مبارك ، ادخل وادع لي فيها ، فدخل ودعا ، وحدثني عن  
النبي (ص) أنه قال : تمسكوا ببقايا المصائب ، ثم علقت عليه الجملين وسقيته  
فجعل الله فيها البركة وزكت فبعت منها بعشرة آلاف !

الصولي : حدثنا عون بن محمد ، سمعت إسحاق الموصلي غير مرة يقول : حدثني  
الفضل بن الربيع ، عن أبيه قال : لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في النوم  
علياً يقول : يا محمد : **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ؟**  
قال الربيع : فأرسل إلى ليلاً فراعني ، فجتته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن  
الناس صوتاً ، وقال : عليّ بموسى بن جعفر فجتته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه  
وقال : يا أبا الحسن : إني رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا ، فتؤمني أن تخرج علي أو  
على أحد من ولدي ؟ فقال : لا والله لا فعلت ذلك ، ولا هو من شأني . قال :  
صدقت . يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ، وردّه إلى أهله إلى المدينة . فأحكمت  
أمره ليلاً ، فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العواقب !

وقال الخطيب : حج الرشيد فأتى قبر النبي (ص) ومعه موسى بن جعفر فقال :  
السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم ، افتخاراً على من حوله فدنا موسى وقال :  
السلام عليك يا أبة ، فتغير وجه هارون ، وقال : هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً !  
قال يحيى بن الحسن العلوي حدثني عمار بن أبان قال : حبس موسى بن جعفر

عند السندي بن شاهك فسألته أخته أن تولى حبسه وكانت تَدِين ، ففعل ، فكانت على خدمته ، فحكى لنا أنها قالت : كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتهياً ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي العصر ، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب إلى العتمة ! فكانت تقول : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل ! وكان عبداً صالحاً .

وقيل : بعث موسى الكاظم إلى الرشيد برسالة من الحبس يقول : إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء ، حتى نفضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون ! وعن عبد السلام بن السندي قال : كان موسى عندنا محبوساً ، فلما مات بعثنا إلى جماعة من العدول من الكرخ فأدخلناهم عليه فأشهدناهم على موته ، ودفن في مقابر الشونيزية .

قلت : له مشهد عظيم مشهور ببغداد ، دفن معه فيه حفيده الجواد . ولولده علي بن موسى مشهد عظيم بطوس . وكانت وفاة موسى الكاظم في رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة . عاش خمساً وخمسين سنة وخلف عدة أولاد ، الجميع من إماء : علي والعباس ، وإسماعيل ، وجعفر ، وهارون ، وحسن ، وأحمد ، ومحمد ، وعبيد الله وحمزة ، وزيد ، وإسحاق ، وعبد الله ، والحسين ، وفضل ، وسليمان . سوى البنات ، سمى الجميع الزبير في : النسب » .



وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : ١٢ / ٤١٧ : « موسى الكاظم : هو الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد بن علي .. قال أبو حاتم : ثقة إمام . وكان صالحاً عالماً عابداً متألهاً .. ولعل الرشيد ما حبسه إلا لقولته تلك : السلام عليك يا أبا ! فإن الخلفاء لا يهتمون مثل هذا » !

٢ - وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٠٢ : « قال يحيى بن الحسن بن جعفر النسابة : كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده .

وقال الخطيب .. وأقدمه المهدي إلى بغداد ثم رده إلى المدينة ، وأقام بها إلى أيام الرشيد ، فقدم هارون منصرفاً من عمرة رمضان سنة تسع وسبعين ، فحمله معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه .. ومناقبه كثيرة » .

وقال في تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٢١ ) : « الهاشمي المعروف بالكاظم ، صدوق عابد ، من السابعة ، مات سنة ثلاث وثمانين » .

٣ - وقال الخطيب في تاريخ بغداد : ١٣ / ٢٩ : « كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده .

روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله (ص) فسجد سجدة في أول الليل ، وشمع وهو يقول في سجوده : عظيم الذنب عندي فليحسن العفو عندك . يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة ! فجعل يرددتها حتى أصبح .

وروى له عليه السلام عدة قصص في كرمه وعبادته وتقدم بعضها ، ثم ذكر كرامته في المنام الذي رآه الخليفة المهدي عندما حبسه .

٤ . وقال محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول في فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله / ٤٤٦ :

« هو الإمام الكبير القدر ، العظيم الشأن ، الكبير المجتهد ، الجاد في الإجهاد ، المشهور بالعبادة ، المواظب على الطاعات ، المشهود له بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً وقائماً ، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً ، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعى كاظماً ، كان يجازى المسئى بإحسانه إليه ، ويقابل الجاني بعفوه عنه ، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح ، ويعرف بالعراق باب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به ، كرامته تحار منها العقول ، وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول .

وأما ولادته فبالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة ، وقيل تسع وعشرين ومائة وأما نسبه أباً وأماً : فأبوه جعفر الصادق بن محمد الباقر ، وقد تقدم القول فيه . وأما أمه فأم ولد تسمى حميدة البربرية ، وقيل غير ذلك .

وأما إسمه فموسى وكنيته أبو الحسن ، وقيل أبو إسماعيل ، وكان له ألقاب كثيرة : الكاظم وهو أشهرها ، والصابر ، والصالح ، والأمين .

وأما مناقبه فكثيرة ، ولو لم يكن منها إلا العناية الربانية لكفاه ذلك منقبة . وقد نقل عن الفضل بن الربيع أنه أخبر عن أبيه أن المهدي لما حبس موسى بن جعفر ، ففي بعض الليالي رأى المهدي في منامه علي بن أبي طالب وهو يقول له : يا محمد : **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ؟** قال الربيع : فأرسل إلي ليلاً فراعني .. إلى آخر ما تقدم .

وقال هشام بن حاتم الأصم ، قال لي أبو حاتم ، قال لي شقيق البلخي : خرجت حاجاً في سنة تسع وأربعين ومائة ، فنزلت القادسية ، فبينما أنا أنظر إلى الناس في

زينتهم وكثرتهم ، فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف ، فوق ثيابه ثوب من صوف ، مشتمل بشملة ، في رجليه نعلان ، وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي : هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كالأعلى الناس في طريقهم ، والله لأمضين إليه ولأوبخنه ! فدنوت منه فلما رأني مقبلاً قال : **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْثَمٌ** ، ثم تركني ومضى ! فقلت في نفسي : إن هذا لأمرٌ عظيم قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي ، وما هذا إلا عبداً صالحاً لأحقيقه ولأسألته أن يحالني ، فأسرعت في أثره فلم أحقه وغاب عن عيني !

فلما نزلنا واقصة إذ به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت : هذا صاحبي أمضي إليه واستحله ، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه ، فلما رأني مقبلاً قال لي : يا شقيق أتل : **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** . ثم تركني ومضى ! فقلت : إن هذا الفتى لمن الأبدال ! لقد تكلم على سري مرتين . فلما نزلنا زبالاً إذا بالفتى قائمٌ على البئر ويده رُكوةٌ يريد أن يستقي ماءً ، فسقطت الركوة من يده في البئر ، وأنا أنظر إليه فرأيتته قد رمق السماء وسمعته يقول :

أنت ربي إذا ظمئتُ إلى الماء      وفتوتني إذا أردتُ الطعاما

اللهم سيدي مالي سواها فلا تحرميها ، قال شقيق : فوالله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها ، فمد يده فأخذ الركوة وملاها ماءً ، فتوضأ وصلى أربع ركعات ، ثم مال إلى كتيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب . فأقبلت إليه وسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت : أطمعني من فضل ما أنعم الله به عليك . فقال : يا شقيق لم تنزل نعمه علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك . ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر ! فوالله ما شربت قط ألد

منه ولا أطيب رجلاً ، فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شرباً !

ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيتَه ليلة إلى جنب قُبَّة الشراب في نصف الليل قائماً يصلي بخضوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثم قام فصلى الغداة ، وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج ، فتبعته وإذا له غاشية وموَالٍ ، وهو على خلاف ما رأيتَه في الطريق ، وداراً به الناس من حوله يسلمون عليه ! فقلت لبعض من يقرب منه : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . فقلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد ! ولقد نظم بعض المتقدمين واقعة شقيق معه في أبيات طويلة ، اقتصرت على ذكر بعضها ، فقال :

سَلْ شَقِيقَ الْبَلْخِيِّ عَنْهُ وَمَا شَا	هَدَ مِنْهُ وَمَا الَّذِي كَانَ أَبْصُرُ
قَالَ لَمَا حَجَّجْتَ عَايِنْتُ شَخْصاً	شَا حَبَّ اللَّوْنِ نَاحِلَ الْجِسْمِ أَسْمُرُ
سَائِراً وَحَدَّهُ وَلَيْسَ لَهُ زَادُ	فَمَا زَلْتِ دَائِماً أَنْفَكَرُ
وَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ يَسْأَلُ النَّاسَ	وَلَمْ أَدْرُ أَنَّهُ الْحَجُّجُ الْاَكْبَرُ
ثُمَّ عَايِنْتُهُ وَنَحْنُ نَزُولُ	دُونَ فَيْدٍ عَلَى الْكَثِيبِ الْاَحْمَرِ
يَضَعُ الرَّمْلَ فِي الْاِنْءِ وَيَشْرِبُهُ	فَنَادَيْتُهُ وَعَقْلِي مَحِيرُ
إِسْقِنِي شَرْبَةً فَنَآوِلْنِي مِنْهُ	فَعَايِنْتُهُ سَـوَبِقاً وَسُـكْرُ
فَسَأَلْتُ الْحَجَّيْحَ مَنْ يَلُكُ هَذَا	قِيلَ هَذَا الْاِمَامُ مُوسَى بِنَ جَعْفَرِ

فهذه الكرامات العالية الأقدار الخارقة العوائد هي على التحقق جلية المناقب وزينة المزايـا وغرر الصفات ، ولا يؤتاها إلا من فاضت عليه العناية الربانية أنوار التأييد ، ومـرت له أخلاف التوفيق ، وأزلفته من مقام التقديس والتطهير **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** .

#### ٤ . الإمام الكاظم عليه السلام حامي بغداد

فقد قال زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري للإمام الرضا عليه السلام : « إني أريد الخروج عن أهل بيتي ( يقصد أهل قم ) فقد كثر السفهاء فيهم ! فقال له الإمام الرضا عليه السلام : لا تفعل فإن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم ، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليه السلام » ( رواه المفيد رحمته الله في الإختصاص / ٨٧ ، بسند موثق ، واختيار معرفة الرجال : ٢ / ٨٥٧ ، ورجال الكشي / ٤٩٦ ، وتاريخ الكوفة / ٢٢٨ ، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي : ٨ / ٢٨٣ ، ورجال الطوسي : ٢ / ٨٥٨ ) .

وفي كامل الزيارات / ٥٠٠ : « عن علي بن الحكم ، عن رحيم قال قلت للرضا عليه السلام : إن زيارة قبر أبي الحسن عليه السلام ببغداد علينا فيها مشقة ، فما لمن زاره ؟ فقال له : مثل ما لمن أتى قبر الحسين عليه السلام من الثواب . قال : دخل رجل فسلم عليه وجلس وذكر بغداد ورداءة أهلها ، وما يتوقع أن ينزل بهم من الخسف والصيحة والصواعق ، وعدد من ذلك أشياء قال : فقامت لأخرج فسمعت أبا الحسن عليه السلام وهو يقول : أما أبو الحسن فلا » .

أقول : الظاهر سقوط الواو من الرواية ، وأن الأصل : أما وأبو الحسن ، فلا . أي أما وقبر أبي الحسن عليه السلام موجود ، فلا يصيب بغداد خسف أو صواعق !

وقد أخذ بعضهم ذلك ووضعوه للمحاملي : « قال محمد بن الإسكاف : رأيت في النوم كأن قائلًا يقول : إن الله ليدفع عن أهل بغداد البلاء بالمحاملي » ! ( سير الذمبي : ١٥ / ٢٦٠ ) وسبب قولنا إنهم أخذوه ونسبوه الى المحاملي لأنه توفي سنة ٣٣٠ ( سير الذمبي : ١٥ / ٢٨٤ ) ، أي بعد قرن ونصف من وفاة الإمام الكاظم عليه السلام .

## ٥ . زيارة قبر الإمام الكاظم عليه السلام دواء مجرب

قال الإمام الشافعي كلمته المشهورة في زيارة قبر الإمام الكاظم عليه السلام : إنه الترياق  
المجرب ( كرامات الأولياء للسجاعي / ٦ ) لكن بعضهم أخذ ذلك ووصف به قبر معروف  
الكرخي ! قال الخطيب في تاريخ بغداد : ١ / ١٣٤ : « سمعت أبا علي الصفار يقول : سمعت  
إبراهيم الحربي يقول : قبر معروف الترياق المجرب » .

والحربي هذا كابلي نسب الى محلة الحربية ببغداد ( تاريخ بغداد : ٦ / ٢٨ ) ، وقد توفي سنة  
٢٨٥ ، أي بعد أكثر من قرن من وفاة الإمام الكاظم عليه السلام ( تاريخ بغداد : ٦ / ٣٨ ) .

كما روى في تاريخ بغداد : ١ / ١٣٤ ، عن : « عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري  
قال سمعت أبي يقول : قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج »

والزهري هذا محمد بن غلام الزهري المتوفى سنة ٣٨٠ ، أي بعد قرنين من شهادة  
الإمام الكاظم عليه السلام ! ( سير الذهبي : ١٦ / ٤٣٧ ) .

## الإمام الكاظم عليه السلام والمهدي العباسي

### ١ . أخبر الإمام عليه السلام عن قرب موت المنصور

كان موكب الخليفة المنصور في طريقه إلى الحج سنة ١٥٨ ، فأخبر الإمام الكاظم عليه السلام بأنه سيموت قبل أن يصل إلى مكة ، وقال : لا والله لا يرى بيت الله أبداً !

قال أبو حمزة الثمالي : « فلما نزل بئر ميمون أتيت أبا الحسن عليه السلام فوجدته في الحراب ، قد سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه إليّ فقال : أخرج فانظر ما يقول الناس ! فخرجت فسمعت الواعية على أبي جعفر ، فرجعت فأخبرته فقال : الله أكبر ما كان ليرى بيت الله أبداً » ! ( قرب الإسناد / ٣٣٧ ) .

وباعوا ابنه المهدي بعده : « والمهدي إذ ذاك ببغداد ، فأقام بعد قدوم منارة ( غلامه ) يومين لم يظهر الخبر ، ثم خطب الناس يوم الخميس ونعى لهم المنصور وبويع بيعة العامة ، وذلك في سنة ثمان وخمسين ومائة » . ( تاريخ بغداد : ٩ / ٣ ) .

### ٢ . فروقات شخصية المهدي عن أبيه المنصور

(١)

كان المنصور مخضرمًا بين الفقر والغنى ، فقد عاش في بادية الأردن حيث يسكن أبوه مبعداً عن دمشق من الخليفة الأموي ، وكان يأتي إلى المدينة فيخدم

الحسينيين ، ويأخذ بركاب محمد بن عبد الله بن الحسن الذي ادعوا له المهدية !  
وتوسط الحسينيون له عند عامل الأهواز فوظفه عاملاً على خراج قرية أمه  
( إيذه ) ، فسكن المنصور فيها ، ثم كسر الخراج كما تقدم فسجنوه ، وهرب من  
السجن ، واشتغل فترة في طلب العلم والفقہ .. الخ .

أما ابنه المهدي فكان مترفاً ، فقد ولد في إيذه أو إيذج ، ونشأ عند أخواله في جو  
فارسي ، وكان يتجاهر بشرب الخمر ومجالس الغناء بعكس أبيه !

وقد اعترف الذهبي وهو المتعصب لبني أمية والعباس بأن المهدي العباسي  
كغيره من خلفائهم منهمك في شهواته !

قال في تاريخه ( ١٠ / ٤٤٤ ) : « والمهدي كغيره من عموم الخلائف والملوك ، له ما  
لهم وعليه ما عليهم ، كان منهمكاً في اللذات واللهو والعبيد » .

وتدل وفاته على ترفه ، فقد ذهب للصيد الى منطقة ماسبذان الجبلية في إيران ،  
ومعه موكبه من الصيادين والندماء والمغنين والجواري ، فطارد غزالاً فدخل في  
خربة والكلاب وراءه ، ودخل فرسه وراء الغزال فضرب رأسه بعتبة باب  
الخربة فمات على الفور ! ( تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٠٠ ، والطبري : ٦ / ٣٩٢ ) .

وتقع ماسبذان وقرية الرذ قرب إيلام بين بغداد وهمدان : « ومات المهدي بالرذ  
من ماسبذان لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة ... وكان عمره ثلاثاً  
وأربعين سنة ، وخلافته عشر سنين وشهر وخمسة أيام » . ( تاريخ بغداد : ٣ / ١٨ ) .

(٢)

لم يكن المهدي مقتنعاً بسياسة أبيه المنصور في تعظيم أبي بكر وعمر والترضي



عنهما في صلاة الجمعة ، ففي أخبار السيد الحميري / ١٧٦ ، والأغاني : ٢٦٣ / ٧ ،  
( وطبعة : ٢ / ٢٩٠ ) : « جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلواتٍ لهم وهو ولي عهد ،  
فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش ، فجاء السيد ( الحميري ) فرفع إلى الربيع رقعة  
مختومة ، وقال إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه ، فأوصلها فإذا فيها :

قُلْ لَابْنِ عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ	لَا تُعْطِينَ بَنِي عَدِيٍّ دَرَهْمًا
إِحْرِمْ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مُرَّةٍ إِنَّهُمْ	شَرُّ الْبَرِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدَّمًا
إِنْ تُعْطِهِمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً	وَيَكْفَأُكَ بَأْنَ تُدَمَّ وَتُشْتَمَا
وَإِنْ أَيْتَمْنَتْهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ	خَانُوكَ وَأَتَّخَذُوا خِرَاجَكَ مَعْنَمَا
وَلَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَأُوكُمْ	بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكُوا وَكَانُوا أَظْلَمَا
مَنْعُوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ	وَابْنَيْهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرْيَمَا
وَتَأْمُرُوا مَنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا	وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هِنَاكَ مَأْتَمَا
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إِعْنَامَهُ	أَفِيضُكَرُونَ لَغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا
وَاللَّهُ مَنْ عَلَّمَهُ بِمُحَمَّدٍ	وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا
ثُمَّ انْبَرُوا لَوْصِيَّهِ وَوَلِيِّهِ	بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا

وهي قصيدة طويلة ، حذف باقيها لقبح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عبيد الله  
ثم قال اقطع العطاء فقطعه ! وانصرف الناس ودخل السيد إليه فلما رآه ضحك  
وقال : قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل ! ولم يعطهم شيئاً !

وكان يخالف أتباع أبي بكر وعمر ويوافق أهل البيت عليهم السلام فيحجر بالبسمة !

« صلى بنا المهدي صلاة المغرب فجهر بيسم الله الرحمن الرحيم ، قال فقلت : يا أمير المؤمنين ما هذا ؟ فقال : حدثني أبي عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس أن رسول الله (ص) جهر بيسم الله الرحمن الرحيم » ! ( تاريخ دمشق : ٥٣ / ٤١٢ ) .

(٣)

كان لعلي بن يقطين عليه السلام تأثير كبير على المهدي العباسي ، فقد وضعه المنصور في حجر يقطين : « فنشأ المهدي وعلي بن يقطين كأنهما أخوان ، فلما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي بن يقطين وقدمه وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم ، فلم يزل في يده حتى توفي المهدي وأفضى الأمر إلى الهادي فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحداً من أمره ، إلى أن توفي الهادي » ( ذيل تاريخ بغداد : ٤ / ٢٠٢ ) .

« وكان علي بن يقطين والحسن بن راشد يغلبان على أموره » ( تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٠٠ ) .

وكان علي بن يقطين شخصية كفوءة ، وشيعياً جليداً ، أما الحسن بن راشد فيظهر أنه معاونه ، وأنه أكبر منه سناً لأنه يروي عن الإمام الصادق عليه السلام كثيراً ، ويروي عنه حفيده يحيى بن القاسم . ويأتي ذكره في ترتيب الخيزران خدماً لقبير الحسين عليه السلام . راجع : فهرست الشيخ الطوسي / ١٠٦ ، ورجال ابن الغضائري / ٤٩ ، ومعجم السيد الخوئي : ٥ / ٣١٢ ، وأعيان الشيعة : ٥ / ٧١ .

(٤)

خالف المهدي أباه في سياسته المالية ، فقد كان المنصور بخيلاً طماعاً جماعاً للمال حتى سموه أبا الدوانق ! فلما تولى المهدي أخرج خزائن أبيه وقناطير ذهبه وأنفقها ! « لما حصلت في يد المهدي الخزائن والأموال وذخائر المنصور ، أخذ في

رد المظالم ، وأخرج ما في الخزائن ففرقه حتى أكثر من ذلك ، وبر أهله وأقرباءه ومواليه وذوي الحرمة به ، وأخرج لأهل بيته أرزاقاً لكل واحد منهم في كل شهر خمس مائة درهم ، لكل رجل ستة آلاف درهم في السنة ، وأخرج لهم في الأقسام لكل رجل عشرة ألف درهم ، وزاد بعضهم .

« جمع من الأموال ما لا يعبر عنه ، وكان مسيكاً (بخيلاً) » (الذهبي في تاريخه : ١٠ / ٤٣٨ )

(٥)

خفض المهدي قليلاً قرار أبيه بإبادة العلويين ، وتقدم أنه تقزز من وصية أبيه له بالغرفة المخروطية التي جمع فيها رؤوس العلويين ، وأمر بدفنها . ولكنه ظل ييغضهم ويعتبرهم أخطر أعداء العباسيين !

ويدل على ذلك تعامله مع الإمام الكاظم عليه السلام ، كما سترى .

ويدل عليه موقفه من وصية القاسم بن مجاشع التميمي وكان من نقباء بني العباس وكبار ولائهم ( الطبري : ٦ / ٣٥ ) فلما توفي : « أوصى إلى المهدي فكتب : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام إلى آخر الآية .. ثم كتب : والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ويشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن علي بن أبي طالب وصي رسول الله ووارث الإمامة بعده . قال : فعرضت الوصية على المهدي فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها » ! ( تاريخ الطبري : ٦ / ٣٩٧ ) .

ويدل عليه : تعامله مع شريك النخعي ، وكان من كبار الفقهاء ، فقد دعاه المهدي ليكون قاضي خلافة فقال : « لا أصلح لذلك . قال : ولم ذلك ؟

قال : لأني نساءٌ . قال : عليك بمضغ اللُّبان . قال : إني حَدِيدٌ (عصي) قال : قد فرض لك أمير المؤمنين فالوَدَجَةَ توقرك ( تهدئ أعصابك ) . قال : إني امرؤ أقضي على الوارد والصادر ( بدون تمييز ) ! قال : إقضي عليّ وعلى والدي ! قال : فاكفني حاشيتك . قال : قد فعلتُ .

فكانت أول زُفْعَةٍ وردت عليه من خالصة جارية المهدي ، فجاءت لتتقدم الخضم فقال : وراءك مع خصمك ، مراراً فأبَتْ . فقال : وراءك يا لحناء !

قالت : يا شيخ أنت أحمق ! قال : قد أخبرتُ مولاك فأبي علي ! فجاءت إلى المهدي تشكو إليه ، فقال لها : إلزمني بيتك ولا تعرضي له !

وفي العقد الفريد : ١ / ١٤٧ : « كان بين شريك القاضي والربيع حاجب المهدي معارضة ، فكان الربيع يحمل عليه المهدي ( يحركه عليه ) فلا يلتفت إليه ، حتى رأى المهدي في منامه شريكاً القاضي مصروفاً وجهه عنه ، فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن شريكاً مخالف لك وإنه فاطمي محض ! قال المهدي : عليّ به فلما دخل عليه قال له : يا شريك بلغني أنك فاطمي ! قال له شريك : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمي إلا أن تعني فاطمة بنت كسرى !

قال : ولكني أعني فاطمة بنت محمد (ص) . قال : أفتلعتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معاذ الله . قال : فماذا تقول فيما يلعتها ؟ قال : عليه لعنة الله ، قال : فالعن هذا يعني الربيع ، فإنه يلعتها فعليه لعنة الله ! قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ما ألعنها ! قال له شريك : يا ماجن فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين ، في

مجالس الرجال؟! قال المهدي : دعني من هذا ، فإني رأيتك في منامي كأن وجهك مصروف عني وقفاك إليّ ، وما ذلك إلا بخلافك علي ! ورأيت في منامي كأني أقتل زنديقاً ! قال شريك : إن رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه ، وإن الدماء لا تستحل بالأحلام ، وإن علامة الزندقة بينة ! قال : وما هي قال : شرب الخمر والرشا في الحكم ومهر البغي . قال : صدقت والله أبا عبد الله . أنت والله خير من الذي حملني عليك !

« ودخل على المهدي فقال له : يا شريك بلغني أنك فاطمي ! فقال : أتحبُّ فاطمة ، أعثر الله من لا يحبُّ فاطمة ! فقال المهدي : آمين . فلما خرج شريك قال المهدي لمن عنده : لعنة الله ما أظنُّه إلا عتاني !

وقال له يوماً : أئنا أشرف ، نحن أم ولدُ عليّ ؟ فقال شريك : أمك مثل فاطمة حتى تُساويهم في الشرف؟! . ( نثر الدر للآبي : ٢ / ٣٨٦ ) .

« ذكر معاوية بن أبي سفيان عنده ووصف بالحلم فقال شريك : ليس بجليم من سفه الحق ، وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه » . ( وفيات الأعيان : ٢ / ٤٦٥ ) .

وفي تاريخ دمشق : ٥٣ / ٤٢٢ : « قال أبو يوسف القاضي للمهدي : يا أمير المؤمنين إن شريكاً لا يرى الصلاة خلفك ! فأرسل إليه المهدي فأحضره ، قال فقال له : ما تقول في أبي يوسف ؟ قال : من أبو يوسف يا أمير المؤمنين ؟ قال : يعقوب . قال : ومن يعقوب يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا . قال : تسأل عنه فإن كان عدلاً جازت شهادته . قال فقال له المهدي : ما تقول أنت فيه ؟ قال : أعرفه وأعرف أباه ، وكان أبوه غلاماً عندنا بالكوفة ينتمي إلى العرب ، وليس من العرب !

قال فغضب المهدي قال فقال : يا بن الفاعلة بالزنا ! قال فقال له شريك : مه مه  
فما علمتها إلا صوامة قوامة ! قال فقال له المهدي : يا زنديق والله لأقتلنك !

قال فجعل شريك يضحك ويقول ها ها ! قال : وكان شريك جهوري الصوت  
وقال : يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات : شرهم النبيذ ، واتخاذهم القينات  
ووقوفهم عن الجماعات . قال : فأطرق المهدي وقام شريك فانصرف . « وفي تاريخ  
بغداد : ٩ / ٢٩٤ : «إن للزنادقة علامات ، تركهم الجماعات ، وشرهم القهوة  
وتخلفهم عن الجماعات ! فقال المهدي يا أبا عبد الله لم نعنك بهذا !

« قال : ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : ما قال فيه جدك العباس وعبد الله .  
قال : وما قالوا فيه ؟ قال : أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة وقد كان  
يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل ، وما احتاج إلى أحد حتى  
لحق بالله . وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين ، وكان في حروبه رأساً  
متبعاً وقائداً مطاعاً ، فلو كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عنها أبوك  
لعلمه بدين الله ، وفقهه في أحكام الله ! فسكت المهدي وأطرق ، ولم يمض بعد  
هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريكاً » ! ( وفيات الأعيان : ٢ / ٤٦٢ ) .

(٦)

لم يهتم المهدي العباسي بمشروع أبيه فيه وزعمه أنه المهدي الموعود على لسان  
النبي صلى الله عليه وآله ! وقد ألقى المنصور بثقله لإنجاح هذا المشروع فبنى له قصر الرصافة  
وأقام فيه احتفالاً تاريخياً ومجلساً شرعياً ، وأحضر الفقهاء والقضاة فبايعوه  
بولاية العهد ، وشهدوا بأنه هو المهدي المنتظر !

ففي الأغاني : ٣١٣ / ١٣ : « عن الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أن المنصور كان يريد البيعة للمهدي ، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك ، فأمر بإحضار الناس فحضروا ، وقامت الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء فأكثرُوا في وصف المهدي وفضائله وفيهم مطيع بن إياس ، فلما فرغ من كلامه الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور : يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبي صلى الله عليه وآله قال : المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد علي ذلك !

ثم أقبل على العباس فقال له : أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم ، مخافةً من المنصور ! فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي !

قال : ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به ، قال : رأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله حتى استشهدني على كذبه ، فشهدت له خوفاً ، وشهد كل من حضر عليّ بأني كاذب !

وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر ، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته ! قال وكان جعفر ماجناً فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقت عليه البيعة لمحمد فأخرج ( ... آتته ) ثم قال : إن كان أخي محمد هو المهدي ، فهذا القائم من آل محمد « ! راجع : الطبري : ٦ / ٢٦٩ ، واليعقوبي : ٢ / ٣٩٥ ، والمعارف / ٣٧٩ ، والنهاية : ١٠ / ١١١ ، وشذرات الذهب : ١ / ٢١٩ ، وعبر الذهبي : ١ / ٢٠٧ ، وتاريخ دمشق : ٤٨ / ٩ .

وقد اعترف هارون بكذبة جده المنصور ! قال سليمان بن إسحاق العباسي : « كنت يوماً عند الرشيد فذكر المهدي وما ذكر من عدله فأطنب في ذلك ، فقال الرشيد :

أحسبكم تحسبون أبي المهدي ! حدثني عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب أن النبي (ص) قال له : يا عم ، يملك من ولدي إثنا عشر خليفة ، ثم تكون أمور كريهة شديدة عظيمة ، ثم يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويمكث في الأرض ما شاء الله ، ثم يخرج الدجال » . ( إعلام الوری / ٣٦٥ وطبعة : ٢ / ١٦٥ ، وقصص الأنبياء / ٣٦٩ ، ومناقب ابن شهر آشوب : ١ / ٢٩٢ ، والعدد القوية / ٨٩ ، وفرائد السمطين : ٢ / ٣٢٩ ) .

ومن العجيب في الموضوع موقف المهدي العباسي نفسه ، حيث لم يكثرث بادعاء أبيه له ! ولم نجد عنه كلمة يزعم فيها أنه المهدي أو يؤيد ادعاء أبيه !

### ٣ . رووا هم أن المهدي العباسي ليس بمهدي !

روى الطبراني بسند موثق ( المعجم الأوسط : ٦ / ٢٩٧ ) أن النبي صلی اللہ علیہ وسلم أخبر عمه العباس بملك أولاده ، وقال له : « يا عباس إنه لا يكون نبوة إلا كانت بعدها خلافة . وسيلي من ولدك في آخر الزمان سبع عشرة ، منهم السفاح ، ومنهم المنصور ، ومنهم المهدي وليس بمهدي ، ومنهم الجموح ، ومنهم العاقب ، ومنهم الواهن ، وويل لأمتي منه كيف يعقرها ويهلكها ... » وجمع الزوائد : ٥ / ١٨٧ .

وكان المنصور يعلم أنه كاذب في ادعائه أن ابنه المهدي ! لأنه كان يروي أن المهدي من ولد أبي طالب ! قال سيف بن عميرة ( الكافي : ٨ / ٢٠٩ ) : « كنت عند أبي الدوانيق فسمعتة يقول ابتداءً من نفسه : يا سيف بن عميرة : لا بد من مناد ينادي باسم رجل من ولد أبي طالب ! قلت : يرويه أحد من الناس ؟ قال : والذي نفسي



بيده لسمعت أذني منه يقول : لا بد من مناد ينادي باسم رجل قلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الحديث ما سمعت بمثله قط ! فقال لي : يا سيف إذا كان ذلك فنحن أول من يجيبه ، أما إنه أحد بني عمنا ! قلت : أي بني عمكم ؟ قال : رجل من ولد فاطمة عليها السلام . ثم قال : يا سيف لولا أني سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقوله ، ثم حدثني به أهل الأرض ما قبلته منهم ، ولكنه محمد بن علي « ! ومثله الإرشاد / ٣٥٨ ، وغيبة الطوسي / ٢٦٥ ، والخرائج : ٣ / ١١٥٧ ، وإثبات الهداة : ٣ / ٧٢٥ .

وسبب يقين المنصور بكلام الإمام الباقر عليه السلام ، أنه رأى صدق ما أخبره به عن المستقبل ، وأنه سوف يحكم !

ومهما يكن ، فإن الواقع كذب أن ابن المنصور هو المهدي ، فلم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، ولا بيته ! بل زاد الأرض ظلماً وجوراً ! ولم يعط المال للناس حثياً بدون عد ، بل صادر أموالهم وزادهم فقراً !

ثم كان خمراً مغرمّاً بمجالس الرقص والغناء ، فأنجب للمسلمين بنتاً مغنية ضرابة عود هي غليّة العباسية ، وأنجب أباها المغني إبراهيم بن المهدي « قال ابن الفضل بن الربيع : ما اجتمع أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة » . ( سير الذهبي : ١٠ / ٥٦١ ) .

« وكانت عليّة بنت المهدي تهوى غلاماً خادماً اسمه طل ، فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها ، فاطلع الرشيد يوماً عليها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة : فإن لم يصبها وابل فالذي نهي عنه أمير المؤمنين « ! ( المستطرف : ١ / ١٠٠ ) .

لكن الذهبي قال فيها : « رخيمة الصوت ذات عفة وتقوى ومناقب » ! ( سيره : ١٠ / ١٨٧ ) .

كما أنجب المهدي عباسة عشيقة جعفر البرمكي ، وكان أخوها هارون : « لا يصبر عن جعفر وأخته عباسة وكان يحضرهما مجلس الشراب فيقوم هو فقال : أزوجكها على أن لا تمسها ! قال : فكانا يثملان ويذهب الرشيد ويثب جعفر عليها فولدت منه غلاماً » ! ( الطبري : ٤ / ٦٦٠ ، وسير الذهبي : ٩ / ٦٦ ) .

وقال أعرابي للمهدي : « إني هجين ! قال : ليس يضرك ذلك ، فإخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن » ! و ( تاريخ الذهبي : ١٠ / ٤٤٢ ) .

« وكان المهدي يحب الحمام ويشتهيها ، فأدخل عليه غياث بن إبراهيم فقيل له حدث أمير المؤمنين ، فحدثه بحديث أبي هريرة : لا سبق إلا في حافر أو نصل وزاد فيه : ( أو جناح ) فأمر له المهدي بعشرة آلاف !

قال : فلما قام قال : أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله (ص) ، وإنما استجلبت ذلك أنا » . ( تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٢٠ وميزان الاعتدال : ٣ / ٣٣٧ ، ولسان الميزان : ٤ / ٤٢٢ ) .

#### ٤ . كان المهدي يخاف من زوجته الخيزران !

تتوقف معرفة شخصية المهدي وولديه موسى الهادي وهارون الرشيد ، على معرفة شخصية زوجته الخيزران ! وهي امرأة يمانية من مدينة جرش في اليمن قرب نجران ، من قبيلة حمير ، وليست من جرش في الأردن قرب عمان ( معجم البلدان : ٢ / ١٢٦ ) واسمها أروى بنت منصور . ( الطبري : ٦ / ٣٤١ )

قال في المنتظم : ٣٤٦ / ٨ : « لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها : والله يا جارية إنك لعلى غاية التمني ، ولكنك حمشة الساقين ! فقالت : يا مولانا أحوج ما تكون إليهما لا تراهما ! فقال : إشتروها ، فحظيت عنده فأولدها موسى وهارون ! »

وقال الجاحظ في المحاسن والأضداد / ٧٠ : « كانت الخيزران لرجل من ثقيف ، فقالت لمولاهما الثقفي : إني رأيت رؤيا . قال : وما هي ؟ قالت : رأيت كأن القمر خرج من قبلي وكأن الشمس خرجت من دبري ! قال لها : لست من جواري مثلي أنت تلدين خليفتين ! فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشترت ، وعرضت على المنصور فقال : من أين أنت ؟ قالت : المولد مكة والمنشأ بجرش . قال : فلك أحد ؟ قالت : ما لي أحد إلا الله ، وما ولدت أمي غيري ! قال : يا غلام إذهب بها إلى المهدي وقل له : تصلح للولد ، فأتى بها المهدي فوقعته فوقعت منه كل موقع ، فلما ولدت موسى وهارون قالت : إن لي أهل بيت بجرش ، قال : ومن لك ؟ قالت : لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي أم وأخوان . فكتب فأتى بهم ، فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينه تزوجها الرشيد . وبقيت أسماء بكرة فقال المهدي للخيزران : قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما ، وما أحب أن تبقى أمة ، وأحب أن أعتقك وتخرجين إلى مكة ، وتقدمين فأتزوجك .

قالت : الصواب رأيت ، فأعتقها وخرجت إلى مكة ، فتزوج المهدي أختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم ! فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها ، فقالت : ما خير أسماء وكم وهبت لها ؟ قال : من أسماء ؟ قالت : امرأتك . قال : أما إذا علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم ، ووهبت لها ألف ألف درهم ، ثم تزوج الخيزران . »

وذكر **اليقوي** (٣٩٩ / ٢) أن المنصور ولى يزيد بن منصور خال المهدي على اليمن ، وأن المهدي ولاه مع ابنه الهادي على بغداد سنة مئة ستين (ابن خلدون : ٢٠٩ / ٣)

وذكر الطبري (٣٧٩ / ٦) أن يزيداً هذا توفي فولى ابنه منصوراً مكانه .

وكانت الخيزران قوية على زوجها المهدي ، ففي تاريخ بغداد : ٤٣١ / ١٤ : « عن الواقدي قال : دخلت يوماً إلى المهدي فدعا بمحبرته ودفتره ، وكتب عني أشياء حدثته بها ثم نهض وقال : كن مكانك حتى أعود إليك ودخل إلى دار الحرم ، ثم خرج متنكراً ممتلئاً غيظاً ! فلما جلس قلت : يا أمير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التي دخلت عليها ؟ فقال : نعم ! دخلت على الخيزران فوثبت عليّ ومدت يدها إليّ وخرقت ثوبي ، وقالت : يا قشاش وأي خير رأيت منك ؟ وإنما اشتريتها من نخاس ، ورأت مني ما رأته وعقدت لابنيها ولاية العهد ! ويحك فأنا قشاش ؟ قال فقلت : يا أمير المؤمنين قال رسول الله (ص) إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام ! وقال : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي . وقال : خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته . وحدثته في هذا الباب بكل ما حضرني ، فسكن غضبه وأسفر وجهه ، وأمر لي بألفي دينار ، وقال : أصلح بهذه من حالك وانصرفت . فلما وصلت إلى منزلي وافاني رسول الخيزران فقال : تقرأ عليك ستي السلام وتقول لك : يا عمي قد سمعت جميع ما كلمت به أمير المؤمنين فأحسن الله جزاءك ، وهذه ألفا دينار إلا عشرة دنانير ، بعثت بها إليك لأني لا أحب أن أساوي صلة أمير المؤمنين ، ووجهت إليّ بأثواب » ! وتاريخ دمشق : ٥٣ / ٤٢٥ .

وقال الذهبي في تاريخه : ٤٠ / ١٠ : « هلك الخليفة موسى الهادي من قرحة أصابته في جوفه ، وقيل سمته أمه الخيزران لما أجمع على قتل أخيه الرشيد . وكانت أيضاً حاكمة مستبدة بالأمر الكبار فمنعها ، وقد كانت المواكب تغدو إلى بابها ، فردهم عن ذلك وكلمها بكلام فج ، وقال : إن وقف بدارك أمير لأضر بن عنقه ، أما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكرك ، أو سبحة !؟

فقامت ما تعقل من الغضب ، فقيل إنه بعث إليها بطعام مسموم ! فأطعمت منه كلباً فانتثر ! فعملت على قتله لما وُعدك بأن غموا وجهه ببساط جلسوا على جوانبه ، وكان يريد إهلاك الرشيد ليولي العهد ولده وهو صغير له عشر سنين .. وكانت خلافته سنة وربع ، وعاش ستاً وعشرين سنة » .

وروى الطبري في تاريخه : ٤٢١ / ٦ ، تفاصيل كثيرة في الصراع على السلطة بين موسى الهادي وأخيه الرشيد وأمهما خيزران ، وفيها أن موسى اتهم الخيزران بعباد الله بن مالك وأراد قتلها ، وعندما قتله قالت ليحيى بن خالد : « إن الرجل قد توفي ، فاجدد في أمرك ولا تقصر » أي رتب الأمر للرشيد ، فرتبه وكان هو رئيس وزرائه ! وكان ذلك في سنة ١٧٠ ، وعاشت خيزران إلى سنة ١٧٣ . ( تاريخ الذهبي : ١١ / ١٠٩ ) .

## ٥ . لم تكن الخيزران ناصية كزوجها وولديها !

يدل على ذلك أنها وظفت مسؤولاً يخدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وزواره ! وأن الإمام الكاظم عليه السلام أرسل لها رسالة يعزيها بموت موسى ويهنيها بتولي هارون !

فقد منع المنصور بعد ثورة الحسينيين زيارة قبر الحسين عليه السلام في كربلاء ، وأمر والي الكوفة عيسى بن موسى أن يخرب القبر : « كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها » ! لكن الشيعة واصلوا زيارته . ( أمالي الطوسي / ٣٢١ ) .

وتجاوبت معهم الخيزران فرتبت بدون علم زوجها قيماً وخدمتاً لقبر الحسين عليه السلام ، وأمرت الوزير الشيعي الحسن بن راشد أن يجري عليهم راتباً شهرياً !

فقد روى الطبري في تاريخه : ٦ / ٥٣٦ ، وفي طبعة : ٥ / ٢١ ، عن : « القاسم بن يحيى قال : بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحير ( أي كربلاء ) قال فأتي بهم ، فنظر إليه الحسن بن راشد وقال : مالك ؟ قال بعث إليّ هذا الرجل يعني الرشيد فأحضرني ، ولست آمنه على نفسي ! قال له : فإذا دخلت عليه فسألك فقل له : الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع ! فلما دخل عليه قال هذا القول ، قال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ، أحضروه ! قال فلما حضر قال : ما هلك على أن صيرت هذا الرجل في الحير ؟ قال : رحم الله من صيره في الحير ، أمرتني أم موسى ( الخيزران ) أن أصيره فيه وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً ! فقال : ردوه إلى الحير وأجروا عليه ما أجرته أم موسى » !

والحسن بن راشد معاون علي بن يقطين . ( تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٠١ ) .

## ٦ . كتب الإمام الكاظم عليه السلام رسالة الى الخيزران

في قرب الإسناد للحميري القمي / ٣٠٦ : « محمد بن عيسى ، عن بعض من ذكره ، أنه كتب أبو الحسن موسى عليه السلام إلى الخيزران يعزيها بموسى ابنها ويهنؤها بهارون ابنها : بسم الله الرحمن الرحيم . للخيزران أم أمير المؤمنين من موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، أما بعد : أصلحك الله وأمتع بك ، وأكرمك وحفظك ، وأتم النعمة والعافية في الدنيا والآخرة لك برحمته . ثم إن الأمور أطال الله بقاءك كلها بيد الله عز وجل يمضيها ويقدرها بقدرته فيها والسلطان عليها ، توكل بحفظ ماضيها وتمام باقيها ، فلا مقدم لما أحر منها ولا مؤخر لما قدم ، استأثر بالبقاء وخلق خلقه للفناء ، وأسكنهم دنيا سريع زوالها قليل بقاءها ، وجعل لهم مرجعاً إلى دار لا زوال لها ولا فناء ، وكتب الموت على جميع خلقه ، وجعلهم أسوة فيه ، عدلاً منه عليهم عزيزاً ، وقدرة منه عليهم ، لا مدفع لأحد منه ولا محيص له عنه ، حتى يجمع الله تبارك وتعالى بذلك إلى دار البقاء خلقه ، ويرث به أرضه ومن عليها ، وإليه يرجعون .

بلغنا أطال الله بقاءك ما كان من قضاء الله الغالب ، في وفاة أمير المؤمنين موسى وإنا لله وإنا إليه راجعون ، إعظاماً لمصيبته وإجلالاً لرزئه وفقده ، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون ، صبراً لأمر الله عز وجل وتسليماً لقضائه ... ونسأل الله أن يعظم أجرك أمتع الله بك ، وأن يحسن عقباك ، وأن يعوضك من المصيبة أفضل ما وعد الصابرين ... وأسأل الله أن يهنيك خلافة أمير المؤمنين أمتع الله به ... وأن يمتعك وإيانا خاصة والمسلمين عامة بأمر المؤمنين ، حتى نبليغ به أفضل الأمل فيه ...

إن رأيت أطال الله بقاءك أن تكتبي إلي بخبرك في خاصة نفسك ، وحال جزيل هذه المصيبة وسلوتك عنها ، فعلت ، فإني بذلك مهتمٌ إلى ما جاءني من خبرك وحالك فيه متطلع ، أتم الله لك أفضل ما عودك من نعمه ، واصطع عندك من كرامته ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم الخميس لسبع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة » .

أقول : مات موسى الهادي في نصف ربيع الأول ( الطبري : ٦ / ٤٢٨ ) فتكون رسالة الإمام عليه السلام لخيزران بعد موته بثلاثة أسابيع . ومع أن الحميري رضي الله عنه تفرد بالرسالة وروايته مرسله ، إلا أنها ممكنة الصحة ، فقد كانت الخيزران مركز القوة في الخلافة العباسية ، فخاطبها الإمام عليه السلام بليوننة كما يخاطب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام جابرة عصورهم !

ويبدو أن إنفاقها على قيّم وخدام قبر الإمام الحسين عليه السلام كان واحداً من سياستها الإيجابية مع الإمام عليه السلام وشيعته ، وقد تكون لها إيجابيات أخرى ، وتكون أرسلت إليه مبعوثين ورسائل .

وقد علق المجلسي رضي الله عنه في البحار ( ٤٨ / ١٣٥ ) على هذه الرسالة بقوله : « أنظر إلى شدة التقية في زمانه عليه السلام حتى أحوجته إلى أن يكتب مثل هذا الكتاب لموت كافر لا يؤمن بيوم الحساب ، فهذا يفتح لك من التقية كل باب » !



## ٧ . كانت علاقة الإمام الكاظم عليه السلام حسنة مع المهدي

روى في الكافي ( ١ / ٣٥٨ ) قصة موسى بن عبد الله بن الحسن المعروف بموسى الجون ، وأن الإمام الصادق عليه السلام نصحه أن لا يخرج مع أخيه محمد الذي ادعى المهديّة ، وأخبرهم بأنه سيهزم معهم ويتشرد ، ونصحه بأن يطلب الأمان من العباسيين . وكيف طلب الأمان من المهدي العباسي فعفا عنه وأعطاه جائزة ، وأعطى للإمام الكاظم لأنه كأبيه الصادق عليه السلام لا يريان الثورة على العباسيين !

فقد حكى موسى الجون مجيئه مع أبيه عبد الله بن الحسن الى الإمام الصادق عليه السلام ومحاولته أن يأخذ منه البيعة لولده محمد على أنه هو المهدي الموعود ! فقال له الإمام عليه السلام : « فوالله إني لأراه أشأم سلحة أخرجتها أصلاب الرجال إلى أرحام النساء ، والله إنه المقتول بسدة أشجع بين دورها ، والله لكأني به صريعاً مسلوباً بزته بين رجليه لبنة ! ولا ينفع هذا الغلام ما يسمع ! قال موسى بن عبد الله : يعينني ، وليخرجن معه فيهزم ويقتل صاحبه ، ثم يمضي فيخرج معه راية أخرى ، فيقتل كبشها ويتفرق جيشها ، فإن أطاعني فليطلب الأمان عند ذلك من بني العباس ، حتى يأتيه إليه بالفرج » .

قال موسى : « فلما ضاقت علي الأرض واشتد بي الخوف ، ذكرت ما قال أبو عبد الله عليه السلام فجئت إلى المهدي وقد حج وهو يخطب الناس في ظل الكعبة ، فما شعر إلا وأني قد قمت من تحت المنبر فقلت : لي الأمان يا أمير المؤمنين وأدلك على نصيحة لك عندي . فقال : نعم ، ما هي ؟ قلت : أدلك على موسى بن عبد الله بن حسن ! فقال لي : نعم لك الأمان ، فقلت له : أعطني ما أثق به ، فأخذت منه

عهداً وموثيق ووثقت لنفسي ، ثم قلت : أنا موسى بن عبد الله ، فقال لي : إذا تُكرم وتحبى ! فقلت له : أقطعني إلى بعض أهل بيتك يقوم بأمرى عندك ، فقال لي : أنظر إلى من أردت ، فقلت : عمك العباس بن محمد ، فقال العباس : لا حاجة لي فيك ، فقلت : ولكن لي فيك الحاجة ، أسألك بحق أمير المؤمنين إلا قبلتني فقبلني شاء أو أبى ، وقال لي المهدي : من يعرفك ، وحوله أصحابنا أو أكثرهم ؟ فقلت : هذا الحسن بن زيد يعرفني ، وهذا موسى بن جعفر يعرفني ، وهذا الحسن بن عبد الله بن العباس يعرفني ! فقالوا : نعم يا أمير المؤمنين كأنه لم يغب عنا ! ثم قلت للمهدي : يا أمير المؤمنين لقد أخبرني بهذا المقام أبو هذا الرجل وأشارت إلى موسى بن جعفر ! قال موسى بن عبد الله : وكذبت على جعفر كذبة فقلت له : وأمرني أن أقرئك السلام وقال إنه إمام عدل وسخاء !

قال : فأمر لموسى بن جعفر بخمسة آلاف دينار ، فأمر لي منها موسى بألفي دينار ، ووصل عامة أصحابه ووصلني فأحسن صلتي .

فحيث ما ذكر ولد محمد بن علي بن الحسين فقولوا صلى الله عليه وملائكته وحملة عرشه والكرام الكاتبون ، وخصوا أبا عبد الله بأطيب ذلك ، وجزى موسى بن جعفر عني خيراً ، فأنا والله مولاهم بعد الله !

كما أن علاقة الإمام الكاظم عليه السلام كانت حسنة مع والي المدينة ، فقد روى الزيات في طب الأئمة / ٩٢ ، أن والي المدينة شكى الى الإمام الكاظم عليه السلام : « تواتر الوجد على ابنه ، قال : تكتب له هذه العوذة في رق ، وتصيرها في قضية فضة وتعلق على الصبي ، يدفع الله عنه بها بكل علة » .

## ٨ . وكان المهدي يحترم مقام الإمام الكاظم عليه السلام

١ - في السنة الثانية لتوليته الخلافة وهي سنة ستين ومائة حج المهدي : « وأمر بتوسعة المسجد الحرام ، وكشط كسوة الكعبة ، وكساها » . (المخبر / ٣٦) .

« لما بنى المهدي المسجد الحرام بقيت دار في تريع المسجد ، فطلبها من أربابها فامتنعوا ، فسأل عن ذلك الفقهاء فكل قال له إنه لا ينبغي أن يدخل شيئاً في المسجد الحرام غصباً ، فقال له علي بن يقطين : يا أمير المؤمنين لو كتبت إلى موسى بن جعفر لأخبرك بوجه الأمر في ذلك . فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك ؟ فقال أبو الحسن : ولا بد من الجواب في هذا ؟ فقال له : الأمر لا بد منه ، فقال له : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها ، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها . فلما أتى الكتاب إلى المهدي أخذ الكتاب فقبله ، ثم أمر بدم الدار ! فأتى أهل الدار أبا الحسن فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دارهم ، فكتب إليه أن ارضخ لهم شيئاً فأرضاهم » . (تفسير العياشي : ١ / ١٨٥) .

٢ - « عن علي بن يقطين أنه قال : أمر أبو جعفر الدوانيقي يقطين أن يحفر له بئراً بقصر العبادي ، فلم يزل يقطين في حفرها حتى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء ، وأخبر المهدي بذلك فقال له : إحفر أبداً حتى يستنبط الماء ، ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال ! قال : فوجه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها ، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض ، فخرجت منه الريح قال فهالهم

ذلك ! فأخبروا به أبا موسى فقال : أنزلوني ! قال : فأنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع ، فأجلس في شق محمل ودلي في البئر ، فلما صار في قعرها نظر إلى هول ، وسمع دوي الريح في أسفل ذلك ، فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم ، ثم دلى فيه رجلاً في شق محمل فقال : إيتوني بخبر هذا ما هو ؟ قال : فنزلاً في شق محمل فمكثنا ملياً ، ثم حركا الجبل فأصعدا فقال لهما : ما رأيكما ؟ قال : أمراً عظيماً ! رجالا ! ونساءً وبيوتاً وأنيّةً ومتاعاً ، كله ممسوخ من حجارة ! فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم ، فمن بين قاعد ومضطجع ومتكى ، فلما مسسناهم إذا ثيابهم تنفشا شبه الهباء ومنازل قائمة !

قال : فكتب بذلك أبو موسى إلى المهدي ، فكتب المهدي إلى المدينة إلى موسى بن جعفر عليه السلام يسأله أن يقدم عليه فقدم عليه ، فأخبره فبكى بكاءً شديداً وقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد ، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم ، هؤلاء أصحاب الأحقاف ! قال : فقال له المهدي : يا أبا الحسن وما الأحقاف ؟ قال : الرمل . ( الإحتجاج : ٢ / ١٥٩ ، وبعضه يعقوبي : ٢ / ٤٠٢ ، وتاريخ الطبري : ٦ / ٣٧٨ )

وفي معجم البلدان : ٤ / ٣٠٤ : « قبر العبادي : منزل في طريق مكة من القادسية إلى العذيب ، ثم المغيثة ، ثم القرعاء ، ثم واقصة ، ثم العقبة ، ثم القاع ، ثم زباله ، ثم شقوق ، ثم قبر العبادي ، ثم الثعلبية ، وهي ثلث الطريق » .

وفي الخرائج : ٢ / ٦٥٥ : « ومنها : أن المهدي أمر بحفر بئر بقرب قبر العبادي لعطش الحاج هناك ، فحفرت أكثر من مائة قامة ، فبينما هم كذلك يحفرون إذ خرقوا خرقاً فإذا تحته هواء لا يدري ما قعره ، فإذا هو مظلم وللريح فيه دوي ! فأدلوا

رجلين إلى مستقره فلما خرجا تغيرت ألوانهما وقالوا : رأينا دوي هواء واسعاً ورأينا بيوتاً قائمة ورجالاً ونساء ، وإبلاً وبقراً وغنماً كلما مسسنا شيئاً منها رأيناها هباءً . فسئل الفقهاء عن ذلك ، فلم يدر أحد ما هو . فقدم أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي فسأله عنه فقال : أولئك أصحاب الأحقاف ، هم بقية من عاد ساخت بهم منازلهم . وذكر على مثل ما قال الرجلان » .

وفي تفسير القمي : ٢ / ٢٩٨ : « فلما ولي المتوكل أمر أن يحفر ذلك البئر أبداً حتى يبلغ الماء ! فحفروا حتى وضعوا في كل مائة قامة بكرة حتى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرج منها ربح باردة فمات من كان بقربها . فأخبروا المتوكل بذلك فلم يعلم بذلك ما ذاك ! فقالوا : سل ابن الرضا عن ذلك وهو أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام فكتب إليه يسأل عن ذلك ، فقال أبو الحسن : تلك بلاد الأحقاف ، وهم قوم عاد الذين أهلكهم الله بالريح الصرصر » .

ويبدو أن المقصود ثمود بقايا قوم عاد ، لأن مساكن عاد الأولى في حضرموت والربع الخالي ، ففي كنز الفوائد / ١٧٩ ، أن أمير المؤمنين عليه السلام سأل رجلاً من حضرموت : « أعلم أنت بحضرموت ؟ فقال الرجل : إن جهلتها لم أعلم شيئاً ! قال : أفتعرف موضع الأحقاف ... الخ . » .

## ٩ . ومع ذلك أراد المهدي العباسي قتل الإمام عليه السلام !

قال في تاريخ بغداد : ١٣ / ٢٩ : « أقدمه المهدي بغداد ، ثم رده إلى المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد » .

وفي الكافي : ١ / ٤٧٧ ، وقرب الإسناد / ٣٣٠ : « عن أبي خالد الزبالي قال : قدم أبو الحسن موسى عليه السلام زباله ، ومعه جماعة من أصحاب المهدي بعثهم المهدي في إشخاصه إليه ، أمرني بشراء حوائج له ونظر إلي وأنا مغموم فقال : يا با خالد مالي أراك مغموماً ؟ قلت : جعلت فداك هو ذا تصير إلى هذا الطاغية ولا آمنه عليك ! فقال : يا با خالد ليس علي منه بأس ، إذا كانت سنة كذا وكذا وشهر كذا وكذا فانتظرنى في أول الميل ، فيأني أوافيك إن شاء الله . قال : فما كانت لي همة إلا إحصاء الشهور والأيام ، فغدوت إلى أول الميل في اليوم الذي وعدني ، فلم أزل انتظره إلى أن كادت الشمس أن تغيب فلم أر أحداً فشككت فوقع في قلبي أمر عظيم ، فنظرت قرب الميل فإذا سواد قد رفع ، قال : فانتظرته فوافاني أبو الحسن عليه السلام أمام القطار على بغلة له فقال : إيه يا با خالد ! قلت : لبيك جعلت فداك قال : لا تشكن ، ود والله الشيطان أنك شككت ! قلت : قد كان والله ذلك جعلت فداك ! قال : فسرت بتخليصه وقلت : الحمد لله الذي خلصك من الطاغية . فقال : يا با خالد إن إن لي إليهم عودة لا أتخلص منهم » ! والخرائج : ١ / ٣١٥ والمناقب : ٣ / ٤١٣ .

ورواه في دلائل الامامة / ٣٣٥ ، وفيه : « فنزل في هاتين القبتين في يوم شديد البرد في سنة مجدبة ، لا يقدر على عود يستوقد به تلك السنة ، وأنا يومئذ أرى رأي الزيدية أدين الله بذلك فقال لي : يا أبا خالد إئتنا بحطب نستوقد . قلت : والله ما أعرف في المنزل عوداً واحداً ، فقال : كلا ، خذ في هذا الفج فإنك تلقى أعرابياً معه حملين فاشترهما منه ولا تماكسه ، فركبت حماري وانطلقت نحو الفج الذي وصف لي ، فإذا أعرابي معه حملين حطب فاشتريتهما منه وأتيته فاستوقدوا منه يومهم . وأتيته

بظرف مما عندنا يطعم منه ، ثم قال : يا أبا خالد أنظر خفاف الغلمان ونعالهم فأصلحها حتى نقدم عليك يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا .

قال أبو خالد : وكتبت تاريخ اليوم وليس همي غير هذه الأيام ، فلما كان يوم الميعاد ركبت حماري وسرت أميلاً ونزلت فقعدت عند الجبل أفكر في نفسي ، وأقول : والله إن وافاني هذا اليوم الذي قال لي ، فإنه الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه لا يسع الناس جهله ! فقعدت حتى أمسيت ، وأردت الإنصراف فإذا أنا براكب مقبل فأشرت إليه فأقبل إلي فسلم فرددت عليه السلام فقلت : ورائك أحد ؟ قال : نعم ، قطار فيه نحو من عشرين يشبهون أهل المدينة .

قال : فما لبثت أن ارتفع القطار فركبت حماري وتوجهت نحو القطار فإذا هو يهتف بي : يا أبا خالد هل وفينا لك بما وعدناك ؟ قلت : قد والله كنت أيسر من قدومك حتى أخبرني راكب ، فحمدت الله على ذلك وعلمت أنك هو .

قال : ما فعلت القبتان اللتان كنا نزلنا فيهما ؟ قلت : جعلت فداك تذهب إليهما ؟ وانطلقت معه حتى نزل القبتين فأتيناه بغذاء فتغذى وقال : ما حال خفاف الغلمان ونعالهم ؟ قلت : أصلحتها فأنتيه بما فسر بذلك ، فقال : يا أبا خالد ، زدنا من هذه الفسقارات التي بالمدينة ، فإننا لا نقدر فيها على هذه الأشياء التي تجدونها عندكم . قال : فلم يبق شيء إلا زودته منه ، ففرح وقال : سلني حاجتك ، وكان معه محمد أخوه . قلت : جعلت فداك أخبرك بما كنت فيه وأدين الله به ، إلى أن وقعت عليك وقدمت علي فسألتني الحطب ، فأخبرتك بما أخبرتك ، فأخبرني بالأعرابي ، ثم قلت لي إني موافيك يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا ، فكان كما

قلت ، لم ينقص ولم يزد يوماً واحداً ، فعلمت أنك الإمام الذي فرض الله طاعته لا يسع الناس جهلك ، فحمدت الله لذلك . فقال : يا أبا خالد من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ، وحوسب بما عمل في الإسلام » .

ولم أجد كلمة ( الفسقارات ) ولا بد أنها سلعة تتوفر في محطة زباله ، دون المدينة .

ويظهر أن المهدي بعث جماعة أو سرية ، ليحضروا الإمام الكاظم عليه السلام ، ليقتله ، وقد ناظره أولاً ، ثم حبسه وعزم على قتله ، فرأى ذلك المنام المرعب فأطلقه ، وعاد الإمام عليه السلام الى المدينة في الوقت الذي حدده لأبي خالد الزبالي رضي الله عنه !

ويبدو أن الإمام عليه السلام أخذ عائلته معه في تلك السفرة ، ففي الكافي : ٣ / ٢٠٢ : « لما رجع أبو الحسن موسى عليه السلام من بغداد ومضى إلى المدينة ، ماتت له ابنة بفيد ، فدفنها وأمر بعض مواليه أن يخصص قبرها ، ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر » . وتقع فيد ، بين الحجاز والعراق ، جنوب حائل . ( معجم البلدان : ٤ / ٢٨٢ ) .

وسيأتي أن المهدي حبس الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً فأطلقه .

### ١٠ . وأخبر عليه السلام بأن المهدي لا يقتله ولا الذي بعده !

« عن ابن سنان قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة ، وعليّ ابنه جالس بين يديه ، فنظر إليّ فقال : يا محمد أما إنه سيكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك ! قال قلت : وما يكون جعلت فداك ؟ فقد أقلقني ما ذكرت ! فقال : أصير إلى الطاغية ، أما إنه لا يبدأني منه سوء ، ومن الذي يكون بعده . قال قلت : وما يكون جعلت فداك ؟ قال : يضل الله الظالمين ويفعل الله ما



يشاء ! قال قلت : وما ذاك جعلت فداك ؟ قال : من ظلم ابني هذا حقه ووجدت  
 إمامته من بعدي ، كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقه ووجدته إمامته بعد  
 رسول الله صلى الله عليه وآله ! قال قلت : والله لعن مد الله لي في العمر لأسلمن له حقه ولأقرن  
 له بإمامته . قال : صدقت يا محمد بمد الله في عمرك وتسلم له حقه وتقر له  
 بإمامته وإمامة من يكون من بعده . قال قلت : ومن ذاك ؟ قال محمد ابنه ! قال  
 قلت : له الرضا والتسليم . ( الكافي : ١ / ٣١٩ ) .

### ١١ . قال الإمام عليه السلام للخليفة : ما بال مظلمتنا لا ترد؟!

في الكافي : ١ / ٥٤٣ : « عن علي بن أسباط قال : لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على  
 المهدي رآه يرد المظالم فقال : يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا ترد ؟ فقال له : وما  
 ذاك يا أبا الحسن ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فداك وما والاها  
 لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله : **وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ** ،  
 فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم ، فراجع في ذلك جبرئيل ، وراجع جبرئيل ربه  
 فأوحى الله إليه : أن ادفع فداك إلى فاطمة عليها السلام ، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها : يا  
 فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فداك ، فقالت : قد قبلت يا رسول الله من الله  
 ومنك ! فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما ولي أبو بكر أخرج  
 عنها وكلاءها ، فأتته فسألته أن يردها عليها فقال لها : إئتيني بأسود أو أحمر يشهد  
 لك بذلك ، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن ، فشهدا لها فكتب لها بترك  
 التعرض ، فخرجت والكتاب معها فلقبها عمر فقال : ما هذا معك يا بنت محمد ؟

قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة ، قال أرنييه فأبت ، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه ، فقال لها : هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولاركاب ، فضعي الحبال في رقابنا !

فقال له المهدي : يا أبا الحسن حُدِّها لي ، فقال : حد منها جبل أحد ، وحد منها عريش مصر ، وحد منها سيف البحر ، وحد منها دومة الجندل !

فقال له : كل هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين هذا كله ، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولاركاب ! فقال : كثيرٌ ، وأنظر فيه !

أقول : يشمل هذا التحديد قسماً من الجزيرة وبلاد الشام الى العريش ، وهو أول حدود مصر ( معجم البلدان : ٣ / ٣١٢ ) وقسمٌ من هذه البلاد فتح عنوة ، فلا بد أن يكون استحقاق النبي صلى الله عليه وآله لأرضها بسبب أنها لم تفتح بإذن الإمام بعده عليه السلام ، ولا ينافي ذلك أن الإمام شارك في فتحها ، وخطط لمعاركها عسكرياً .

وقد روي أن الإمام الكاظم عليه السلام حدد فداً للرشيدي بتحديد آخر ، يشمل كل الدولة الإسلامية ، ليقول له بذلك إن فداً رمز لظلامتنا في الخلافة !

ففي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٣٥ : « في كتاب أخبار الخلفاء : أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر : حد فداً حتى أردتها إليك فيأبي حتى ألح عليه فقال عليه السلام لا آخذها إلا بحدودها ! قال : وما حدودها ؟ قال : إن حددتها لم تردها ؟ قال : بحق جدك إلا فعلت ، قال أما الحد الأول فعدن ، فتغير وجه الرشيد وقال : إيهاً ، قال : والحد الثاني سمرقند . فاربذ وجهه ! والحد الثالث : إفريقية ، فاسود وجهه وقال : هيه ! قال : والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية ! قال الرشيد : فلم

ييق لنا شئ ، فتحول إلى مجلسي ! قال موسى : قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردها ! فعند ذلك عزم على قتله !

وفي رواية ابن أسباط أنه قال : أما الحد الأول فعريش مصر ، والثاني دومة الجندل ، والثالث أحد ، والرابع سيف البحر . فقال : هذا كله هذه الدنيا ! فقال : هذا كان في أيدي اليهود بعد موت أبي هالة فأفأه الله على رسوله بلا خيل ولا ركاب ، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام . «

ويظهر أن المهدي العباسي أرجع فدكاً للإمام عليه السلام ، لكن بالحدود التي رآها !

**ففي الطرائف / ٢٥٢ :** « ذكر أبو هلال العسكري في كتاب أخبار الأوائل أن أول من رد فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز ، وكان معاوية أقطعها لمروان بن الحكم وعمرو بن عثمان ويزيد بن معاوية ، وجعلها بينهم أثلاثاً ، ثم قبضت من ورثة فاطمة عليها السلام فردها عليهم السفاح ، ثم قبضت فردها عليهم المهدي ، ثم قبضت فردها عليهم المأمون كما تقدم شرحه .

ومن غير كتاب أبي هلال العسكري بل في تواريخ متفرقة أنها قبضت منهم بعد المأمون فردها عليهم الوثاق ، ثم قبضت فردها عليهم المستعين ، ثم قبضت فردها عليهم المعتمد ، ثم قبضت فردها المعتضد ، ثم قبضت فردها عليهم الراضي « !

**وفي تاريخ الذهبي : ٣١ / ٩ :** « وحدث أيوب بن عمر قال : لقي جعفر بن محمد أبا جعفر المنصور فقال : يا أمير المؤمنين رد علي قطيعتي عين أبي زياد أكل منها ، قال : إياي تكلم هذا الكلام ، والله لأزهقن نفسك ! قال : فلا تعجل علي فقد

بلغت ثلاثاً وستين سنة وفيها مات أبي وجدي وعلي بن أبي طالب ، فرق له ، فلما مات المنصور رد المهدي على أولاد أبي جعفر عين أبي زياد .

## ١٢ . المهدي العباسي يختبر علم الإمام الكاظم عليه السلام

في الكافي : ٤٠٦ / ٦ : « عن علي بن يقطين قال : سألت المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عز وجل ، فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها ؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام : بل هي محرمة في كتاب الله عز وجل يا أمير المؤمنين ، فقال له : في أي موضع هي محرمة في كتاب الله جل اسمه يا أبا الحسن ؟ فقال : قول الله عز وجل : **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْأثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ** . فأما قوله : ما ظهر منها ، يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية . وأما قوله عز وجل : وما بطن ، يعني ما نكح من الآباء لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله إذا كان للرجل زوجة ومات عنها ، تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه . فحرم الله عز وجل ذلك . وأما الإثم فإنها الخمرة بعينها ، وقد قال الله عز وجل في موضع آخر : **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** . فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمرة والميسر ، وإثمهما أكبر كما قال الله تعالى .

قال فقال المهدي : يا علي بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية . قال قلت له : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال : فوالله ما صبر المهدي أن قال لي : صدقت يا رافضي .

وفي الإحتجاج : ٢ / ٣٤٦ : « فقال لأبي الحسن موسى عليه السلام : إني أريد أن أسألك عن شيء ، قال : هات . فقال : ما تقول في التظليل للمحرم ؟ قال : لا يصلح ، قال : فيضرب الخباء في الأرض فيدخل فيه ؟ قال : نعم . قال : فما فرق بين هذا وذلك ؟ قال أبو الحسن موسى عليه السلام : ما تقول في الطامث تقضي الصلاة ؟ قال : لا ، قال : تقضي الصوم ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : إن هذا كذا جاء . قال أبو الحسن عليه السلام : وكذلك هذا ! قال المهدي لأبي يوسف : ما أراك صنعت شيئاً ! قال : يا أمير المؤمنين رماني بحجة » . ومناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٢٩ .

### ١٣ . الإمام عليه السلام يأمر تلاميذه بإيقاف المناظرة في زمن المهدي

في رجال الطوسي : ٢ / ٥٤٢ : « عن يونس قال : قلت لهشام إنهم يزعمون أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليك عبد الرحمن بن الحجاج يأمرك أن تسكت ولا تتكلم ، فأبيت أن تقبل رسالته ! فأخبرني كيف كان سبب هذا ، وهل أرسل إليك ينهاك عن الكلام أو لا ، وهل تكلمت بعد نهيه إياك ؟

فقال هشام : إنه لما كان أيام المهدي شدد على أصحاب الأهواء ، وكتب له ابن المفضل صنوف الفرق صنفاً صنفاً ، ثم قرأ الكتاب على الناس فقال يونس : قد سمعت هذا الكتاب يقرأ على الناس على باب الذهب بالمدينة ، ومرة أخرى بمدينة الواح ، فقال إن ابن المقعد صنف لهم صنوف الفرق فرقة فرقة ، حتى قال في كتابه : وفرقة منهم يقال لهم الزرارية ، وفرقة منهم يقال لهم العمّارية أصحاب عمار الساباطي ، وفرقة يقال لها اليعفورية ، ومنهم فرقة أصحاب

سليمان الأقطع ، وفرقة يقال لها الجواليقية . قال يونس : ولم يذكر يومئذ هشام بن الحكم ولا أصحابه ، فزعم هشام ليونس أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليه فقال له : كفى هذه الأيام عن الكلام فإن الأمر شديد قال هشام : فكففت عن الكلام حتى مات المهدي وسكن الأمر ، فهذا الذي كان من أمره ، وانتهائي إلى قوله » .

وفي / ٥٤٧ ، عن هشام : « أتاني عبد الرحمن بن الحجاج ، وقال لي يقول لك أبو الحسن : أمسك عن الكلام هذه الأيام ، وكان المهدي قد صنف له مقالات الناس وفيه مقالة الجواليقية هشام بن سالم ، وقرأ ذلك الكتاب في الشرقية ، ولم يذكر كلام هشام ، وزعم يونس أن هشام بن الحكم قال له : فأمسكت عن الكلام أصلاً حتى مات المهدي ، وإنما قال لي هذه الأيام » .

#### ١٤ . قرر المهدي أن يقتل الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً

في مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤١٨ : « لما بويع محمد المهدي دعا حميد بن قحطبة نصف الليل وقال : إن إخلاص أبيك وأخيك فينا أظهر من الشمس ، وحالك عندي موقوف ، فقال : أفديك بالمال والنفس ، فقال : هذا لسائر الناس ، قال : أفديك بالروح والمال والأهل والولد ، فلم يجبه المهدي فقال : أفديك بالمال والنفس والأهل والولد والدين ! فقال : لله درك ، فعاهده على ذلك ، وأمره بقتل الكاظم عليه السلام في السحر بغتة ، فنام فرأى في منامه علياً عليه السلام يشير إليه ويقول : **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ؟** فانتبه مدعوراً ، ونهى حميداً عما أمره ، وأكرم الكاظم عليه السلام ووصله » .

وقد روت عامة مصادر السنة عزم المهدي على قتل الإمام عليه السلام ومنام المهدي العباسي المتقدم ، كتاريخ بغداد : ١٣ / ٣٢ ، وتهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٩ ، وسير الزهبي : ٦ / ٢٧٢ ، وتاريخه : ١٢ / ٤١٨ ، وصفة الصفوة : ٢ / ١٨٤ ، والمستطرف : ٢ / ١٥٧ ، والفصول المهمة : ٢ / ٩٣٧ .

## الإمام الكاظم عليه السلام وموسى الهادي العباسي

### ١ . الخليفة موسى الهادي قصير العمر كثير الشر

أوصى المهدي بالخلافة الى ابنه من زوجته المفضلة خيزران ، فجعل ولي عهده موسى الهادي ، وبعده أخاه هارون الرشيد .

وحكم المهدي عشر سنوات ، وكان في الصيد يطارد مع كلابه غزالاً ، فاقتحم به فرسه خربة فاصطدم رأسه بعتبة باهأ فمات على الفور سنة ١٦٩ ، فحكم بعده ابنه موسى الهادي سنة وربعاً ، ومات وعمره ٢٦ سنة .

كان موسى الهادي : « طويلاً جسيماً جميلاً ، أبيض مشرباً حمرة ، وكان بشافته العليا تقلص » . « وكان يشرب المسكر ، وفيه ظلم وشهامة ولعب ، وربما ركب حماراً فارهاً » . ( سير الزهبي : ٧ / ٤٤١ ) . « كان يثب على الدابة وعليه درعان ، وكان المهدي يسميه ريجانتي » . ( الطبري : ٦ / ٤٢٨ ، ٤٣٣ ) .

« قال ابن دأب : فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه ، وإن عينيه لخمراوان من السهر وشرب الليل ، فقال لي : حدثني بحديث في الشراب ! فقلت : نعم يا أمير المؤمنين خرجت رجلة من كنانة ينتجعون الخمر من الشام ، فمات أخ لأحدهم فجلسوا عند قبره يشربون .. الخ » . ( الطبري : ٦ / ٤٣٦ ) .

وقال الطبري : ٤٢١ / ٦ : « كانت الخيزران في أول خلافة موسى تفتتات عليه في أموره ، وتسلك به مسلك أبيه من قبله ، في الإستبداد بالأمر والنهي ... فكان يجيها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، واثال الناس عليها وطمعوا فيها ، فكانت المواكب تغدو إلى باهما . قال فكلمته يوماً في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سيلاً ، فاعتل بعلة فقالت : لا بد من إجابتي . قال : لا أفعل ! قالت : فيإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك ، قال فغضب موسى وقال : ويلي على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها ، والله لا قضيتها لك !

قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً !

أقول : عبد الله بن مالك ، الذي اتهم به موسى الهادي أمه الخيزران ، كان رئيس شرطة أبيه المهدي . ثم رئيس شرطته . ( الطبري : ٤٤٣ / ٦ ) .

## ٢ . كان موسى الهادي مشهوراً بالفسق !

في معاهد التنصيص / ١٩٨ ، والوافي : ٨٦ / ١٠ : « وكان السبب في قتل المهدي بشاراً أنه كان نهاه عن التشبيب فمدحه بقصيدة ، فلم يحظ منه بشيء ، فهجاه فقال :

خليفةً يزني بعَمَاتِهِ      يَلْعَبُ بِاللَّدْبُوقِ وَالصَّوْلَجَانِ  
أَبَدَلْنَا اللَّهَ بِهِ غَيْرَهُ      وَدَسَّ مُوسَى فِي حِرِّ الْخِيَزْرَانِ

وأنشدها في حلقة يونس النحوي ، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير ، وكان بشار قد هجاه بقوله من البسيط :

بني أمية هَبَّوْا طَالَ نَوْمُكُمْ      إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بَنُ دَاوُدَ  
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا      خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزَّقِّ وَالْعُودِ



فدخل يعقوب على المهدي فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجأك ! قال : بأي شيء ؟ قال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهمه فكري ! فقال : بجيأتي أنشدني إياه ، فقال : والله لو خبرتني بين إنشادي إياه وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ! فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فسحة له فيها ، فقال : أما لفظاً فلا ، ولكنني أكتب ذلك فكتبه ودفعه ! فكاد ينشق غيظاً ! وعمل على الإنحدار إلى البصرة لينظر في أمرها وما في فكره غير بشار ، فانحدر فلما بلغ إلى البطيحة .. فإذا بشار ... فأمر بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة سبعين سوطاً أتلفه فيها ... فألقي في سفينة حتى مات ، ثم رمى به في البطيحة فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة » . والطبري : ٦ / ٤٠١ ، وطبعة : ٤ / ٤٨٥ ، و٥٩٠ ، والكامل : ٦ / ٨٦ ، والأغانى : ٣ / ٢٤١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٢٧٣ ، وبدائع البداية : ١٥ .

### ٣ . ثورة الحسين بن علي صاحب فخ على موسى الهادي

كان عهد المهدي العباسي على سوءه ، فسحة للإمام الكاظم عليه السلام وشيعته ، أما عهد ابنه موسى الهادي فكان على قصره ، شراً على الأمة وخاصة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لأنه نفذ سياسة جده المنصور في إبادة أبناء علي وفاطمة عليهما السلام !

وقد قرر العلويون مواجهة هذه السياسة ، فكانت ثورة الحسين بن علي في منطقة فخ ، وهو مكان في مكة يعرف بوادي الزاهرية . ( معجم البلدان : ٤ / ٢٣٧ ) .

وفي مقاتل الطالبين / ٢٩٤ : « كان سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أن موسى الهادي ولى المدينة إسحاق بن عيسى بن

علي ، فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله ، فحمل على الطالبين وأساء إليهم ، وأفرط في التحامل عليهم ، وطالبهم بالعرض كل يوم وكانوا يعرضون في المقصورة ، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه ، فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن ، الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن .

ووفى أوائل الحاج وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً ، فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها ، ولقوا حسيناً وغيره ، فبلغ ذلك العمري فأنكره .. فأشاع أنه وجدهم على شراب .. أغلظ العمري أمر العرض وولى على الطالبين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى الحائك مولى الأنصار ، فعرضهم يوم الجمعة ، فلم يأذن لهم بالإنصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد ، ثم أذن لهم فكان قصارى أحدهم أن يغدو ويتوضأ للصلاة ويروح إلى المسجد ، فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ، ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر ، فقال ليحيى والحسين بن علي : ليأتيني به أو لأحبسكما فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيب .. فغضب يحيى بن عبد الله فقال له : فما تريد منا ؟ فقال : أريد أن تأتيني بالحسن بن محمد ! فقال : لا تقدر عليه ، هو في بعض ما يكون فيه الناس ، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعنا ثم أعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عنك فقد أنصفتنا ، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أنه لا يخلي عنه أو يحييه به في باقي يومه وليلته ، وأنه إن لم يجيء به ليركبن إلى سوقة فيخرها ويحرقها ،

وليضربن الحسين ألف سوط ، وحلف بهذه اليمين إن وقعت عينه على الحسن بن محمد ليقتلنه من ساعته !

فوثب يحيى مغضباً فقال له : أنا أعطي الله عهداً ، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نوماً حتى آتيك ... فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي ، وعشرة من الحاج ، ونفر من الموالي ، فلما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا : أحدٌ أحد ، وصعد عبد الله بن الحسن الأبطس المنارة التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله عند موضع الجنائز فقال للمؤذن : أذن بحمي على خير العمل ، فلما نظر إلى السيف في يده أذن بها وسمعه العمري فأحس بالشر ودهش وصاح : إغلقوا البغلة وأطعموني حبتي ماء !

قال علي بن إبراهيم في حديثه : فولده إلى الآن بالمدينة يعرفون ببني حبتي ماء !

قال اليعقوبي في تاريخه : ٤٠٤ / ٢ : « وبويع لموسى الهادي بن محمد المهدي ... وكانت هادئة والأمور ساكنة ، والملوك في الطاعة ، فظهر منه أمور قبيحة ، وضعف شديد ، فاضطربت البلاد ... وتحرك جماعة من الطالبين وصاروا إلى ملوك النواحي ، فقبلوهم ووعدوهم بالنصر والمعونة ، وذلك أن موسى ألح في طلب الطالبين ، وأخافهم خوفاً شديداً ، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطية ، وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم !

فلما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم ، عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي ، وكان له مذهب جميل وكمال ومجد وقالوا له : أنت رجل أهل بيتك ، وقد ترى ما أنت وأهلك وشيعتك فيه من

الخوف والمكروه ، فقال : وإني وأهل بيتي لا نجد ناصرين فننتصر ، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم ، فقال لهم : إن الشعار بيننا أن ينادي رجل : من رأى الجمل الأحمر ، فما وافاه إلا أقل من خمس مائة ، وكان ذلك في سنة ١٦٩ بعد انقضاء الموسم . فلقبه سليمان بن أبي جعفر ، والعباس بن محمد بن علي ، وموسى بن عيسى ( قادة عسكريون ) بفخ فانهزم ومن كان معه وافترقوا ، وقتل الحسين بن علي وجماعة من أهله ، وهرب خاله إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فصار إلى المغرب ، فغلب على ناحية تتاخم الأندلس يقال لها فاس ، فاجتمعت عليه كلمة أهلها ، فذكر أهل المغرب أن موسى وجه إليه من اغتاله بسم في مسواك فمات ، وصار إدريس بن إدريس مكانه ، وولده بها إلى هذه الغاية يتوارثون تلك المملكة ... فلم تزل البلاد مضطربة أيام موسى ( الهادي ) كلها » .

وفي مقاتل الطالبين / ٣٠٢ : « لما قتل أصحاب فخ ، جلس موسى بن عيسى ( العباسي ) بالمدينة ، وأمر الناس بالوقعة ( السب ) على آل أبي طالب ، فجعل الناس يوقعون عليهم حتى لم يبق أحد ، فقال بقي أحد قيل له : موسى بن عبد الله ( الحسيني ) وأقبل موسى بن عبد الله على أثر ذلك وعليه مدرعة وإزار غليظ وفي رجله نعلان من جلود الإبل ، وهو أشعث أغبر حتى قعد مع الناس ولم يسلم عليه ، وإلى جنبه السري بن عبد الله من ولد الحرث بن العباس بن عبد المطلب ، فقالوا لموسى بن عيسى : دعني أكسف عليه باله وأعرفه نفسه ! قال أخافه عليك ! قال : دعني فأذن له فقال له : يا موسى ! قال : أسمعته فقل ! قال : كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تدعونه لبني عمكم المنعمين عليكم . فقال موسى : أقول في ذلك :

بني عمنا ردوا فضول دمائنا      ينم ليكم أولا يلمنا اللوائم  
فإننا وإياكم وما كان بيننا      كذي الدين يقضي دينه وهو راغم

فقال السري : والله ما يزيدكم البغي إلا ذلة ، ولو كنتم مثل بني عمكم ( الحسينيين )  
سلمتم ! يعني موسى بن جعفر وكنتم مثله ، فقد عرف حق بني عمه وفضلهم  
عليه ، فهو لا يطلب ما ليس له ! فقال له موسى بن عبد الله :

فإن الأولى تشي عليهم تعييني      أولاك بنو عمي وعمهم أبي  
فإنك إن تمدحهم بمديحة      تُصدق ، وإن تمدح أباك تكذب

قالوا : ولما بلغ العمري ( الوالي ) وهو بالمدينة قتل الحسين بن علي صاحب فخ ،  
عمد إلى داره ودور أهله فحرقها ، وقبض أموالهم ونخلهم ، فجعلها في الصوافي  
المقبوضة « . أي في أموال الدولة .

\* \*

#### ٤ . موسى الهادي يقرر قتل الإمام الكاظم عليه السلام

في مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٢٣ ، عن علي بن يقطين ، وعبد الله بن أحمد الوضاح قال : « لما حمل رأس صاحب فخ إلى موسى بن المهدي ، أنشأ يقول :

بني عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما      دفنتم بصحراء الغميم القوافيا  
فلسنا كمن كنتم تصييون سلمه      فيقبل قبيلاً أو يحكم قاضيا  
ولكن حد السيف فيكم مسلط      فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا  
فإن قلتم إننا ظلمنا فلم نكن      ظلمنا ولكننا أسأنا التقاضيا  
فقد ساءني ما جرت الحرب بيننا      بني عمنا لو كان امراً مدانيا

ثم أخذ في ذكر الطالبين وجعل ينال منهم ، إلى أن ذكر موسى بن جعفر وحلف بالله ليقته ، فتكلم فيه القاضي أبو يوسف حتى سكن غضبه .

وأهني الخبر إلى الإمام عليه السلام وعنده جماعة من أهل بيته فقال لهم : ما تشيرون ؟ قالوا : نشير عليك بالإبتعاد عن هذا الرجل وأن تغيب شخصك عنه ، فإنه لا يؤمن شره ، فتبسم أبو الحسن وتمثل :

زعمت سخيئة أن سقتل رهبا      وليغلبن مغلب الغلاب

ثم أنشد : زعم الفرزدق أن سيقتل مريعاً أبشر بطول سلامة يا مريع !

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : إلهي كم من عدو شحذ لي ظبة مديته ، وأرهف لي شبا حده ، ودفع لي قواتل سمومه ، ولم تنم عني عين حراسته ، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادح ، وعجزني عن مللمات الجوائح ، صرفت ذلك بحولك وقوتك . إلخ ...

ورواه في مهج الدعوات / ٢١٧ ، بتفصيل ، قال : « فمن ذلك الدعاء المعروف بدعاء الجوشن المروي عنه عليه السلام رويناه بعدة طرق .... حدثنا أبو الوضاح محمد بن عبد

الله بن زيد النهشلي قال : لما قتل الحسين بن علي صاحب فخ ، وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن ، وتفرق الناس عنه ، حمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى بن المهدي ، فلما بصر بهم أنشأ يقول متمثلاً :

بنبي عمنا لا تنطقوا الشعر بعد ما      دفنتم بصحراء الغميم القوافيا  
فلسنا كمن كنتم تصيرون نيله      فنقبل ضيما أو نحكم قاضيا  
ولكن حكم السيف فينا مسلط      فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا  
وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا      بنبي عمنا لو كان أمرا مدانيا  
فإن قلت إنا ظلمنا فلم نكن ظلمنا      ولكن قد أسأنا التقاضيا

ثم أمر برجل من الأسرى فوجّهه ثم قتله ، ثم صنع مثل ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وأخذ من الطالبين ، وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر صلوات الله عليه فقال منه ، ثم قال : والله ما خرج حسين إلا عن أمره ، ولا اتبع إلا محبته ، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت ، قلني الله إن أبقيت عليه ! فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريئاً عليه : يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت ؟ فقال : قلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر ، ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعمله وفضله ، وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله ، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً !

فقال أبو يوسف : نساؤه طوالق ، وعتق جميع ما يملك من الرقيق ، وتصدق بجميع ما يملك من المال وحبس دوابه ، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ، إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج ، ولا يذهب إليه ، ولا مذهب أحد من ولده ،

ولا ينبغي أن يكون هذا منهم ! ثم ذكر الزيدية وما ينتحلون فقال : وما كان بقي من الزيدية إلا هذه العصاة ، الذين كانوا قد خرجوا مع حسين ، وقد ظفر أمير المؤمنين بهم ! ولم يزل يرفق به حتى سكن غضبه .

وقال : وكتب علي بن يقطين إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بصورة الأمر فورد الكتاب ، فلما أصبح أحضر أهل بيته وشيعته فأطلعهم أبو الحسن عليه السلام على ما ورد من الخبر ، وقال لهم : ما تشيرون في هذا ؟ فقالوا : نشير عليك أصلحك الله وعلينا معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبار ، وتغيب شخصك دونه ، فإنه لا يؤمن شره وعاديته وغشمه ، سيما وقد توعدك وإيانا معك !

فتبسم موسى عليه السلام ثم تمثل بيت كعب بن مالك أخي بني سلمة وهو :

زعمت سـخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

ثم أقبل على من حضره من مواليه وأهل بيته فقال : ليفرج روعكم ، إنه لا يرد أول كتاب من العراق إلا يموت موسى بن مهدي وهلاكه !

فقالوا وما ذاك أصلحك الله ؟ فقال : قد وحرمة هذا القبر مات في يومه هذا ! والله إنه لحق مثلما أنكم تنطقون ! سأخبركم بذلك : بينما أنا جالس في مصلاي بعد فراغي من وردي ، وقد تنومت عيناي ، إذ سنع لي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه موسى بن المهدي ، وذكرت ما جرى منه في أهل بيته ، وأنا مشفق من غوائله ، فقال لي : لتطب نفسك يا موسى فما جعل الله لموسى عليك سبيلاً ! فبينما هو يحدثني إذ أخذ بيدي وقال لي : قد أهلك الله أنفأ عدوك ، فلتحسن لله شكرك ! قال ثم استقبل أبو الحسن القبلة ورفع يديه إلى السماء يدعو !



فقال أبو الوضاح : فحدثني أبي قال كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح ابنوس لطاف وأميال ، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة أو أفتى في نازلة ، أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك ، قال فسمعناه وهو يقول في دعائه : شكراً لله جلت عظمته . ثم أورد دعاء الجوشن الذي كان الإمام عليه السلام دعا به ، وهو طويل .

أقول : كانت قريش تعاب بأكل السخينة في أيام فقرها ، وهي طعام من الدقيق والسمن . والبيت لكعب بن مالك الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وآله .

وقد روي عن الأئمة عليهم السلام مدح صاحب فخر والثائرين معه ، وذهب أكثر علمائنا إلى شرعية ثورته التي كان هدفها إيقاف خطة إبادة العلويين !

ففي مقاتل الطالبين / ٣٠٤ : أن صاحب فخر عليه السلام قال : « ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا ، وشاورنا موسى بن جعفر ، فأمرنا بالخروج »

وفي الكافي : ١ / ٣٦٦ : « لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخر ، واحتوى على المدينة ، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة فأتاه فقال له : يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمك أبا عبد الله ، فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد ! فقال له الحسين : إنما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه ، وإن كرهته لم أحملك عليه ، والله المستعان . ثم ودعه فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودعه : يا ابن عم إنك مقتول فأجد الضراب ، فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويسترون شركاً ، وإننا لله وإننا إليه راجعون ، أحتسبكم عند الله من عصابة ، ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان قتلوا كلهم كما قال عليه السلام » .

وفي مقاتل الطالبين / ٣٠٢ : « جاء الجند بالرؤس إلى موسى والعباس ، وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين ، فلم يتكلم أحد منهم بشيء إلا موسى بن جعفر فقال له : هذا رأس الحسين ! قال : نعم ، إننا لله وإننا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً ، صالحاً ، صواماً ، قواماً ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله ! فلم يجيبوه بشيء » .

وفي عمدة الطالب : ١٨٣ ، والسلسلة العلوية لأبي نصر البخاري ، عن الإمام الجواد عليه السلام قال : « لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ » .

\* \*

## خلافة هارون قاتل الإمام الكاظم عليه السلام

### ١ . عزله أخوه فقتلته أمه ونصبت هاروناً خليفة

قال اليعقوبي في تاريخه : ٢ / ٤٠٥ : « وشجرت بين موسى وبين أخيه الوحشة ، فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر ولي العهد ، ودعا القواد إلى ذلك فتوقف عامتهم وأشاروا عليه أن لا يفعل ، وسارع بعضهم وقبوا عزيمته في ذلك ، وأعلموه أن الملك لا يصلح إن صار إلى هارون . وقد كان موسى وجه به ( محمد بن فروخ الأزدي ) في جيش كثير يستنفر من بالجزيرة والشام ومصر والمغرب ، يدعو الناس إلى خلع هارون ، فمن أبي جرد فيهم السيف ...

وأخذ موسى يحيى بن برمك فحبسه وأشرف عليه بالقتل عدة مرار ، فحدثني بعض المشايخ عن يحيى بن خالد قال : حبسني موسى بسبب الرشيد وتربيتي إياه ومكاني معه ، وكان الرشيد دُفع إلينا مولوداً في الخرق فغذته ثديي نساءنا ورُبي في حجوننا ، فقال : بلغني أنك تروض هارون للخلافة ، ونفسك للوزارة ، والله لآتين على نفسه ونفسك قبل ذلك ! وحبسني في بيت ضيق لا أقدر أن أمد رجلي فيه ، فأقمت أياماً ، فأنا ليلة في حبسي على تلك الحال إذ بالأبواب تفتح فقلت : تذكرني فأراد قتلي ! وسمعت كلام الخدم فارتعت لذلك ، ففُتح علي الباب وأنا

أتشهد فقيل لي : هذه السيدة يعنون الخيزران ، فخرجت فإذا بها واقفة على الباب ، فقالت : إن هذا الرجل قد خَفَتَ منذ الليلة وأحسبه قد قضى ، فتعال انظره ! فإزداد جزعي وطامتي . وقالت : كما أقول ! فجئت فوجدته محمول الوجه إلى الحائط ، وقد قضى ! فمضيت إلى هارون حتى أخرجته من الموضع الذي كان فيه محبوساً ، فأصبح القواد فبايعوا ، وأصبحت أدبر الملك » !

« وأمر الهادي ألا يُسَارَ قُدام الرشيد بحربة ، فاجتنبه الناس وتركوه ، فلم يكن أحد يجترئ أن يسلم عليه ولا يقربه ... واشتد غضبه منه وضيق عليه . قال يحيى لهارون : استأذنه في الخروج إلى الصيد فإذا خرجت فاستبعد ودافع الأيام فرفع هارون رقعة يستأذن فأذن له فمضى إلى قصر مقاتل فأقام به أربعين يوماً حتى أنكر الهادي أمره وغمه احتباسه ، وجعل يكتب إليه ويصرفه فتعلل عليه حتى تفاقم الأمر وأظهر شتمه وبسط مواليه وقواده ألسنتهم » . ( الطبري : ٦ / ٤٢٣ ، و ٤٢٥ ) .

« سمعت خالصة تقول للعباس بن الفضل بن الربيع : بعث موسى إلى أمه الخيزران بأرزة وقال : استبظتها فأكلت منها ، فكلني منها ! قالت خالصة فقلت لها : أمسكي حتى تنظري ، فإنني أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه ، فجاءوا بكلب فأكل منها فتساقط لحمه ! فأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيت الأرزة ؟ فقالت : وجدتها طيبة ! فقال : لم تأكلي ، ولو أكلت لكنت قد استرحت منك » !

« قال وحدثني بعض الهاشميين : أن سبب موت الهادي أنه لما جد في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزران على هارون منه ، دسّت إليه من جواربها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه ، ووجهت إلى يحيى بن

خالد : إن الرجل قد توفي ، فاجدد في أمرك ولا تقصر « ! ( الطبري : ٦ / ٤٢٢ ) . « وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد » . ( النهاية : ١٠ / ١٧١ ) .

« جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو نائم في لحاف بلا إزار ، لما توفي موسى ، فقال : قم يا أمير المؤمنين ! فقال له الرشيد : كم تروروني إعجاباً منك بخلافتي ، وأنت تعلم حالي عند هذا الرجل ، فإن بلغه هذا فما تكون حالي ؟! فقال له هذا الحراني وزير موسى وهذا خاتمته ! قال : فقعد في فراشه فقال أشر عليّ !

فقد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة وقال له : قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك ، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت ، وأمض الأمور على ما ترى ودفع إليه خاتمته » . ( الطبري : ٦ / ٤٤٣ ) .

وأول ما قام به هارون أنه أجبر ابن أخيه جعفر على بيعته ، وهو الذي كان أبوه أخذ له البيعة بولاية عهده ! « فلما توفي الهادي هجم خزيمه بن خازم في تلك الليلة فأخذ جعفرأ من فراشه ، وكان خزيمه في خمسة آلاف من مواليه معهم السلاح ، فقال : والله لأضربن عنقك أو تخلعها ! فلما كان من الغد ركب الناس إلى باب جعفر ، فأتى به خزيمه فأقامه على باب الدار في العلو ، والأبواب مغلقة فأقبل جعفر ينادي : يا معشر المسلمين من كانت لي في عنقه بيعة فقد أحللتها منها ، والخلافة لعمي هارون ، ولا حقَّ لي فيها » ! ( تاريخ الطبري : ٦ / ٤٤٣ ) .

ثم قتل هارون القائد الذي كان يمشي مع ابن أخيه ولي العهد : « وقدّم أبا عصمة فضرب عنقه وشدّ جمته في رأس قنّاة ودخل بها بغداد ، وذلك أنه كان مضى هو وجعفر بن موسى الهادي راكبين فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ ،

فالتفت أبو عصمة إلى هارون فقال له : مكانك حتى يجوز ولي العهد ! فقال هارون : السمع والطاعة للأمير ! فوقف حتى جاز جعفر ، فكان هذا سبب قتل أبي عصمة « ( الطبري : ٦ / ٤٤٣ ) .

وكانت هذه الأحداث في أوائل سنة ١٧٠ هجرية ، وعمر الرشيد ٢٢ سنة . ( الطبري : ٦ / ٤٤١ ) وَحَكَمَ نحو ٢٣ سنة ، ومات سنة ١٩٣ . ( الطبري : ٦ / ٥٢٨ ) .

## ٢ . الفردية المُفرطة عند هارون !

١ — يعتبر عهد هارون قمة الصعود والازدهار المادي للدولة الإسلامية حيث كانت أقوى دولة في عصرها ، في قوتها العسكرية والإقتصادية ، وفي مدنياتها ونهضة العمران والعلوم فيها . لكن ما أن أغمض الرشيد عينيه حتى بدأ عصر الضعف بالحرب بين ولديه ، ومع أن المأمون سيطر وقتل أخاه ، لكن الدولة أخذت بالإنقسام والضعف .

٢ — والسبب في هذا المسار النزولي أن تلك الدولة كانت تحمل بذور ضعفها في طبيعة نظامها ، وفي نمط الإدارة الذي يعمل به الخليفة وجهازه !

فقد قام نظام الخلافة على الفردية العنيفة ، واستغلال العامل الديني في اضطهاد المسلم وسلبه حقوقه ، بعيداً عن التقنين ، وعن قيم الإسلام واحترام الإنسان !

وهكذا كان مجتمع العالم كله يومذاك ، الروم والفرس والصين والهند وبقية الشعوب ، كانت أمور مجتمعاتهم ودولهم تقوم على قاعدة العصبية القبلية وقانون الغلبة ، ويخضعون لنظام حكم الفرد الغالب ، والأسرة الغالبة .

وقد حكم هارون كغيره من أسلافه بفردية مفرطة متقلبة !

فبدأ عهده برد جميل أمه ويحيى عليه ، فكان ينفذ رغباتها في إدارة الدولة ، وجعل البرمكي رئيس وزرائه وقال له : « قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب ، واستعمل من رأيت واعزل من رأيت ، وأمض الأمور على ما ترى . ودفع إليه خاتمه » . ( الطبري : ٦ / ٤٤٣ ) .

لكن فردية هارون كانت متغيرة ، والعناصر الثابتة في تفكيره وقراراته قليلة ، والعناصر الدخيلة في إقناعه كثيرة !

٣ - قال خليفة بن خياط في تاريخه / ٣٨٢ : « مات موسى وعلى شرطه عبد الله بن مالك فأقره هارون ، ثم عزله . وولى عبد الله بن حازم بن خزيمية ، ثم عزله . وولى إبراهيم بن عثمان بن نهيك ثم قتله وولى ابنه وهب بن إبراهيم وسماه وهب بن عثمان وطرح اسم إبراهيم ، فمات هارون وهو على شرطه .

كاتب الرسائل : إسماعيل بن صبيح من أهل حران ، وكتب له يحيى بن سليم .

الديوان والخراج والجند : أبو صالح ، فضم ذلك إلى إسماعيل بن صبيح .

الخاتم : جعفر بن محمد بن الأشعث ، ثم ولاة خراسان ، ودفع الخاتم إلى حمزة بن مالك ، ثم دفعه إلى أبي العباس الطوسي ، فمات أبو العباس فصار الخاتم إلى يحيى بن خالد بن برمك ، ثم صار إلى جعفر بن يحيى ، ثم رده إلى يحيى بن خالد ، ثم صار في يد أمير المؤمنين هارون .

الحرس : جعفر بن محمد بن الأشعث ، ثم عبد الله بن مالك ، ثم علي بن عيسى بن ماهان ، ثم صير الحرس إلى جعفر بن يحيى بن خالد فولى جعفر صالح بن شيخ بن عمير ، ثم ولي جعفر هرثمة بن أعين فأقره هارون .

حاجبه : بشر بن ميمون مولاه ثم محمد بن خالد بن برمك ثم الفضل بن الربيع .

وكان وزيره وصاحب أمره كله : يحيى بن خالد بن برمك . ثم ابنه جعفر بن يحيى ، ثم قتله فصار الفضل بن الربيع « .

وهناك شخصيات عديدة لها تأثير على هارون ، ابتداء من أخواته وأبنائه وبناته وجواريه ، الى وزراء وثق بهم مثل : يعقوب بن داود ، وعلي بن يقطين ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأبي يوسف القاضي ، وغيرهم .

٤ — يتوقف فهم تاريخنا الإسلامي على فهم الفردية المفرطة للخلفاء ! فلكي نفهم مثلاً سجن الإمام الكاظم عليه السلام وقتله ، يجب أن تعرف تصور هارون للأمر ، ثم هل أثر عليه أحد من وزرائه ومشاوريه وأقنعه بذلك !

ولتقريب الموضوع : فقد ثار العلويون على موسى الهادي في مكة ، فقمع ثورتهم وقتل قائدهم وحبس بعضهم ، وكان مسؤول حبسهم في عهد هارون رئيس وزرائه جعفر بن يحيى البرمكي ، فكتب أحد المسجونين رسالة شديدة للرشيد ، وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ، فغضب عليه الوزير وقتله : « قدمه جعفر بن يحيى فضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل ، وأهداه إلى الرشيد مع هدايا فقبلها وقدمت إليه ، فلما نظر إلى الرأس أفضعه فقال له : ويحك لم فعلت هذا ؟ قال : لإقدامه على ما كتب به إلى أمير



المؤمنين وبسط يده ولسانه بما بسطهما ! قال : ويحك فقتلك إياه بغير أمري أعظم من فعله ! ثم أمر بغسله ودفنه . فلما كان من أمره ما كان في أمر جعفر ( أمر بقتله ) قال لمسرور : إذا أردت قتله فقل له : هذا بعبد الله بن الحسن بن عمي ، الذي قتلته بغير أمري ! فقالها مسرور عند قتله إياه « ! ( مقاتل الطالبين / ٣٢٨ ، و ٣٦٥ ) .

فهارون يرى أنه صاحب الحق المطلق في الحكم لأنه ابن عم النبي صلى الله عليه وآله ، والعلويون أبناء عمه ، فلا يحق لأي مسؤول في الدولة حتى رئيس وزرائه أن يتصرف معهم إلا بأمره ! وإن خالف فمن حق الخليفة أن يقتص منه !

### ٣ . خليفة يتفنن في تقصيب المسلمين حتى آخر ساعة !

١ - كان هارون عدوانياً دمويّاً ، وكان يقتل أحياناً بيده ! « العباس بن الأرقط كان مقداماً لسنّاً ، مات في حبس هارون ، يكنى أبا الفضل ، قالوا : إن الرشيد قتله بيده » ( المجدي في الأنساب / ١٤٤ ) . وقيل بني عليه جدار وهو حي ! ( اللباب / ٤١٤ ) .

٢ - روى ابن كثير في النهاية ( ١٠ / ٢٠٧ ) أنه كانت لجعفر البرمكي جارية مغنية إسمها دنانير ، فطلبها منه هارون فلم يعطها ، فلما قتله أخذها وأحضرها في مجلس شرابه وطلب منها أن تغني فرفضت : « فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر وأقبلت الدماء ، وتطايرت الجوارير من حولها ، وحملت من بين يديه فماتت بعد ثلاث » !

٣ - جئ بكاتب البرمكي : « فأخرج الرشيد سيفاً من تحت فراشه وأمر أن تضرب عنقه فضرب عنقه فسبق السيف الدم ، وأمر بصلب جثته ! ( الطبري : ٦ / ٤٩٢ ) .

٤ - قبض على يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، فأمر أن يلقى في بركة فيها سباع قد جُوعت ، فأمسكت عن أكله ! « فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي » . ( شرح إحقاق الحق : ١٩ / ٦١٣ ، وينايع المودة : ٣ / ٢٣١ ) .

٥ - وكان خليفة المسلمين في الساعات الأخيرة من عمره مشغولاً بمرضه ، وبمكائد أولاده من حوله ، لكنه لم ينس أن يتفنن في تقتيل من خالفه من المسلمين وأن يحضر القصاب ليقصبهم أمامه ! فقد كان رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، حاكماً على سمرقند وبخارى فخلع طاعة هارون ، فوجه اليه جيشاً . ( الطبري : ٦ / ٥٥٣ ، واليعقوبي : ٢ / ٤٢٥ ) وقبض على أخيه وأقاربه ، وكان أخوه عابداً منصرفاً عن الدنيا ، فقتلهم الرشيد أسوأ قتلة . ومات الرشيد فتصالح أخوه رافع مع المأمون وأبقاه على ولايته ! ( تاريخ خليفة / ٣٨٢ ) .

قال ابن جامع كما في الطبري ( ٦ / ٥٢٥ ) : « كنت فيمن جاء إلى الرشيد بأخ رافع قال فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع ، وعليه فرش بقدر ذلك أو قال أكثر ، وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه ، قال : فسمعتة يقول إننا لله وإننا إليه راجعون ، ونظر إلى أخ رافع فقال : أما والله يا ابن اللخناء إني لأرجو أن لا يفوتني حامل ، يريد رافعاً ، كما لم تفتني !

فقال له : يا أمير المؤمنين قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي ، فافعل ما يجب الله أكن لك مسلماً ، ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت عليّ ، فغضب وقال : والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت : أقتلوه !

ثم دعا بقصاب فقال : لا تشحذ مُدَاك أتركها على حالها ( لا تَسِرَنَّ سكاكينك ) ،  
وفصل هذا الفاسق وعجل لا يحضرن أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه !

ففصله حتى جعله أشلاء ، فقال : عُدَّ أعضائه ! فعددت له أعضائه فإذا هي  
أربعة عشر عضواً ... ثم أغمي عليه وتفرق من حضره » !

وقال الذهبي في تاريخه : ١٣ / ١٤ : « وقدم بأخ رافع على الرشيد فسبه ، ودعا  
بقصاب وقال : فصّل أعضائه ففصله » !

وروى القاضي التنوخي في الفرج بعد الشدة ( ٢ / ٢٥٧ ) : « أحضر هارون أخ رافع  
وقرأته الذين كانوا معه وقال : أَيَتَوَهَّمُ رافع أنه يغلبني ! والله لو كان معه عدد  
نجوم السماء لألتقطهم واحداً بعد واحداً حتى أقتلهم عن آخرهم ! فقال الرجل :  
الله الله يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى يعلم وأهل خراسان أبي برئ من أخي منذ  
عشرين سنة ، ملازم مسجدي ، فاتق الله تعالى فيّ وفي هذا الرجل !

فقال له قطع الله لسانك ، فسكت ! فقال أخوه الثالث : أنت والله منذ كذا وكذا  
تدعو الله تعالى بالشهادة ، فرزقتها على يدي أشر خلقه !

وأخذت في الإعتذار فاغتاظ الرشيد وقال : عليّ بجزارين ، فقال له قرابتي : يا  
هارون إفعل ما شئت فإننا نرجو أن نكون نحن وأنت بين يدي الله تعالى في أقرب  
مدة ، فتعلم كيف يكون حالك ! فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضواً عضواً !  
فوالله ما فرغ منهما حتى توفي الرشيد » !

٦ - « وذكر بعضهم أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد في عنته في  
علاج عاجله به كان سبب منيته ، فكان الرشيد همّ ليلة مات بقتله وأن يفصّله كما

فَصَلِّ أَخَا رَافِعٍ ! وَدَعَا بِجَبْرِيلَ بْنِ بَجْتِيشُوعَ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : أَنْظِرْنِي إِلَى غَدٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّكَ سَتَصْبِحُ فِي عَافِيَةِ فَمَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ « ! ( الطبري : ٦ / ٥٢٧ ) .

#### ٤ . أولاده يتجسسون عليه ويستعجلون موته !

قال الناصبي المحب للأمويين والعباسيين ابن كثير في النهاية : ١٠ / ٢٢٤ : « شكَا الرشيْد في أثناء الطريق إلى بعض أمرائه جفَاء بنيه الثلاثة الذين جعلهم ولاة العهد من بعده ، وأراه داءً في جسده وقال : إن لكل واحد من الأمين والمأمون والقاسم عندي عيناً عليّ ، وهم يعدُّون أنفاسي ، ويتمنون انقضاء أيامي » !

وقال ابن الأثير في الكامل : ٦ / ٢٢٢ : « فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هارون قدومه فدعا به وسأله عن سبب قدومه فقال : بعثني الأمين لآتيه بخبرك ! قال : فهل معك كتاب ؟ قال : لا . فأمر بما معه ففتش فلم يصبوا شيئاً ، فأمر به فضرب فلم يقر بشيء ، فحبسه وقيده ، ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره ، فإن أقر وإلا ضرب عنقه ! فقرره فلم يقر بشيء ، ثم غشي على الرشيد فصاح النساء ، فأمسك الفضل عن قتله » !

وكان ابن المعتمر يحمل أوامر ورسائل من الأمين لاستلام الخزانة التي حملها معه هارون في سفره ، وقال عنها الطبري ( ٦ / ٥٢٥ ) : « وافى هارون جرجان في صفر فوافاه بالخزانة علي بن عيسى على ألف بعير وخمسة مائة بعير ، ثم رحل من جرجان فيما ذكر في صفر وهو عليل إلى طوس ، فلم يزل بها إلى أن توفي » !

وفي الفرج بعد الشدة ( ٢ / ٢٥٧ ) : « جلس الرشيد مجلساً عاماً في مضرب خز أسود استدارته أربع مائة ذراع ، وقبابه مغشاة بخز أسود ، وهو جالس في فائزة خز أسود في وسط المضرب ، والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة ، والأوتاد والحبال كلها سود ، وعليه جبة خز سوداء وعليه فنك ( نوع من الفرو ) قد استشعره ( لبسه ) لما هو فيه من شدة البرد والعلّة ، وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفنك ، وقلنسوة طويلة ، وعمامة خز سوداء ، وهو عليل لما به ، وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه ، والفضل بن الربيع جالس بين يديه .. فقال الرشيد بصوت : قَنَّبُوهُ ( إرطوه بحبال القنب ، وهو بكر بن المعتمر رسول الأمين ) فَنُحِّيَ بكر وجيء بالقنب وقُنَّب من قرنه إلى قدمه ! قال بكر : فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت على الإقرار » ! ولكن مات هارون وصرخت النساء !

### ٥ . خليفة المسلمين يغني ويرقص ويشرب ويسكر !

١ - قال ابن كثير وهو المتعصب للأمويين والعباسيين ، في النهاية : ١٠ / ٢٣٨ : « كان في دار الرشيد من الجوّاري والحظايا وخدمهن ، وخدم زوجته وأخواته ، أربعة آلاف جارية ، وإنهن حضرن يوماً بين يديه ، فغنته المطربات منهن فطرب جداً ، وأمر بمال فنشر عليهن . وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم ، رواه ابن عسّاكر أيضاً .. الخ . » !

٢ - كان هارون مدمناً على الخمر والغناء مع وزيره جعفر وأخته عباسة ، فقد روى الطبري : ٦ / ٤٨٩ ، والذهبي في سيره : ٩ / ٦٦ ، أنه « كان لا يصبر عن جعفر وعن

أخته عباسة بنت المهدي وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب ، وذلك بعد أن أعلم جعفرًا قلة صبره عنه وعنهما ، وقال لجعفر أن زوجها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسي ، وتقدم إليه ألا يمسه ولا يكون منه شيء مما يكون للرجل إلى زوجته ! فزوجها منه على ذلك فكان يحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما ، فيثملان من الشراب وهما شابان فيقوم إليها جعفر فيجامعها ، فحملت منه وولدت غلاماً ، فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك ، فوجهت بالمولود مع حواضن له من مماليكها إلى مكة » !

٣ - روى الذهبي في سيره : ١٠ / ١٨٧ ، وتاريخه : ١٢ / ١٠٢ ، أنه أخذ وزيره جعفر البرمكي إلى إحدى حجر قصره ، وكان فيها غُلية المغنية أخت الرشيد ، فغنتها فطربا ورقصا معاً ، قال : « فطربت والله ثم غنت فرقصنا معاً » . والأغاني : ٣ / ١٣١ ، ونهاية الأرب : ٢ / ٩٨٠ ، وتذكرة ابن حمدون : ٣ / ٨٣ .

٤ - وفي الأغاني : ١٠ / ١٩٠ : « زار الرشيد غُلية فقال لها : بالله يا أختي غنيبي ، فأطرب الرشيد وشرب عليه بقية يومه » . « قال مسرور الخادم : خرج الجلساء والمغنون من عند الرشيد فقال لي : قد تشوقت أختي غُلية فامض فجئني بها ، وقل لها بجياتي عليك إلا طيبت عيشي بحضورك ! فجاءت فأومأ إليها أن تجلس على السرير معه » . ( أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم للصولي / ٣٢ ) .

٥ - وفي العقد الفريد : ٦ / ٤٥ : « فطرب الرشيد طرباً شديداً وقال لجلسائه : هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن » .

٦ - وفي الوافي : ١٨ / ١٠٢ : « غنى دحمان الأشقر الرشيد صوتاً فأطربه واستعاده مراراً ثم قال له احتكم ، فقال : غالب والريان ! وهما ضيعتان بالمدينة غلتهما أربعون ألف دينار ، فأمر له بهما » !

٧ - وفي الأغاني : ١٠ / ١٨٠ : « كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلت إليه خلوب جارية لعلية ومعها كأسان فغنتهما قائمة فشربا .. خرجت لعلية وأم جعفر معها زهاء ألفي جارية ، وكلهن في لحن واحد هزج صنعتة عليه ، فطرب الرشيد وقام على رجليه وقال : يا مسرور لا تبقين في بيت المال درهماً إلا نثرته » !

٨ - وفي الأغاني : ٦ / ١٩٩ : « كان أول صوت غناه إبراهيم هذا الصوت .. فأصاب وأحسن كل الإحسان ، وشرب عليه الرشيد واستعاده حتى سكر ، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وعشرة خواتيم ، وعشر خلع » !

٩ - وكان إسماعيل المغني الأموي حلف أن لا يغني لأحد : « فقال له الرشيد كأني قد نشطت برؤيتك لشرب قدح ، فشرب وسقاه ، ثم أمر فأخرج حوار يغنين وضربت ستارة ، وأمر بسقيه فلما شرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه في حجر إسماعيل ، وجعل في عنق العود سبحة فيها عشر درات اشتراها بثلاثين ألف دينار ! وقال غنّ يا إسماعيل وكفّر عن يمينك بثمن هذه السبحة ، فاندفع يغني بشعر الوليد بن يزيد في عالية أخت عمر بن عبد العزيز » ! ( تاريخ دمشق : ٨ / ٤١١ ) .

١٠ - وفي الأغاني : ١٨ / ٣٥٠ ، أن مخارق غناه فطرب وشرب رطلاً ، ثم استعاده فطرب وشرب رطلاً ، ثم استعاده فطرب وشرب رطلاً وأعطاه ضيعة !

١١ — وروى الطبري (٥٢٥ / ٦) عن طبيب هارون قال : « كنت أول من يدخل عليه في كل غداة فأتعرف حاله في ليلته ، فإن كان أنكر شيئاً وصفه ، ثم ينيست فيحدثني بحديث جواريه ، وما عمل في مجلسه ومقدار شربه ، وساعات جلوسه ، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها » ! ( الطبري : ٥٢٥ / ٦ ) .

١٢ — وكان يحدث الناس بتفاهاته مع جواريه ! قال ابن عبد ربه في العقد الفريد : ٤٣ / ٣ : « أخبرنا أبو الطيب الكاتب أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية ، فجعلت الكوفية تغمز يديه والمدنية تغمز رجله فجعلت المدنية ترتفع إلى فخذه ، حتى ضربت بيدها إلى متاعه وحركته حتى أنعظ ، فقالت لها الكوفية : ويحك نحن شركاؤك في البضاعة ، وأراك قد انفردت دوننا برأس المال وجدك فأدليلني منه ! قال فقالت المدنية : حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه ، أنه قال : من أحيأ مواتاً فهو له ولعقبه ! قال : فاستغلتها الكوفية ودفعتها ثم أخذته بيديها جميعاً وقالت : حدثنا الأعمش عن خيشمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال : الصيد لمن صاده لا لمن أثاره » !

وجعلوه في الفقه حديثاً مسنداً واستدلوا به ! ( نصب الراية للزيلعي : ٢٦٥ / ٦ ) . ونسبه بعضهم الى الفضل بن الربيع وأنه حدث به الرشيد ! ( لسان الميزان : ٢٥٣ / ٢ ، وثمرات الأوراق / ٧ ، واللفظ واللطائف / ٢٧ ، والأغاني : ١٦ / ٣٧٣ ، والمرقصات للأندلسي / ٤٦ ) .

١٣ — وتحدث هارون عن قصصه مع جواريه : « هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر ، وعليها مطرف خبز ، وهي تسحب أذيالها من التيه والعجب ، وسقط رداؤها عن منكبيها والريح أبان



نهديها كأنهما رمانتان ، ولها ردفان ثقيلان ، فراودها عن نفسها فقالت : يا أمير المؤمنين ! هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك ، فأنظرنني إلى غد حتى أتهيأ وآتيك » . ( إعلام الناس للإتليدي / ١٠٢ ) .

ولم تكن بنات هارون وأخواته أفضل من تلك الجارية !

ففي الامامة والسياسة لابن قتيبة : ١٧٢ / ٢ : « استأذنته أخته فاختة بنت المهدي وشقيقته في إتخاف جعفر ومهاداته فأذن لها ، وكانت قد استعدت له بالجوارى الرائعات والقينات الفاتنات ، فتهدي له كل جمعة بكرةً يفتضها ! إلى ما تصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة ، وأنواع الكسوة والطيب ، كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه !

فاستمرت بذلك زماناً ومضت به أعواماً ، فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذي استعدت به ، ولم يُرِع جعفر إلا بفاختة ابنة المهدي في القصر كأنها جارية من الجوارى اللاتي كن يهدين له ، فأصاب منها لذته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك ! فلما كان المساء وهمم بالانصراف ، أعلمته بنفسها وعرفته بأمرها ، وأطلعتة على شديد هواها وإفراط محبتها له » !

١٤ - وكان يشرك قاضي قضاته في هزله ولهوه ! ففي اللطائف للثعالبي / ٢٢ ، أن هارون وزبيدة تحكما إلى أبي يوسف القاضي : « في الفالودج واللوزنج ، أيهما أطيب ! فقال أبو يوسف : أنا لا أحكم على غائب ! فأمر باتخاذهما وتقديمهما إليه فجعل يأكل من هذا مرة ومن ذلك أخرى حتى نظف الجانبين ! ثم قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أجدل منهما إن أردت أن أسجل لأحدهما ، أدلى الآخر بحجة » !

١٥ - واعترف ابن كثير ( النهاية : ١٠ / ٢٠٤ ) بأن هارون كان يشرب الخمر لكن زعم أن ذلك في أواخر خلافته ، قال : « كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظاياها ، وهذه وجاهة ومنزلة عالية ! وكان عنده من أحظى العشاء على الشراب المسكر ، فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر ، وكان أحب أهله إليه أخته العباسة بنت المهدي وكان يحضرها معه ، وجعفر البرمكي حاضر أيضاً معه ... الخ . » .

\* \*

## وزراء هارون فيهم أبرار !

### ١ . البرامكة زنادقة ونواصب !

البرمك : لقب السادن الأكبر لمعبد نوبهار ، وهو معبد للفرس يجمع بين الوثنية والمجوسية ، ويقع في بلخ من أفغانستان . قال الحموي في معجم البلدان : ٣٠٧ / ٥ : « نُؤبَهَار : بالضم ثم السكون ، وكانت الفرس تعظمه وتحج إليه ، وكانوا يسمون السادن الأكبر برمك .. وكانت سُتَّتَهُمْ إذا هم وافوه أن يسجدوا للصنم الأكبر ، ويقبلوا يد برمك .. كان برمك يُعمر النوبهار ويقوم به ، وهو اسم لبيت النار الذي كان بلخ يعظم قدره بذلك ، فصار ابنه خالد بن برمك بعده » .

وروى الطبري ( ٢١٥ / ٥ ) أن قتيبة بن مسلم فتح بلخ وسبي امرأة مرجعهم برمك بن جاماس بن يشتاسف ، وأعطاهما لأخيه الجندوم عبد الله فحملت منه ، ثم اتفق مع أهل بلخ على رد الأسرى : « فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم يا نازي إني قد علقت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها وردت إلى برمك ، فنذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاؤوا أيام المهدي حين قدم الري إلى خالد فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بد لكم إن استلحقتموه أن تزوجه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم » !

وهكذا بقي خالد بن برمك ، ولو قبلوا أن يزوجه لتم نسبه اليهم ، وصار خالد بن عبد الله بن مسلم الباهلي !

وعندما كبر خالد التحق بثورة أبي مسلم الخراساني ، وصار مع القائد قحطبة . حتى اختاره السفاح وزيراً بعد أبي سلمة الخلال ، وجعله قاضي الدولة العباسية ( البدء والتاريخ / ٤٧٩ ، والآداب السلطانية / ١٠٧ ) .

وكان يُتهم بدين الجوس ، ومات سنة ١٦٥ وعمره ٧٥ سنة . ( تاريخ دمشق : ١٦ / ٨٠٧ ) .

وبرز بعده ابنه يحيى بن خالد ، وكان مقرباً من المنصور فوضع ابنه الرشيد في حجره ، فكان الرشيد يدعوه أبي ويدعو يحيى أخي ، ويحب جعفر أكثر !

وعندما استخلف استوزر يحيى بدل علي بن يقطين ، الذي كان وزير أبيه المهدي وأخيه موسى الهادي ، طيلة خلافتهما . ( ذيل تاريخ بغداد : ٤ / ٢٠٢ ) .

## ٢ . عداوة البرامكة للإمام الكاظم عليه السلام

كان علي بن يقطين يكتم تشيعه ، وكان البرامكة يحسدونه ، ويتجسسون عليه ليهتوا للمهدي والهادي علاقته بالإمام الكاظم عليه السلام .

وكذلك كانوا يحسدون جعفر بن محمد بن الأشعث ، ويعملون لإقناع هارون بأنه شيعي ، وعندما وضع هارون ابنه الأمين في حجره زاد حسدهم له .

وهم الذين أقنعوا هارون بقتل الإمام الكاظم عليه السلام ( الإرشاد : ٢ / ٢٣٧ ) فكان الرضا عليه السلام يدعو عليهم لأنهم قتلوا أباه عليه السلام : « كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه ، فسئل عن ذلك فقال : إني كنت أدعو الله تعالى على

البرامكة بما فعلوا بأبي ، فاستجاب الله لي اليوم فيهم ! فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بُطش بجعفر ويحيى وتغيرت أحوالهم » ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٢٤٥ ) .

وروى الصدوق رحمته الله خطة يحيى بن خالد البرمكي لقتل الإمام الكاظم عليه السلام ، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن صالح بن علي بن عطيه قال :

« كان السبب في وقوع موسى بن جعفر عليه السلام إلى بغداد ، أن هارون أراد أن يعقد الأمر لابنه محمد بن زبيدة ، وكان له من البنين له أربعة عشر ابناً ، فاختار منهم ثلاثة محمد بن زبيدة وجعله ولي عهده ، وعبد الله المأمون وجعل الأمر له بعد ابن زبيدة ، والقاسم المؤمن وجعل له الأمر من بعد المأمون .

فأراد أن يُحكّم ذلك الأمر ويشهره شهرةً يقف عليها الخاص والعام ، فحج في سنه تسع وسبعين ومئة ، وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأمراء أن يحضروا مكة أيام الموسم ، فأخذ هو طريق المدينة .

قال علي بن محمد النوفلي : فحدثني أبي أنه كان سبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر عليه السلام أن وضع الرشيد ابنه محمد بن زبيدة في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث ، فساء ذلك يحيى وقال : إذا مات الرشيد وأفضى الأمر إلى محمد انقضت دولتي ودوله وُلدي ، وتحول الأمر إلى جعفر بن محمد بن الأشعث وولده ، وكان قد عرف مذهب جعفر في التشيع ، فأظهر له أنه على مذهبه فسُرَّ جعفر وأفضى إليه بجميع أموره ، وذكر له ما عليه في موسى بن جعفر عليه السلام .

فلما وقف على مذهبه سعى به إلى الرشيد وكان الرشيد يرعى له موضعه من نصرة الخلافة ، فكان يقدم في أمره ويؤخر ، ويحيى لا يألو أن يخطب عليه ( يتكلم

معه ليقنعه ) إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد فأظهر له إكراماً وجرى بينهما كلام في مزينة جعفر لحرمة وحرمة أبيه ، فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار فأمسك يحيى عن أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى ، ثم قال للرشيد : يا أمير المؤمنين قد كنت أخبرتك عن جعفر ومذهبه فتكذب عنه ، وهاهنا أمر فيه الفيصل ، قال : وما هو؟ قال : إنه لا يصل إليه مال من جهة الجهات ، إلا أخرج خمسه فوجه به إلى موسى بن جعفر ، ولست أشك أنه قد فعل ذلك في العشرين الألف دينار التي أمرت بهاله ، فقال هارون : إن في هذا لفيصلاً ، فأرسل إلى جعفر ليلاً وقد كان عرف سعاية يحيى به فتباينا وأظهر كل واحد منهما لصاحبه العداوة ، فلما طرق جعفر رسول الرشيد بالليل خشي أن يكون قد سمع فيه قول يحيى وأنه إنما دعاه ليقتله ! فأفاض عليه ماء ودعا بمسك وكافور فتحنط بهما ، ولبس برده فوق ثيابه وأقبل إلى الرشيد ، فلما وقعت عليه عينه وشم رائحة الكافور ورأى البردة عليه قال : يا جعفر ما هذا؟ فقال : يا أمير المؤمنين قد علمت أنه سعى بي عندك فلما جاءني رسولك في هذه الساعة ، لم آمن أن يكون قد قرح في قلبك ما يقول على فأرسلت إلى لتقتلني ! قال : كلا ولكن قد خُبرت أنك تبعث إلى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليك بخمسه ، وأنتك فعلت بذلك في العشرين الألف دينار ، فأحببت أن أعلم ذلك ! فقال جعفر : الله أكبر يا أمير المؤمنين تأمر بعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخواتيمها ! فقال الرشيد لخدام له : خذ خاتم جعفر وانطلق به تأتيني بهذا المال ، وسمى له جعفر جاريته التي عندها المال ، فدفعت إليه البدر بخواتيمها فأتى بها الرشيد ، فقال له جعفر : هذا أول ما تعرف به كذب من سعى



بي إليك ! قال صدقت يا جعفر ، انصرف آمناً ، فإني لا أقبل فيك قول أحد ! قال وجعل يحيى يحتال في إسقاط جعفر !

قال النوفلي : فحدثني علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي عن بعض مشايخه وذلك في حجة الرشيد قبل هذه الحجة قال : لقيني علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال لي : مالك قد أخملت نفسك ، مالك لا تدبر أمور الوزير ! فقد أرسل إليّ فعادته وطلبت الحوائج إليه ، وكان سبب ذلك أن يحيى خالد قال ليحيى بن أبي مریم : ألا تدلي علي رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسع له منها ! قال : بلى أدلك على رجل بهذه الصفة ، وهو علي بن إسماعيل بن جعفر ، فأرسل إليه يحيى فقال : أخبرني عن عمك وعن شيعته والمال الذي يحمل إليه ؟ فقال له : عندي الخبر وسعى بعمه ! فكان من سعائته أن قال : من كثرة المال عنده أنه اشترى ضيعة تسمى اليسيرة بثلاثين ألف دينار ، فلما أحضر المال قال البائع : لا أريد هذا النقد ، أريد نقد كذا وكذا ، فأمر بها فصبت في بيت ماله ، وأخرج منه ثلاثين ألف دينار من ذلك النقد ووزنه ، في ثمن الضيعة !

قال النوفلي قال أبي : وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأمر لعلي بن إسماعيل ويشق به ، حتى ربما خرج الكتاب منه بعض شيعته بخط علي بن إسماعيل ، ثم استوحش منه ، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى بن جعفر أن علياً بن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق فأرسل إليه مالك والخروج مع السلطان؟! قال : لأن عليّ ديناً ، فقال : دينك عليّ . قال : فتدبير عيالي؟! قال : أنا أكفيهم ، فأبى إلا الخروج ، فأرسل إليه مع أخيه محمد بن إسماعيل بن جعفر بثلاث مائة دينار

وأربعة آلاف درهم ، فقال له : إجعل هذا في جهازك ولا تؤتم ولدي ! » . ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٧٠ ، والمناقب : ٣ / ٤٢٣ ) .

وفي غيبة الطوسي / ٢٣ ، أن يحيى بن خالد أحضر علي بن إسماعيل : « فأحس موسى عليه السلام بذلك فدعاه فقال : إلى أين يا بن أخي ؟ قال إلى بغداد ، قال : ما تصنع ؟ قال : عليّ دينٌ وأنا مُملق . قال : فأنا أقضي دينك وأفعل بك وأصنع ، فلم يلتفت إلى ذلك ! فقال له : أنظر يا ابن أخي لا تؤتم أولادي ! وأمر له بثلاث مائة دينار وأربعة آلاف درهم ، فلما قام من بين يديه قال أبو الحسن موسى عليه السلام لمن حضره : والله ليسعين في دمي ويؤتمن أولادي !

فقالوا له : جعلنا الله فداك ، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله ! فقال لهم : نعم ، حدثني أبي عن آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الرحم إذا قطعت فوصلت قطعها الله ! فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى إلى يحيى بن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر ورفعه إلى الرشيد ، وزاد عليه ...

وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إني أعتذر إليك من شئ أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى بن جعفر ، فإنه يريد التشيت بأمك وسفك دمائها . ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده ، وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطتان ، هو في إحدهما ، ووجهه مع كل واحدة منهما خيلاً فأخذ بواحدة على طريق البصرة ، والأخرى على طريق الكوفة ليعمي على الناس أمره ، وكان في التي مضت إلى البصرة ، وأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن أبي جعفر المنصور وكان على البصرة حينئذ ، فمضى به



فحبسه عنده سنة ، ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني وسلمه إلى من شئت وإلا خليت سبيله ، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة فما أقدر على ذلك ! حتى أتي لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك ، فما أسمعته يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة . فوجه من تسلمه منه .. الى آخر الحديث » .

وفي غيبة الطوسي / ٢٣ : « فخرج علي بن إسماعيل حتى أتى إلى يحيى بن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر عليه السلام ورفعته إلى الرشيد وزاد عليه وقال له : إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وإن له بيوت أموال . . الخ . » !

وفي رجال الطوسي / ٥٤٠ ، أنه ودع الإمام الكاظم عليه السلام فقال له : « يا عم أحب أن توصيني فقال : أوصيك أن تتقي الله في دمي ! فقال : لعن الله من يسعى في دمك ! ثم قال : يا عم أوصني ، فقال : أوصيك أن تتقي الله في دمي ... !

قال : فخرج إلى العراق فلما ورد حضرة هارون أتى باب هارون بشباب طريقه قبل أن ينزل ، واستأذن على هارون وقال للحاجب ، قل لأمير المؤمنين إن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بالبواب ، فقال الحاجب : إنزل أولاً وغير ثياب طريقك وعُد لأدخلك إليه بغير إذن ، فقد نام أمير المؤمنين في هذا الوقت ، فقال : أعلم أمير المؤمنين أني حضرت ولم تأذن لي ! فدخل الحاجب وأعلم هارون قول محمد بن إسماعيل ، فأمر بدخوله فدخل وقال : يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجي له الخراج ، وأنت بالعراق يجي لك الخراج ! فقال : والله ، فقال : والله ، قال : فأمر له بمائة ألف درهم ، فلما قبضها وحمل إلى منزلة ، أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات ، وحول من الغد المال الذي

حمل إليه ! وروى موسى بن القاسم البجلي : عن علي بن جعفر قال : سمعت أخي موسى عليه السلام قال : قال أبي لعبد الله أخي : إليك ابني أخيك فقد ملأني بالسفه ، فإنهما شرك شيطان يعني : محمد بن إسماعيل بن جعفر وعلي بن إسماعيل ، وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه « !

أقول : ورد أن الذي سعى بالإمام الكاظم عليه السلام علي بن إسماعيل ، وفي بعضها أخوه محمد بن جعفر ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٧٢ ، والمناقب : ٣ / ٤٣٩ ) والظاهر أنهم ثلاثتهم شركاء في ذلك ، بتحريك يحيى البرمكي !

### ٣ . نكبة البرامكة في أوج مجدهم !

حكم يحيى البرمكي وأولاده سبع عشرة سنة ، من أول عهد هارون سنة ١٧٠ ، إلى نكبتهم في أول سنة ١٨٧ ، حيث انقلب عليهم هارون فجأة ، فقتل جعفر بن يحيى : « ونصب رأسه على الجسر الأوسط ، وقطع جثته ، وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل » ( الطبري : ٦ / ٤٩١ ) .

وحبس أباه يحيى وأخاه الفضل وماتا في حبسه : « وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفة ، ولم يزل بها كذلك إلى أن مات سنة تسعين ومائة ، ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين » ( ابن خلدون : ٣ / ٢٢٤ ) .

وقال بعضهم إن سبب نكبتهم أن جعفر البرمكي زنا بالعباسة أخت هارون رغم نهيها إياه ( سير الزهبي : ٩ / ٦٦ ، والطبري : ٦ / ٤٨٩ ) ولا يصح ذلك ، لأن هارون نفسه كان يشرب معهما ، وكان لا يصبر على منادمتها !

وقال بعضهم إن البرامكة تآمروا مع عبد الملك بن صالح العباسي لينصبوه خليفة بدل هارون ، وهو أحد أعمام هارون ، وكان شخصية متميزة على كل بني العباس في كفاءته وبلاغته ، وكان هارون يهابه ، وقد بعثه لحرب الروم مرات فلم يُقتل ، ثم ولاة الموصل ودمشق ومصر ، وعزله . ثم اتهمه بالتآمر عليه وحبسه وبقي في حبسه حتى أطلقه الأمين ( تاريخ : ٣٧ / ٢١ ) .

وتدل سياسة هارون وكلماته فيهم على أنه اعتقد أن البرامكة ارتكبوا جريمة خيانة الخليفة ولذلك بادر بتصفيتهم ! وتعمد أن يكتم السبب فقال : « لو علمت يميني بالسبب الذي له فعلت هذا لقطعنها » ! ( تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٢١ ) .

والمرجح عندي أن الفضل بن يحيى لما سجن عنده الإمام الكاظم عليه السلام رأى من كراماته وآياته فمال إليه أو تشيع ، وأخذ يفكر جدياً في انقلاب على العباسيين لمصلحة بعض العباسيين أو العلويين ، ويحث ذلك مع أبيه وأخيه في سرية تامة عن هارون !

وقد حكى الروايات ( الطبري : ٦ / ٤٩١ ) بطش هارون بالبرامكة بعد أربع سنوات من شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ، برواية مسرور خادم هارون ، قال :

« أرسلني الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لما أراد قتله ، فأتيته وعنده أبو زكار الأعمى المعني وهو يغنيه .. قال فقلت له : أحب أمير المؤمنين قال فرفع يديه ووقع على رجليّ يقبلهما وقال : حتى أدخل فأوصي ! قلت : أما الدخول فلا سبيل إليه ولكن أوص بما شئت ، فتقدم في وصيته بما أراد وأعتق مماليكه ، ثم أتتني رسل أمير المؤمنين تستحثني به ، قال : فمضيت به إليه فأعلمته فقال لي وهو في فراشه : إئتني برأسه فأتيت جعفرأ فأخبرته فقال : يا أبا هاشم الله الله ، والله ما أمرك

بما أمرك به إلا وهو سكران ، فدافع بأمرى حتى أصبح وأمره في ثانية ، فعدت لأوامره فلما سمع حسي قال : يا ماص بظر أمه إئتني برأس جعفر ! فعدت إلى جعفر فأخبرته فقال : عاوده في ثلاثة فأتيته فحذفني بعمود ثم قال : نفيت من المهدي إن أنت جئتني ولم تأتي برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أولاً ثم برأسه آخراً ! قال فخرجت فأتيته برأسه ! قال وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل ، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً ، وحول الفضل بن يحيى ليلاً فحبس في ناحية من منازل الرشيد ، وحبس يحيى بن خالد في منزله ، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ، ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم ، وولاه أمورهم ، وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم ! فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتاني وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المرورودي ، وأتبعهم عدة من خدمه وثقاته منهم مسرور الخادم ، إلى منزل جعفر بن يحيى وإبراهيم بن حميد . وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن . ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى . وجعل معه هرثمة بن أعين ، وأمر بقبض جميع مالهم !

وكتب إلى السندي الحرشي بتوجيهه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ، ونصب رأسه على الجسر الأوسط ، وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى

والجسر الأسفل ففعل السندي ذلك ، وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه ، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصغر إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم .

وأمر بالنداء في جميع البرامكة : ألا أمان لمن آواهم ، إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ، فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره » .

وفي الأخبار الطوال / ٣٩١ ، أن هارون أمر « عند ممرة ببغداد بخشبة جعفر بن يحيى أن تحرق » ! وبذلك أنهى صلب جثة جعفر البرمكي بعد سنة من صلبها !

ووصف في تاريخ بغداد : ٧ / ١٦٨ ، الحالة التي وصلت إليها والدة جعفر البرمكي ، التي أفلتت من سجن هارون بعد موته ، قال : « عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة قال : دخلت على أمي في يوم عيد أضحى وعندها امرأة برزة في أثواب دنسة رثة فقالت لي : أتعرف هذه ؟ قلت لا ، قالت : هذه عبادة أم جعفر بن يحيى بن خالد ، فسلمت عليها ورجبت بها وقلت لها : يا فلانة حدثيني ببعض أمركم . قالت أذكر لك جملة كافية فيها اعتبار لمن اعتبر وموعظة لمن فكر : لقد هجم عليّ مثل هذا العيد وعلى رأسي أربع مائة وصيفة ، وأنا أزعم أن جعفراً ابني عاقُّ بي ، وقد أتيتكم في هذا اليوم والذي يقنعني جلدا شاتين أجعل أحدهما شعراً والآخر دثاراً » !

#### ٤ . علي بن يقطين عليه السلام رئيس وزراء هارون

كان أبوه يقطين « يبيع الأبخار وهي التوابل » ( رجال الطوسي : ٢ / ٧٢٩ ) . وكان من دعاة العباسيين فطلبه الخليفة الأموي مروان ( الحمار ) فهرب مع عائلته الى المدينة المنورة ، وكانت له صلة بالإمام الصادق عليه السلام .

كان من ثقات المنصور فوضع ولده المهدي في حجره : « فنشأ المهدي وعلي بن يقطين كأخوين ، فلما أفضت الخلافة إلى المهدي استوزر علي بن يقطين وقدمه وجعله على ديوان الزمام وديوان البسر والخاتم ، فلم يزل في يده حتى توفي المهدي وأفضى الأمر إلى الهادي فأقره على وزارته ولم يشرك معه أحداً في أمره ، إلى أن توفي الهادي وصار الأمر إلى الرشيد ، فأقره شهراً ، ثم صرفه يحيى بن خالد البرمكي » . ( ذيل تاريخ بغداد : ٤ / ٢٠٢ ) .

ومع أن هارون عزله من الوزارة ، لكن بقيت له مكانة محترمة عنده ، فعندما غضب على البرامكة ونكبهم ، أعاده الى الوزارة !

قال المسعودي في التبيين والإشراف / ٢٩٩ : « ودفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بهم إلى علي بن يقطين ، وغلب عليه الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح إلى أن مات » .

ومعنى هذا أن هارون بكل دهائه ورقابته ، لم يجد أي مستمسك على علي بن يقطين ، فبقي على ثقته به الى أن توفي عليه السلام قبل شهادة الإمام الكاظم عليه السلام .

وفي معجم السيد الخوئي عليه السلام : ١٣ / ٢٤٢ : « علي بن يقطين بن موسى البغدادي كوفي الأصل ، مولى بني أسد ... قال الشيخ الطوسي : علي بن يقطين ثقة جليل القدر ، له منزلة عظيمة عند أبي الحسن موسى عليه السلام ، عظيم المكان في الطائفة .

كان يحمل الأموال إلى جعفر الصادق عليه السلام ، وتمَّ خبره إلى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما ، وتوفي ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وسنة يومئذ سبع وخمسون سنة ، وصلى عليه ولي العهد محمد بن الرشيد ، وتوفي أبوه بعده سنة خمس وثمانين ومائة . ولعلي بن يقطين رضي الله عنه كتب ، منها : كتاب ما سئل عنه الصادق عليه السلام من الملاحم ، وكتاب مناظرة الشاك بحضرته عليه السلام .

أقول : روى علي بن يقطين عن الإمام الكاظم عليه السلام كثيراً ، وذكروا أنه روى عن الإمام الصادق عليه السلام رواية واحدة ، ولا يصح ذلك كما بينه السيد الخوئي رحمته الله . بل روى عنه عدة روايات ، وله كتاب أحاديثه عليه السلام في الملاحم وكتاب مناظرته للمحد بحضوره عليه السلام ، فقد كان عمره نحو ٢٥ سنة عندما توفي الإمام الصادق عليه السلام ، وكان يراه في موسم الحج ، وفي استدعاء المنصور له الى الكوفة والحيرة وبغداد .

هذا ، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست / ٢٧٩ ، والنجار في ذيل تاريخ بغداد : ٢٠٢ / ٤ ، أن يقطيناً كان شيعياً وأنه كان يحمل المال الى الإمام الصادق عليه السلام ، وهو بعيد ، والمؤكد أن ابنه علياً كان شيعياً ، وكان أبوه يعرف ذلك ، ويستر عليه .

## ٥ . من أخبار علي بن يقطين مع الإمام الكاظم عليه السلام

١ - غير عثمان بن عفان وضوء النبي صلى الله عليه وآله وأدخل فيه غسل القدمين ، وتطويق الأذنين ، كما يفعل اليهود والصابئة . وفرض هذا الوضوء على المسلمين ، وعمته الدولة الأموية ، ثم تبناه العباسيون . وقد استوفى دراسته العالم الباحث السيد علي الشهرستاني في كتابه : وضوء النبي صلى الله عليه وآله .

وقد بقي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على وضوء النبي صلى الله عليه وآله فصاروا يعرفون به !

وكان علي بن يقطين رضي الله عنه في بلاط هارون محاطاً بحساده البرامكة وبعض أقاربه فكتب الى الإمام الكاظم عليه السلام يسأله كيف يتوضأ : « فكتب إليه : فهمت ما ذكرت من الإختلاف في الوضوء ، والذي أمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً ، وتخلل لحيتك ، وتمسح رأسك كله ، وبه تمسح ظاهر أذنيك وباطنهما ، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ، ولا تخالف ذلك إلى غيره .

فلما وصل الكتاب إلى علي تعجب مما رسم له فيه ، ثم قال : مولاي أعلم بما قال وأنا ممثل أمره ، فكان يعمل في وضوئه على هذه ، وسُعي بعلي إلى الرشيد بالرفض فقال : قد كثر القول عندي في رفضه ، فامتنع من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه ، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو ، فدعا بالماء وتوضأ على ما أمره الإمام فلم يملك الرشيد نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه ، ثم ناداه : كذاب يا علي من زعم أنك من الرافضة ! وصلحت حاله عنده ، وورد كتاب أبي الحسن عليه السلام ابتداء : من الآن يا علي بن يقطين توضأ كما أمرك الله ، وذكر وصفه ، فقد زال ما يخاف عليك .. إغسل وجهك مرة فريضة والأخرى إسباغاً ، واغسل يديك من المرفقين كذلك ، وامسح مقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك » ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٠٧ ، وإعلام الوری : ٢ / ٢٢ ) .

٢ - قال علي بن يقطين : « كنت عند هارون الرشيد يوماً إذ جاءت هدايا ملك الروم ، وكانت فيها درّاعة ( جبة ) ديباج سوداء لم أر أحسن منها ، فرآني أنظر إليها



فوهبها لي ، وبعثتها إلى أبي إبراهيم عليه السلام ، ومضت عليها تسعة أشهر ، فانصرفت يوماً من عند هارون بعد أن تغديت بين يديه ، فلما دخلت داري قام إليّ خادمي الذي يأخذ ثيابي بمنديل على يده وكتاب لطيف خاتمه رطب ، فقال : أتاني رجل بهذا الساعة فقال : أوصله إلى مولاك ساعة يدخل ! ففضضت الكتاب فإذا فيه : يا علي هذا وقت حاجتك إلى الدراعة ! فكشفت طرف المنديل عنها ورأيتها وعرفتها ، ودخل عليّ خادم لهارون بغير إذن فقال : أجب أمير المؤمنين ! قلت : أي شيء حدث ؟ قال : لا أدري ، فركبت ودخلت عليه وعنده عمر بن بزيع واقفاً بين يديه ، فقال : ما فعلت بالدراعة التي وهبتها لك ؟ قلت : خلعت أمير المؤمنين عليّ كثيرة ، من دراريع وغيرها ، فعن أيها تسألني ؟ قال : دراعة الديداج السوداء الرومية المذهبة ؟ قلت : ما عسى أن أصنع بها ، ألبسها في أوقات وأصلي فيها ركعات وقد كنت دعوت بها عند منصرفي من دار أمير المؤمنين الساعة لألبسها ! فنظر إلى عمر بن بزيع فقال : قل له ليبرسل حتى يحضرنيها . قال : فأرسلت خادمي حتى جاء بها ، فلما رآها قال : يا عمر ما ينبغي أن نقبل على عليّ بعدها شيئاً ! قال : فأمر لي بخمسين ألف درهم ، حملت مع الدراعة إلى داري ! قال علي بن يقطين : وكان الساعي بي ابن عم لي فسوّد الله وجهه وكذّب به والحمد لله « ( الخرائج : ٢ / ٦٥٦ ، والمناقب : ٣ / ٤٠٨ ، ودلائل الامامة / ٣٢٢ ، والإرشاد : ٢ / ٢٢٥ ، والخرائج : ١ / ٣٣٤ ، وإعلام السورى : ٢ / ١٩ ، والثاقب في المناقب / ٤٤٩ ) . وفي روايتهم : فسكن الرشيد من غضبه وقال : انصرف راشداً فلن أصدق بعدها ساعياً ، وأمر أن يتبع بجائزة سنوية وتقدم بضرب الساعي ألف سوط ، فضرب نحو خمس مائة سوط ، فمات » .

٣ - « استأذن إبراهيم الجمال رضي الله عنه على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير

فحجبه ، فحج علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر عليه السلام فحجبه ، فرآه ثاني يومه فقال علي بن يقطين : يا سيدي ما ذنبي؟ فقال : حجبتك لأنك حجبت أحاك إبراهيم الجمال ، وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال ! فقلت : سيدي ومولاي من لي بإبراهيم الجمال في هذا الوقت ، وأنا بالمدينة وهو بالكوفة؟ فقال : إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلماذك واركب نجياً هناك مسرجاً !

قال : فوافي البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة ، ففرع الباب وقال : أنا علي بن يقطين ، فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار : وما يعمل علي بن يقطين الوزير بيابي ! فقال علي بن يقطين : يا هذا إن أمري عظيم ! وآلى عليه أن يأذن له ، فلما دخل قال : يا إبراهيم إن المولى عليه السلام أبي أن يقبلني أو تغفر لي ! فقال : يغفر الله لك ، فألى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطاء خده فامتنع إبراهيم من ذلك ، فألى عليه ثانياً ففعل ، فلم يزل إبراهيم يطاء خده وعلي بن يقطين يقول : اللهم اشهد ! ثم انصرف وركب النجيب وأناخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة ، فأذن له ودخل عليه فقبله « ! ( عيون المعجزات / ٩٠ ، والثاقب في المناقب / ٤٥٨ ، والبحار : ٤٨ / ٨٥ ) .

أقول : أراد الإمام عليه السلام بذلك تربية علي بن يقطين على أن لا يرد مؤمناً جاءه في حاجة ، أما إرساله الى الكوفة بالمعجزة ، فقد رأى علي بن يقطين شبيهه مراراً !

٤ - قال الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن يقطين : « إضمن لي خصلة ، أضمن لك ثلاثاً ! فقال علي : جعلت فداك ، وما الخصلة التي أضمنها لك وما الثلاث

اللواتي تضمنهن لي ؟ قال فقال أبو الحسن عليه السلام : الثلاث اللواتي أضمنهن لك : أن لا يصيبك حر الحديد أبداً بقتل ، ولا فاقة ، ولا سجن . قال فقال علي : وما الخصلة التي أضمنها لك ؟ قال فقال : تضمن أن لا يأتيك ولي أبداً إلا أكرمته ! قال فضمن علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث « . (رجال الطوسي : ٢ / ٧٣١) .

٥ - « روى بكر بن محمد الأشعري أن أبا الحسن الأول عليه السلام قال : إني استوهبت علي بن يقطين من ربي عز وجل البارحة فوهبه لي ، إن علي بن يقطين بذل ماله ومودته فكان لذلك منا مستوجباً .

ويقال إن علي بن يقطين ربما حمل مائة ألف إلى ثلاث مائة ألف درهم ، وإن أبا الحسن عليه السلام زوج ثلاثة بنين أو أربعة ، منهم أبو الحسن الثاني ، فكتب إلى علي بن يقطين : إني قد صيرت مهورهن إليك « . (رجال الطوسي : ٢ / ٧٣٢) .

وقال سليمان بن الحسين كاتب علي بن يقطين : « أحصيت لعلي بن يقطين من وافي عنه في عام واحد مائة وخمسين رجلاً ، أقل من أعطاه منهم سبع مائة درهم ، وأكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم « . (رجال الطوسي : ٢ / ٧٣٧) .

٦ - في معجم السيد الخوئي : ١٣ / ٢٤٧ : « عن إسماعيل بن سلام ، وإسماعيل بن جميل ، قالا : بعث إلينا علي بن يقطين فقال : اشترينا راحلتين وتجنبا الطريق ، ودفعت إلينا أموالاً وكتباً ، حتى توصلنا ما معكما من المال والكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ولا يعلم بكما أحد . قالا : فأتينا الكوفة فاشترينا راحلتين وتزودنا زادا وخرجنا نتجنب الطريق ، حتى إذا صرنا ببطن الرمة شددنا راحلتنا ووضعنا لها العلف وقعدنا نأكل ، فبينما نحن كذلك إذ راكب قد أقبل ومعه شاكري ، فلما

قرب منا فإذا هو أبو الحسن عليه السلام فقمنا إليه وسلمنا عليه ، ودفعنا إليه الكتب وما كان معنا ، فأخرج من كفه كتباً فناولنا إياها فقال : هذه جوابات كتبكم ، فقلنا : إن زادنا قد فني فلو أذنت لنا فدخلنا المدينة فزرتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وتزودنا بزاد ، فقال : هاتا ما معكما من الزاد ، فأخرجنا الزاد فقلبه بيده ، فقال : هذا يبلغكما إلى الكوفة ، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد رأيتماه ، وإني صليت معهم الفجر ، وإني أريد أن أصلي معهم الظهر ، إنصرفا في حفظ الله !

٧ - « لما قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام العراق ، قال له علي بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ( من صعوبة العمل لكثرة المكائد في بلاط هارون )؟! فقال : يا علي إن الله تعالى أولياء مع الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه ، وأنت منهم يا علي . ( رجال الطوسي : ٢ / ٧٣١ ) . وفي رواية : « إن لله مع كل طاغية وزيراً من أوليائه يدفع به عنهم » . ( معجم السيد الخوئي : ١٣ / ٢٤٧ )

وفي قرب الإسناد / ٣٠٦ : « كتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام : إن قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السلطان ، وكان وزيراً لهارون ، فإن أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه ! فرجع الجواب : لا آذن لك بالخروج من عملهم واتفق الله !

٨ - « عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : كنت عند أبي إبراهيم عليه السلام إذ أقبل علي بن يقطين فالتفت إلى أصحابه فقال : من سره أن يرى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فلينظر إلى هذا المقبل ! فقال له رجل من القوم : هو إذن من أهل الجنة ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : أما أنا فأشهد أنه من أهل الجنة » . ( رجال الطوسي : ٢ / ٧٣٠ ) .

## ٦ . جعفر بن محمد بن الأشعث رئيس وزراء هارون

١ - محمد بن الأشعث الخزاعي غير محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، وقد خلط البعض بينهما ، وجعفر هنا هو الخزاعي وليس الكندي . وأبوه من قادة الثورة العباسية ، ففي تاريخ البعقوبي : ٢ / ٣٨٦ : « فولى أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي ، فقدم طرابلس » .

وفي فتوح البلاذري : ١ / ٢٧٥ : « ثم دخل محمد بن الأشعث الخزاعي إفريقية والياً عليها في آخر خلافة أبي العباس ، في سبعين ألفاً ويقال في أربعين ألفاً ، فولبها أربع سنين ، فرمّ مدينة القيروان » . أي رممها وبنى فيها .

وفي أنساب السمعاني : ٤ / ٥٧٣ : « وقيل : بنى القيروان محمد بن الأشعث الخزاعي ، وتحت لوائه عشرون ومائة قائد » .

وفي تاريخ الذهبي : ٩ / ٢٦٢ : « محمد بن الأشعث بن يحيى الخزاعي الخراساني ، الأمير ، أحد قواد بني عباس . ولي دمشق للمنصور بعد صالح بن علي العباسي ثم ولاة إمرة الدير المصرية ، ودخل القيروان لحرب الإباضية ، وكان شجاعاً حازماً مهيباً ، هزم أبا الخطاب عبد الأعلى رأس الخوارج ، ثم ظفر به وقتله ، ومات ابن الأشعث هذا سنة تسع وأربعين ومائة » .

وكان جعفر بن محمد بن الأشعث قائداً كأبيه ، وذكره الطبري وذكر ابنه العباس فقال : ( ٦ / ٥٢٩ ، و٤٤٧ ) : « سنة ١٨٧ وفيها أقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان ، وولاه ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث » .

وكان هارون يستقدمه ليعطيه مسؤولية كبيرة كخاتم الخلافة أو الحرس

الشخصي له . ( تاريخ خليفة / ٣٨٢ ) . وقد بلغت ثقة هارون بجعفر بن محمد بن الأشعث أنه جعل ابنه المأمون في حجره ليربيه ، فحسده البرامكة كما تقدم !

وورد ذكر ابنه العباس في غزو الروم أيضاً ، قال الطبري ( ٦ / ٥٠٠ ) : « دخل القاسم بن هارون أرض الروم في شعبان فأناخ على قرة وحاصرها ، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا ، فبعثت إليه الروم تبذل له ثلاث مائة وعشرين رجلاً من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم ، فأجابهم إلى ذلك » .

« فوجه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مرو ، ومعه عبد الله بن مالك ، ويحيى بن معاذ ، وأسد بن يزيد بن مزيد ، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث .. ثم اشتد بهارون الوجع حتى ضعف عن السير » . ( الطبري : ٦ / ٥٢٥ ) .

٢ - روى محمد بن الأشعث قصة تشيعهم ، فقال لمحمد بن أبي عمير : « أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به ، وما كان عندنا فيه ذكر ولا معرفة شيء مما عند الناس ؟ قال قلت : ما ذاك ؟ قال : إن أبا جعفر يعني أبا الدوانيق قال لأبي محمد الأشعث : يا محمد إبلغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني . فقال له : إني قد أصبته لك ، هذا فلان بن مهاجر خالي . قال : فأتني به . قال : فأتيته بخالي فقال له أبو جعفر : يا ابن مهاجر خذ هذا المال ، فأعطاه ألوف دنانير أو ما شاء الله من ذلك ، وائت المدينة والق عبد الله بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد ، فقل لهم : إني رجل غريب من أهل خراسان ، وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال ، فادفع إلى كل واحد منهم على هذا

الشرط كذا وكذا ، فإذا قبضوا المال فقل إني رسول ، وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم مني !

قال فأخذ المال وأتى المدينة ثم رجع إلى أبي جعفر ، وكان محمد بن الأشعث عنده فقال أبو جعفر : ما وراءك ؟ قال : أتيت القوم وفعلت ما أمرتني به ، وهذه خطوطهم بقبضهم ، خلا جعفر بن محمد فإني أتيتهم وهو يصلي في مسجد الرسول (ص) فجلست خلفه وقلت ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه ، ففعل وانصرف ثم التفت إليّ فقال : يا هذا إتق الله ولا تُعزّن أهل بيت محمد ﷺ وقل لصاحبك إتق الله ولا تغرن أهل بيت محمد ﷺ ، فإنهم قريبو العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج !

قال فقلت : وماذا أصلحك الله؟! فقال : أدن مني ، فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك حتى كأنه كان ثالثنا !

قال فقال أبو جعفر : يا ابن مهاجر ، أعلم إنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيهم محدث ، وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم ! فكان هذه دلالة أننا قلنا بهذا المقالة « ( بصائر الدرجات / ٢٦٥ ، والكافي : ١ / ٤٧٥ ) .

أقول : أراد المنصور أن يُزوّر ممسكاً على العلويين بأنهم يجمعون المال والأنصار للثورة عليه ، فيحبسهم لذلك أو يقتلهم ! وانطلقت الحيلة على الحسينيين ، بينما كشفها الله تعالى للإمام الصادق ﷺ فأخبر رسول المنصور ، فاندعش !

وتعجب من قدرة المنصور على التزوير ، وأنه لم ينبهت عندما أخبره رسوله بما رأى بل غير الموضوع وجعله فخراً له بالإمام الصادق ﷺ لأنه من بني هاشم !

وتعجب أكثر من أن المنصور مع شهادته بأن الإمام الصادق ﷺ إمام تحدثه الملائكة

فهو لا يهتم بمقامه ولا بعلمه ، ولا بالملائكة ولا بالرسول ولا بربهم عز وجل ! بل يريد  
مستمكاً على الإمام عليه السلام ليقته ويعد ضرره عن ملكه ! تماماً كما قال الله تعالى عنهم :  
**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ !**

وكانت هذه الحادثة سبب تشييع رسول المنصور ومحمد بن الأشعث ، ولا بد  
أنهم رأوا غيرها من الآيات فاعتقدوا بأن الإمام الصادق عليه السلام حجة الله تعالى على  
خلقه ، والإمام المفترض الطاعة ! لكنهم حافظوا على ثقة المنصور بهم واحتفظوا  
بمناصبهم ! ولا بد أن الإمام عليه السلام علمهم وعلم ابن يقطين كيف يتصرفون !

\* \*



## هارون يعرف أن الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى

### ١ . يعرف أنه إمام رباني ويعاديه !

١ . نقل المأمون اعتراف أبيه بأن الإمام الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى ، وأنه أحق من هارون ومن غيره بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكن الملك عقيم !

فقد قال سفيان بن نزار « كنت يوماً على رأس المأمون فقال : أتدرون من علمني التشيع ؟ فقال القوم جميعاً : لا والله ما نعلم ! قال : علمنيه الرشيد ! قيل له وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت ؟ قال : كان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم ، ولقد حججت معه سنة فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابته وقال : لا يدخلن عليّ من أهل المدينة ومكة من أهل المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه ! وكان الرجل إذا دخل عليه قال : أنا فلان بن فلان ، ينتهي إلى جده من هاشمي أو قرشي أو مهاجري أو أنصاري ، فيصله من المال بخمسة آلاف دينار وما دونها ، إلى مأتي دينار على قدر شرفه وهجرة آبائه ، فأنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع ، فقال : يا أمير المؤمنين على الباب رجل يزعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤمن وسائر القواد فقال :



إحفظوا على أنفسكم ، ثم قال لآذنه : إئذن له ولا ينزل إلا على بساطي ! فإننا كذلك إذ دخل شيخ مسخد ( مصفر الوجه ) قد أنهكته العبادة ، كأنه شن بال ، قد كُلم من السجود وجهه وأنفه ، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد : لا والله إلا على بساطي ! فمنعه الحجاب من الترحل ، ونظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام ، فما زال يسير على حمارة حتى صار إلى البساط والحجاب والقواد محذقون به ، فنزل فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبل وجهه وعينيه وأخذ بيده حتى صيره في صدر المجلس وأجلسه معه ، وجعل يحدثه ويقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله ثم قال له : يا أبا الحسن ما عليك من العيال ؟ فقال : يزيدون على الخمس مائة . قال : أولاد كلهم ؟ قال : لا أكثرهم موالي وحشم . أما الولد فلي نيف وثلاثون والذكران منهم كذا والنسوان منهم كذا . قال : فلم لا تزوج النسوان من بني عمومتهم وأكفائهن ؟ قال : اليد تقصر عن ذلك . قال : فما حال الضيعة ؟ قال : تعطى في وقت وتمنع في آخر . قال : فهل عليك دين ؟ قال : نعم قال : كم ؟ قال : نحو عشرة آلاف دينار .

فقال الرشيد : يا ابن عم أنا أعطيك من المال ما تزوج الذكران والنسوان وتقضي الدين وتعمر الضياع .

فقال له : وصلتك رحم يا ابن عم وشكر الله لك هذه النية الجميلة والرحم ماسة والقراصة واشجة والنسب واحد ، والعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وصنو أبيه ، وعم علي بن أبي طالب عليه السلام وصنو أبيه ، وما أبعدك الله من أن تفعل ، وقد بسط يدك وأكرم عنصرك وأعلى محتدك !

فقال : أفعل ذلك يا أبا الحسن وكرامة . فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد فرض على ولاة عهده أن يعشوا فقراء الأمة ، ويقضوا عن الغارمين ، ويؤدوا عن المثقل ، ويكسوا العاري ، ويحسنوا إلى العاني ، فأنت أولى من يفعل ذلك فقال : أفعل يا أبا الحسن . ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقبل عينيه ووجهه ، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤمن فقال : يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم إمشوا بين يدي عمكم وسيدكم ، خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله ، فأقبل عليّ أبو الحسن موسى بن جعفر سرّاً بيّني وبينه ، فبشرني بالخلافة فقال لي : إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى وُلدي ، ثم انصرفنا .

وكنت أجراً ولد أبي عليه ، فلما خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجللته ، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟!

قال : هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده !

فقلت : يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك ؟

فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ! والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله (ص) مني ومن الخلق جميعاً . ووالله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك ، فإن الملك عقيم !

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة ، أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال له : إذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك أمير المؤمنين : نحن في ضيقه وسيأتيك برنا بعد الوقت .

فقمّت في صدره فقلت : يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مأتي دينار ، أحس عطية أعطيتها أحداً من الناس ! فقال : أسكت لا أم لك فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنتّه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعة ومواليه . وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم !

وفي رواية أن هارون قال : يا بني هذا وارث علم النبيين ، هذا موسى بن جعفر بن محمد ! إن أردت العلم الصحيح فعند هذا . قال المأمون : فحينئذ انغرس في قلبي محبتهم » . ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨٤ ، والإحتجاج : ٢ / ١٦٥ ) .

وفي رواية الطبري : ٤ / ٦٥٠ ، أن الرشيد أعطى في تلك السفرة أهل مكة والمدينة ثلاثة عطية : « فبلغ ذلك ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار » !

أقول : العجب من هارون يشهد على نفسه بأنه ظالم غاصب لمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأعجب منه كلام المأمون الذي يزعم أن الإعتراف والتشيع النظري للنبي وعترته المعصومين صلى الله عليه وآله يكفي للنجاة من النار ، وإن خالف ذلك في قوله وفعله ، وغضب منصب الإمامة وقتل الإمام الرباني !

\* \*

## ٢ . حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام . المرة الأولى

كان هارون يعرف أن الإمام الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى ، بل كان كل ملوك بني أمية والعباس يعرفون جيداً أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين عاصروهم . فهم حقاً كما قال الله تعالى : **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا !**

ومع علم هارون بمقام الإمام عليه السلام أحضره الى بغداد واحترمه في الظاهر ، وجلس معه عدة مجالس ، وحاول قتله مراراً فلم يتيسر له ذلك ، فأطلقه !

كان ذلك في أول خلافة هارون سنة ١٧٠ ، ففي تلك السنة ولد الأمين فوضعه في حجر جعفر بن الأشعث الشيعي ( الطبري : ٦ / ٤٤٤ ) ، وحسده يحيى بن خالد البرمكي ، وأخذ يعمل ضد ابن الأشعث وضد الإمام الكاظم عليه السلام

قال المسعودي في إثبات الوصية / ١٩٣ : « بويح لهارون الرشيد في شهر ربيع الأول في تلك السنة سنة سبعين ومائة في اثنتين وعشرين سنة من إمامة أبي الحسن ، فوجه في حمل أبي الحسن عليه السلام ، فلما وافاه الرسل دعا أبا الحسن الرضا عليه السلام وهو أكبر ولده فأوصى إليه بحضرة جماعة من خواصه ، وأمره بما احتاج إليه ، ونخله كنيته وتكنى بأبي إبراهيم ، ودفع إلى أم أحمد مالاً وكتباً وقال لها سراً : من أتاك فطلب منك ما دفعته إليك وأعطاك صفته فادفعه إليه ، ودفع إليها رقعة محتومة وأمرها بأن تسلمها معها قبلها إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام إذا طلبها ، وأمر أبا الحسن أن يبيت في كل ليلة في دهليز داره أو على بابه أبداً ما دام حياً يعني نفسه » .

وفي مروج الذهب : ٢ / ٢ ، وط . مصر : ٣٥٦ / ٢ : « ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي وكان على دار الرشيد وشرطته ، قال : أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه

قط فانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك منه ! فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرفَ الرشيد خبري فأذن لي في الدخول عليه ، فدخلت فوجدته قاعداً على فراشه فسلمت ، فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعفَ الجرع عليّ ، ثم قال لي : يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ! قال : إني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة فقال لي : إن نُحِّلَ عن موسى بن جعفر الساعة ، وإلا نُحْرِكَ بهذه الحربة ! فاذهب فحلَّ عنه !

فقلت : يا أمير المؤمنين أطلقْ موسى بن جعفر؟! ثلاثاً ، قال : نعم ، إمض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قَبَلْنَا فلك عندي ما تحب ، وإن أحببت المضيَّ إلى المدينة ، فالإذن في ذلك إليك ! قال : فمضيت إلى الحبس لأُخرجَه ، فلما رأني موسى وثب إلي قائماً وظن إني قد أمرت فيه بمكروه ! فقلت : لا تخف ، وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك ، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك : إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب ، وإن أحببت الإنصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مُطَلَّقٌ إليك وأعطيته الثلاثين ألف درهم وخليت سبيله وقلت له : لقد رأيت من أمرك عجباً ! قال : فإني أحبرك : بينما أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا موسى حُبست مظلوماً فقل هذه الكلمات ، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس ! فقلت : بأبي وأمي ما أقول ؟ فقال : قل يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفؤت ، ويا كاسي العظام لحمًا ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنی ، وبإسمك الأعظم الأكبر المخزون



المكنون ، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة لا يُقْوي على أناته  
يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يُخْصى عمداً ، فرِّج عني . فكان ما ترى !

أقول : وروى نحوه في وفيات الأعيان : ٣٠٨ / ٥ ، وتأتي روايته من مصادرنا ، وهو  
يدل على أمور عديدة :

منها : عنف هارون وقسوته حتى أن كبار وزرائه وموظفيه يتوقع أحدهم أن  
يُحضره نصف الليل ويقتله ، دون أن يعرف السبب !

ومنها ، يدل تعجب رئيس الشرطة وسؤاله لهارون ثلاثاً عن أمره بإطلاق  
الإمام عليه السلام ، على أن هارون كان أحضره ليقتله !

ومنها ، أن ذلك كان في حياة والدته خيزران لأنها ماتت سنة ١٧٣ ، وأنها لم  
تتدخل لإطلاق الإمام عليه السلام ، وقد تكون وافقت على رأي يحيى البرمكي بضرورة  
قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

كما تدل على أن الأمر بإطلاقه عليه السلام كان في الليالي الأولى لسجنه عليه السلام في تلك المرة  
وربما في الليلة الأولى ، ففي مناقب آل أبي طالب : ٤٢٢ / ٣ : « لما حبس هارون الكاظم  
عليه السلام جَنَّ عليه الليل فجدد موسى طهوره ، فاستقبل بوجهه القبلة وصلى أربع  
ركعات ثم دعا فقال : يا سيدي نجني من حبس هارون وخلصني من يده ، يا  
مخلص الشجر من بين رمل وطنين ، ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر ، ويا  
مخلص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا  
مخلص الروح من بيت الأحشاء والأمعاء ، خلصني من يد هارون الرشيد ! قال :  
فرأى هارون رجلاً أسود بيده سيف قد سله ... الخ . »

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٨٧ : « لما حبس الرشيد موسى بن جعفر عليه السلام جراً عليه الليل ، فخاف ناحية هارون أن يقتله ، فجدد موسى بن جعفر طهوره فاستقبل بوجهه القبلة وصلى لله عز وجل أربع ركعات ، ثم دعا بهذه الدعوات فقال : يا سيدي نجني من حبس هارون وخلصني من يده . يا مخلص الشجر من بين رمل وطنين ، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلص النار من الحديد والحجر ، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء ، خلصني من يد هارون . قال : فلما دعا موسى عليه السلام بهذه الدعوات أتى هارون رجل أسود في منامه ، وبيده سيف قد سله فوقف على رأس هارون وهو يقول : يا هارون أطلق موسى بن جعفر وإلا ضربت علاوتك بسيفي هذا ! فخاف هارون من هيئته ، ثم دعا الحاجب فجاء الحاجب فقال له : إذهب إلى السجن فأطلق عن موسى بن جعفر ! قال : فخرج الحاجب فقرع باب السجن فأجابته صاحب السجن فقال : من ذا ؟ قال : إن الخليفة يدعو موسى بن جعفر فأخرجه من سجنك وأطلق عنه ، فصاح السجنان : يا موسى إن الخليفة يدعوك فقام موسى عليه السلام مذعوراً فزعاً وهو يقول : لا يدعوني في جوف هذا الليل إلا لشر يريد بي ، فقام باكياً حزيناً مغموماً آيساً من حياته ، فجاء هارون وهو ترتعد فرائصه ، فقال : سلام على هارون فرد عليه السلام ، ثم قال له هارون : ناشدتك بالله هل دعوت في جوف هذا الليل بدعوات ؟ فقال : نعم . قال : وما هن ؟ قال : جددت طهوراً وصليت لله عز وجل أربع ركعات ورفعت طرفي إلى السماء وقلت : يا سيدي خلصني من يد هارون وشره ، وذكر له ما كان من دعائه



فقال هارون : قد استجاب الله دعوتك ! يا حاجب أطلق عن هذا ، ثم دعا بخلع عليه ثلاثاً وحمله على فرسه وأكرمه وصيره نديماً لنفسه ، ثم قال : هات الكلمات فعلمه قال : فأطلق عنه وسلمه إلى الحاجب ليسلمه الدار ويكون معه فصار موسى بن جعفر عليه السلام كريماً شريفاً عند هارون ، وكان يدخل عليه في كل خميس ، إلى أن حبسه الثانية فلم يطلق عنه حتى سلمه إلى السندي شاهك وقتله بالسم .

وروى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٧٣ ، والمفيد في الإختصاص / ٥٩ رواية مشاهجة عن وزير الرشيد الفضل بن الربيع ، وأنه طلب من الإمام عليه السلام أن يعلمه الصلاة والدعاء اللذين علمه إياهما النبي صلى الله عليه وآله في منامه .

### ٣ . خلط الرواة بين أخبار حبسه عليه السلام في المرة الأولى والثانية

ينبغي التنبيه على أن بعض الرواة خلطوا بين أحاديث سجن الإمام عليه السلام في المرتين ، وقد تخللها فرض الإقامة الجبرية عليه في بغداد .

وعلازمة المرة الأولى : أنها كانت في أول خلافة هارون كما نص المسعودي ، ولم يكن الفضل بن الربيع يومها وزيراً ، بل في المرة الأخيرة .

وعلازمتها : أن هاروناً ناظر الإمام عليه السلام فيها في وصف أبناء علي وفاطمة عليهما السلام بأئهم أبناء النبي صلى الله عليه وآله وذريته ، فاستدل الإمام عليه السلام بآيات القرآن واقتنع هارون .

وبعد تسع سنين جاء هارون فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ، ثم سلم عليه الإمام عليه السلام وقال : السلام عليك يا أبت ، فقال هارون : أشهد أنه أبوه حقاً ، وهو يدل على أن مناظرة الإمام عليه السلام معه في الموضوع كانت قبل ذلك .

وعلامتها : أن الإمام الكاظم عليه السلام دعا لما جن عليه الليل بالخلاص من سجن هارون ، فرأى هارون مناماً مربعاً وأطلقه ، ولم يرد ذلك في حبسه في المرة الثانية .

وعلامتها : أنها لم يرد فيها إسم الفضل بن الربيع ، وأمر هارون للإمام بثلاثين ألف درهم ، ووافق على طلبه أن يرجع الى المدينة ولم يرد ذلك في المرة الثانية .

وعلامتها : أن مدة فرض الإقامة الجبرية عليه ومدة سجنه كانت أقل من الثانية ، فقد قال هارون في آخر مناقشته للإمام عليه السلام كما سيأتي : « أحسنت يا موسى إرفع إلينا حوائجك ! فقلت له : إن أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله ! فقال : ننظر إن شاء الله » .

ومعنى « ننظر » أنه لم يأذن له وفرض عليه الإقامة الجبرية في بغداد ، وفرض عليه وأن يحضر مجلسه كل خميس ، فمكث عليه السلام مدة على ذلك ، ثم سجنه بقصد قتله ، فدعا الله تعالى فرأى هارون المنام المرعب وأطلقه .

وعلامتها الثانية : أنه مدتها كانت نحو أربع سنوات ، منها نحو سنة في البصرة وثلاث سنوات في بغداد ، وكان الإمام عليه السلام في أكثرها في الإقامة الجبرية ، وكان ملزماً بالحضور في مجلس هارون كل يوم خميس أيضاً !

قال في الإرشاد : ٢ / ٢٤٠ ، يصف هذه المرة : « فوجه الرشيد من تسلمه من عيسى بن جعفر ، وصير به إلى بغداد ، فسلم إلى الفضل بن الربيع ، فبقي عنده مدة طويلة فأراد الرشيد على شئ من أمره فأبى ، فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه ... فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه ، فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقعة ، فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله ، فتوقف عن ذلك

ولم يقدم عليه ، فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسروراً الخادم فقال له : أخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد . الخ . » .

فقد كان في المرتين إقامة جبرية وسجن ، وكانت الثانية أطول ، وفي المرة الأولى أطلق سراحه عليه السلام وسمح له بالعودة الى المدينة ، وفي الثانية سجنه في آخرها وقتله وكان الفاصل بين المرتين تسع سنوات ، ومدة الثانية أربع سنوات .

وقد روي عن الإمام عليه السلام مجموعة أحاديث ومناظرات مع هارون ، والقاضي أبي يوسف ، والبرمكيين ، وأحاديث مع هشام بن الحكم ، وغيرهم ، وكانت في الفترتين اللتين أجبر فيهما الإمام عليه السلام على الإقامة في بغداد ، لكن يصعب التمييز بين ما كان منها في المرة الأولى والثانية ، خاصة وأن الرواة خلطوا بين أخبارهما .

وقد تعنت ابن تيمية فأنكر أن يكون الإمام عليه السلام مرّاً من أمام بيت بشر الحافي وتاب على يده ، بحجة أنه عليه السلام كان في بغداد محبوساً ! وهذا دأب ابن تيمية في مسارعته لإنكار أي فضيلة لأهل البيت عليهم السلام . ( راجع : شرح منهاج الكرامة : ١ / ١٧٦ ) .

\* \*

#### ٤ . الإمام الكاظم عليه السلام يصارح هارون !

نقلت الرواية التالية ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٧٩ ، والإحتجاج : ٢ / ١٦١ ) مناظرة هارون للإمام الكاظم عليه السلام عندما أحضره الى بغداد قبل أن يسجنه ، وقد تضمنت مصارحة الإمام عليه السلام له وقرعه إياه بأقوى الحجج !

قال عليه السلام : « لما أدخلتُ على هارون سلمت عليه فرد عليَّ السلام ثم قال : يا موسى بن جعفر خليفتان يجيء إليهما الخراج ؟!

فقلت : يا أمير المؤمنين أعينك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك ، فتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وعلم ذلك عندك ! فإن رأيت بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : قد أذنت لك ، فقلت : أخبرني أي عن آبائه عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : إن الرحم إذا مست تحركت واضطربت ، فناولني يدك جعلني الله فداك !

قال : أدن مني ، فدنوت منه فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ، ثم تركني ، وقال : اجلس يا موسى ! فليس عليك بأس ، فنظرت إليه فإذا به قد دمعت عيناه فرجعت إلى نفسي ، فقال : صدقت وصدق جدك صلى الله عليه وآله ، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت عليَّ الرقة وفاضت عيناى ، وأنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين ، لم أسأل عنها أحداً ، فإن أنت أجبته عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك ، وقد بلغني أنك لم تكذب قط ، فأصدقني فيما أسألك ما في قلبي !

فقلت : ما كان علمه عندي فيإني مخبرك به إن أنت أمنتني ! قال : لك الأمان إن صدقتني وتركت النقية التي تعرفون بها معاشر بني فاطمة !

قلت ليسأل أمير المؤمنين عما يشاء . قال : أخبرني لم فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة ، وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد ، إنا بنو عباس وأنتم ولد أبي طالب ، وهما عما رسول الله صلى الله عليه وآله وقربتهما منه سواء ؟

فقلت : نحن أقرب . قال : وكيف ذاك ؟ قلت : لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله ، ولا من أم أبي طالب .

قال : فلم ادعيتكم أنكم ورثتم النبي صلى الله عليه وآله والعم يحجب ابن العم وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد توفي أبو طالب قبله ، والعباس عمه حي ؟!

فقلت له : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني عن هذه المسألة ، ويسألني عن كل باب سواه يريدني ! فقال : لا ، أو تجيب ! فقلت : فأمني . قال : أمنتك قبل الكلام . فقلت : إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام : أنه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أو أنثى لأحد سهم إلا الأبوين والزوج والزوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسنة ، إلا أن تيمماً وعدياً وبني أمية قالوا : العم والد ، رأياً منهم بلا حقيقة ، ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله !

ومن قال بقول علي عليه السلام من العلماء قضايهم خلاف قضايا هؤلاء ، هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي عليه السلام وقد حكم به ، وقد ولاه أمير المؤمنين المصريين الكوفة والبصرة وقضى به ! فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله منهم : سفيان الثوري ، وإبراهيم المازني ، والفضيل بن عياض !

فأحضرهم فشهدوا أنه قول علي عليه السلام في هذه المسألة ، فقال لهم فيما بلغني بعض العلماء من أهل الحجاز : لم لاتفتون وقد قضى نوح بن دراج ؟ فقالوا : جَسُرٌ وَجَبْنَا !

وقد أمضى أمير المؤمنين فضيته بقول قدماء العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : أفضاكم علي . وكذلك عمر بن الخطاب قال : علي أفضانا ، وهو إسم جامع لأن جميع ما مدح به النبي صلى الله عليه وآله أصحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل في القضاء ! قال : زدني يا موسى ! قلت : المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك ؟

فقال : لا بأس به . فقلت : إن النبي لم يورث من لم يهاجر ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر ! فقال : ما حجتك فيه ؟ قلت : قول الله تبارك وتعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا** ، وإن عمي العباس لم يهاجر !

فقال لي : إنني أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا ، أو أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشئ ؟ فقلت : اللهم لا ، وما سألتني عنها إلا أمير المؤمنين !

ثم قال لي : جَوَزْتُمُ لِلْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ أَنْ يَنْسَبُوكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَيَقُولُوا لَكُمْ : يَا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ ، وأنتم بنو علي ، وإنما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنما هي وعاء والنبي جدكم من قبل أمكم !؟

فقلت : يا أمير المؤمنين لو أن النبي نشر فخطب إليك كريمةك هل كنت تجيبه ؟ قال : سبحان الله ولم لا أجبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ؟ فقلت له : لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه ! فقال : ولم ؟ فقلت : لأنه ولدني ولم يلدك !

فقال : أحسنت يا موسى ! ثم قال : كيف قلت إننا ذرية النبي والنبي لم يعقب ، وإنما العقب الذكر لا الأنثى ، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون ولدها عقباً له !

فقلت : أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه ، إلا أعفيتني عن هذه المسألة !

فقال لا أو تخبرني بحجتكم فيه يا ولد علي ! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم ، كذا أنهى إلي ، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه ، حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله ، وأنتم تدعون معشر ولد علي أنه لا يسقط عنكم منه شيء ألف ولا واو إلا تأويله عندكم ، واحتججتم بقوله عز وجل : **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ، واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم !

فقلت : تأذن لي في الجواب ؟ قال : هات ، فقلت : أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : **وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ .**

مَنْ أَبُو عَيْسَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال : ليس لعيسى أب . فقلت : إنما ألقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام ، وكذلك ألقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل أمنا فاطمة !

أزيدك يا أمير المؤمنين ؟ قال : هات . قلت : قول الله عز وجل : **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .** ولم يدع أحد أنه أدخله النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين . أبناؤنا الحسن والحسين ، ونسائنا فاطمة ، وأنفسنا علي بن أبي طالب . على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد : يا محمد إن هذه لهي المواساة من علي قال : لأنه مني وأنا منه ، فقال جبرئيل : وأنا منكما يا رسول الله ، ثم قال : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، فكان كما مدح الله عز وجل به

خليله عليه السلام إذ يقول : **قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** . إنا نفتخر بقول جبرئيل إنه منا .

فقال : أحسنت يا موسى إرفع إلينا حوائجك ! فقلت له : إن أول حاجة لي أن تأذن لابن عمك أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله ! فقال : ننظر إن شاء الله » .

فهذه المناقشة كانت في حبس الإمام أول مرة أوائل خلافة هارون ، لأن هارون حج بعد تسع سنوات ، وقال كما تقدم : أشهد أنه أبوه حقاً !

وفي تفسير العياشي : ٢ / ٢٩ ، أن هارون سأله : « حين أدخل عليه ما هذه الدار ؟ قال : هذه دار الفاسقين ! قال وقرأ : **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا** ! فقال له هارون : فدار من هي ؟ قال : هي لشيعتنا قرة ولغيرهم فتنة ! قال : فما بال صاحب الدار لا يأخذها ؟ قال : أخذت منه عامرة ، ولا يأخذها إلا معمورة . فقال : أين شيعتك ؟ فقرأ أبو الحسن : **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ** . قال له : فنحن كفار ؟ قال : لا ولكن كما قال الله : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ** ! فغضب عند ذلك وغلظ عليه » ! والاختصاص / ٢٦٢ .



## ٥ . الإمام الكاظم عليه السلام ينسف أساس نظام العباسيين !

روى الخطيب في تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٢ : « حج هارون هارون ، فأتى قبر النبي (ص) زائراً له ، وحوله قریش وأفياء القبائل ، ومعه موسى بن جعفر ، فلما انتهى إلى القبر قال : السلام عليك يا رسول الله ، يا ابن عمي ، افتخاراً على من حوله ! فدنا موسى بن جعفر فقال : السلام عليك يا أبت ! فتغير وجه هارون وقال : هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً » و تهذيب الكمال : ٢٩ / ٤٩ ، وابن خلكان في وفيات الأعيان : ٥ / ٣٠٨ ، وابن الأثير في الكامل : ٦ / ١٦٣ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء : ٦ / ٢٧٣ .

وعلق عليه الذهبي في تاريخه : ١٢ / ٤١٧ : « ولعل هارون ما حبسه إلا لقولته تلك : السلام عليك يا أبة ! فإن الخلفاء لا يحتملون مثل هذا » !

وقال ابن كثير في النهاية : ١٠ / ١٩٧ : « فقال هارون : هذا هو الفخر يا أبا الحسن ! ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه في سنة تسع وسبعين وسجنه فأطال سجنه ، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها : أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء ، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبتلون » .

ورواه من مصادرنا الكافي : ٤ / ٥٥٣ : « عن علي بن حسان ، عن بعض أصحابنا قال : حضرت أبا الحسن الأول عليه السلام و هارون الخليفة وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى بالمدينة ، قد جاؤوا إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فقال : هارون لأبي الحسن عليه السلام : تقدم فأبي فتقدم هارون فسلم وقام ناحية ، وقال عيسى بن جعفر لأبي الحسن : تقدم فأبي ، فتقدم عيسى فسلم ووقف مع هارون ، فقال : جعفر لأبي الحسن : تقدم فأبي ، فتقدم جعفر فسلم ووقف مع هارون . وتقدم أبو الحسن عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبة ، أسأل الله الذي اصطفاك واجتباك وهداك وهدى بك ، أن

يصلي عليك . فقال هارون لعيسى : سمعت ما قال ؟ قال : نعم ، فقال هارون :  
أشهد أنه أبوه حقاً » . وكامل الزيارات / ٥٥ ، وتهذيب الأحكام : ٦ / ٦ .

أقول : نلاحظ أن الإمام الكاظم عليه السلام احترم عيسى بن جعفر وكان والي البصرة كما احترم  
جعفر بن يحيى البرمكي رئيس وزراء هارون ، وقدمهما على نفسه ليسلما على النبي صلى الله عليه وآله قبله  
. ثم تقدم وقال : السلام عليك يا أبة ، يقول بذلك للعباسيين أنتم تدعون الحق بالخلافة لأنكم  
أبناء عم النبي صلى الله عليه وآله بينما نحن أبناؤه !

أما قول هارون : « أشهد أنه أبوه حقاً » ! فإنه كان ناقش الإمام عليه السلام عندما حبسه في أول  
خلافته وأثبت له أن أبناء فاطمة عليها السلام أبناء النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن !

\* \*

## ٦ . حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام . المرة الثانية

اتفقت المصادر على أن هارون حج في سنة ١٧٩ ، واعتقل الإمام الكاظم عليه السلام ، وتقدم قول الذهبي وابن كثير أن سبب ذلك قول الإمام عليه السلام أمام هارون : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبت !

ولكن السبب الحقيقي برأبي هو تأثير الإمام عليه السلام العميق والواسع على جمهور المسلمين وشخصيات الدولة ، ومنهم وزراء هارون وخاصته ، فكان هارون يرى فيه خطراً كبيراً من جهة ، وكان يعرف أنه ليس من مذهبه ولا مذهب أبيه الصادق عليه السلام الخروج عليه والعمل لتسلم الخلافة ، لكنه يحتمل أن يغير رأيه !

وقد حرص الإمام عليه السلام في حبسه الأول ولقاءاته في بغداد على طمأننة هارون وبلاطه بأنه لا يعمل للثورة وإسقاط النظام العباسي !

بل كان ذلك معروفاً عن الإمام الكاظم وأبيه الصادق عليه السلام من زمن المنصور ، ففي مهج الدعوات / ٢١٧ : « لما قتل الحسين بن علي صاحب فخ ، وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن وتفارق الناس عنه ، حمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى بن المهدي ... ثم أمر برجل من الأسرى فوبخه ثم قتله ... وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام فقال منه ثم قال : والله ما خرج حسين إلا عن أمره ولا اتبع إلا محبته ، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت ، قتلني الله إن أبقيت عليه ! فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي وكان جريئاً عليه : يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت ؟ فقال : قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر ، ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر من

الفضل المبرز عن أهله في دينه وعمله وفضله ، وما بلغني من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله ، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً !

فقال أبو يوسف : نساؤه طوالق ، وعتق جميع ما يملك من الرقيق ، وتصدق بجميع ما يملك من المال وحبس دوابه ، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ، إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج ، ولا يذهب إليه ولا مذهب أحد من ولده ولا ينبغي أن يكون هذا منهم » !

لكن مع ذلك ، قرر هارون حبس الإمام الكاظم عليه السلام وحاول قتله ، لأنه كان يعيش عقدة من تأثيره العجيب على شخصيات المجتمع ، وخاصة كبار وزرائه !

قال الكليني عليه السلام في الكافي : ١ / ٤٧٦ : « وكان هارون حمله من المدينة لعشر ليال بقين من شوال سنة تسع وسبعين ومائة ، وقد قدم هارون المدينة منصرفه من عمرة شهر رمضان ، ثم شخص هارون إلى الحج وحمله معه ، ثم انصرف على طريق البصرة فحبسه عند عيسى بن جعفر ثم أشخصه إلى بغداد ، فحبسه عند السندي بن شاهك فتوفي عليه السلام في حبسه ودفن ببغداد في مقبرة قريش » . والإحتجاج : ٢ / ١٦٥ .

وفي غيبة الطوسي / ٢٣ : « وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إني أعتذر إليك من شئ أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى بن جعفر ، فإنه يريد التشييت بأمتك وسفك دمائها ، ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده » !

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٨٢ : « عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال : سمعت أبي يقول : لما قبض الرشيد على موسى جعفر عليه السلام قبض عليه وهو عند

رأس النبي صلى الله عليه وآله قائماً يصلي فقطع عليه صلاته ، وحمل وهو يبكي ويقول : أشكو إليك يا رسول الله ما ألقى ! وأقبل الناس من كل جانب يبكون ويصيحون ، فلما حمل إلى يدي الرشيد شتمه وجفاه ، فلما جن عليه الليل أمر بيتين فهياً له ، فحمل موسى بن جعفر عليه السلام إلى أحدهما في خفاء ودفعه إلى حسان السروي ، وأمره بأن يصير به في قبة إلى البصرة فيسلم إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر وهو أميرها ، ووجه قبة أخرى علانيةً نهاراً إلى الكوفة معها جماعة ليُعَمِّي على الناس أمر موسى بن جعفر عليه السلام . فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم فدفعه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك وشاع خبره ، فحبسه عيسى بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه وأقفل عليه ، وشغله العيد عنه فكان لا يفتح عنه الباب إلا حالتين حالة يخرج فيها إلى الطهور وحالة يدخل فيها الطعام . قال أبي : فقال لي الفيض بن أبي صالح وكان نصرانياً ثم أظهر الإسلام وكان زنديقاً ، وكان يكتب لعيسى بن جعفر وكان بي خاصاً ، فقال : يا أبا عبد الله لقد سمع هذا الرجل الصالح في أيامه هذه في هذه الدار التي هو فيها ، من ضروب الفواحش والمناكير ما أعلم ولا أشك أنه لم يخطر بباله !

قال أبي : وسعى بي في تلك الأيام إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر علي بن يعقوب بن عون بن العباس بن ربيعة ، في رقعته دفعها إليه أحمد بن أسيد حاجب عيسى قال : وكان علي بن يعقوب من مشايخ بني هاشم وكان أكبرهم سنناً ، وكان مع كبر سنه يشرب الشراب ويدعو أحمد بن أسيد إلى منزله ، فيحتفل له ويأتيه بالمغنين والمغنيات ، يطمع في أن يذكره لعيسى ، فكان في رقعته التي رفعها

إليه : إنك تقدم علينا محمد بن سليمان في إذنك وإكرامك وتخصه بالمسك وفينا من هو أسن منه ، وهو يدين بطاعة موسى بن جعفر المحبوس عندك !

قال أبي : فإني لقائل يوم قايظ إذ حُرِّكت حلقة الباب عليّ فقلت : ما هذا ؟ قال لي الغلام : قعنب بن يحيى على الباب يقول : لا بد من لقائك الساعة ! فقلت : ما جاء إلا لأمر إئذنوا له فدخل فخبيري عن الفيض بن أبي صالح بهذه القصة والرقعة ، قال : وقد كان قال لي الفيض بعد ما أخبرني : لا تخبر أبا عبد الله فتحزنه ، فإن الرافع عند الأمير لم يجد فيه مساعاً وقد قلت للأمير : أي نفسك من هذا شيء حتى أخبر أبا عبد الله فيأتيك ويحلف على كذبه ؟ فقال : لا تخبره فتغمه فإن ابن عمه إنما حمله على هذا الحسد له ! فقلت له : يا أيها الأمير أنت تعلم أنك تخلو بأحد خلواتك به فهل حملك على أحد قط ؟ قال : معاذ الله ! قلت : فلو كان له مذهب يخالف فيه الناس لأحب أن يملكك عليه . قال : أجل ومعرفتي به أكثر .

قال أبي : فدعوت بدابتي وركبت إلى الفيض ساعتي فصرت إليه ومعني قعنب في الظهيرة ، فاستأذنت فأرسل إليّ وقال : جعلت فداك قد جلست مجلساً أرفع قدرك عنه ، وإذا هو جالس على شرابه فأرسلت إليه : والله لا بد من لقائك فخرج إليّ في قميص رقيق وإزار مورّد فأخبرته بما بلغني ، فقال لقعنب : لا جزيت خيراً ألم أتقدم إليك لا تخبر أبا عبد الله فتغمه ؟ ثم قال لي : لا بأس فليس في قلب الأمير من ذلك شيء . قال : فما مضت ذلك إلا أيام يسيره حتى حمل موسى بن جعفر سرّاً إلى بغداد وحبس ثم أطلق ، ثم حبس ثم سلم إلى السندي بن شاهك فحبسه

وضيق عليه ، ثم بعث الرشيد بسم في رطب وأمره أن يقدمه إليه ، ويحتم عليه في تناوله منه ، ففعل فمات صلوات الله عليه » !

أقول : تدل هذه الرواية على خوف هارون من ردة فعل الشيعة ، واحتمال أن يحاولوا تخليص الإمام عليه السلام من يده ، ولذلك مؤه مكانه وأخفى مقصد إرساله .

كما تدل الرواية على فساد الجهاز الإداري العباسي ، ومنه بلاط حاكم البصرة ، وهو حفيد المنصور الدوانيقي .

كما تدل على أن بقاء الإمام عليه السلام في سجن البصرة كان أياماً ، لكن ورد أنه بقي فيها سنة ، ففي غيبة الطوسي / ٢٣ : « فحبسه عنده سنة ، ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني وسلمه إلى من شئت وإلا خليت سبيله ، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة فلم أقدر على ذلك حتى أني لأسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك فما أسمعه يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة . فوجه من تسلمه منه » !

ويحتمل أن يكون هارون قد حبسه في البصرة أكثر من مرة ، فقد كان مرتكباً في أمر الإمام عليه السلام لما رأى من آياته ! فقد حبسه مرات وأطلقه وأبقاه في بغداد ، ثم قتله بالسم ! وهذا يشبه ارتباك جده المنصور عندما كان يستدعي الإمام الصادق عليه السلام ويحاول قتله !

## ٧ . فرض عليه هارون الإقامة الجبرية في بغداد

استمر سجن الإمام والإقامة الجبرية في هذه المرة أربع سنوات ، ففي الكافي : ٣٨١ / ١ : « عن مسافر قال : أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أخرج به ، أبا الحسن عليه السلام أن ينام على بابه في كل ليلة أبداً ما كان حياً إلى أن يأتيه خبره !

قال : فكنّا في كل ليلة نفرش لأبي الحسن في الدهليز ، ثم يأتي بعد العشاء فينام ، فإذا أصبح انصرف إلى منزله ! قال : فمكث على هذه الحال أربع سنين ، فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عنا وفرش له فلم يأت كما كان يأتي ، فاستوحش العيال وذعروا ، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه ، فلما كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال ، وقصد إلى أم أحمد فقال لها : هات التي أودعك أبي ، فصرخت ولطمت وجهها وشقت جيبها ، وقالت : مات والله سيدي ، فكفها وقال لها لا تكلمي بشئ ولا تظهريه حتى يجيء الخبر إلى الوالي ، فأخرجت إليه سفظاً وألفي دينار أو أربعة آلاف دينار ، فدفعت ذلك إليه دون غيره ، وقالت : إنه قال لي فيما بيني وبينه وكانت أثيرة عنده : إحتفظي بهذه الوديعة عندك ، لا تطلعي عليها أحداً حتى أموت ، فإذا مضيت فمن أتاك من ولدي فطلبها منك ، فادفعيها إليه واعلمي أني قد متُّ . وقد جاءني والله علامة سيدي . فقبض ذلك منها وأمرهم بالإمساك جميعاً إلى أن ورد الخبر ، وانصرف فلم يعد لشئ من المبيت كما كان يفعل ، فما لبثنا إلا أياماً يسيرة حتى جاءت الخريطة بنعيه ، فعددنا الأيام وتفقدنا الوقت فإذا هو قد مات في الوقت الذي فعل أبو الحسن عليه السلام ما فعل ، من تخلفه عن المبيت وقبضه لما قبض ! » .

وروى الطبري في دلائل الإمامة / ٣٧٢ : « فمكث على هذه الحال نحو أربع سنين ، وأبو إبراهيم عليه السلام مقيم في يد السلطان ذاهباً جائئاً في حال رفاة وإكرام ، وكان الرشيد يرجع إليه في المسائل فيجيبه عنها ! ثم كان من البرامكة ما كان في السعي على دمه والإغراء به ، حتى حبسه في يد السندي بن شاهك ، وأمره الرشيد بقتله



في السم . فلما كان في ليلة من الليالي وقد فرشنا لأبي الحسن الرضا على عادته ، أبطأ عنا فلم يأت كما كان يأتي ، فاستوحش العيال وذعروا وداخلنا من إبطائه أمر عظيم ، فلما أصبحنا أتى الدار ، ودخل قاصداً إليها من غير إذن ، ثم أتى أم حميد فقال لها : هات الذي أودعك أبي وسماه لها فصرخت ولطمت وشقت ثيابها وقالت : مات والله سيدي ! فكفها وقال لها : لا تكلمي بهذا ولا تظهريه حتى يجيء الخبر إلى والي المدينة ... » .

أقول : لاحظ قوله : « وأبو إبراهيم عليه السلام مقيم في يد السلطان ذاهباً جائئاً في حال رفاة وإكرام ، وكان الرشيد يرجع إليه في المسائل فيجيبه عنها .. الخ . » !

وقد فرض عليه أن يحضر مجلسه كل يوم خميس : « قال : فأطلق عنه وسلمه إلى الحاجب ليسلمه الدار ويكون معه ، فصار موسى بن جعفر عليه السلام كريماً شريفاً عند هارون ، وكان يدخل عليه في كل خميس ، إلى أن حبسه الثانية ، فلم يطلق عنه حتى سلمه إلى السندي شاهك ، وقتله بالسم » (أمالي الصدوق / ٤٦١ ، والعيون : ٢ / ٨٨) .

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يقضي وقته في بغداد في عبادة ربه عز وجل ، ويلتقي بهارون ووزرائه وغيرهم ، ويلتقي ببعض خاصته علناً أو سراً .

ففي رجال الطوسي : ٧٩٠ / ٢ : « عن محمد بن سالم قال : لما حمل سيدي موسى بن جعفر عليه السلام إلى هارون ، جاء إليه هشام بن إبراهيم العباسي فقال له : يا سيدي قد كتبت لي صك إلى الفضل بن يونس فسله أن يروج أمري . قال فركب إليه أبو الحسن عليه السلام فدخل إليه حاجبه فقال : يا سيدي أبو الحسن موسى بالباب ، فقال : إن كنت صادقاً فأنت حرٌّ ولك كذا وكذا ! فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو

حتى خرج إليه فوقع على قدميه يقبلهما ، ثم سأله أن يدخل ، فدخل فقال له :  
إقض حاجة هشام ففضاها ، ثم قال : يا سيدي قد حضر الغذاء فتكرمني أن  
تتغدى عندي ، فقال هات فجاء بالمائدة وعليها البوارد ، فأجال أبو  
الحسن عليه السلام يده في البارد وقال : البارد تجال اليد فيه ، فلما رفعوا البارد وجاءوا  
بالحر ، فقال أبو الحسن عليه السلام : الحار حمى .

وفي المحاسن : ٢ / ٤٥١ : « عن الفضل بن يونس الكاتب قال : أتاني أبو الحسن  
موسى بن جعفر عليه السلام في حاجة للحسين بن يزيد ، فقلت : إن طعامنا قد حضر ،  
فأحب أن تتغدى عندي ، قال : نحن نأكل طعام الفجاء ، ثم نزل فجئتته بغداء  
ووضعت منديلاً على فخذه فأخذه فنحاه ناحية ، ثم أكل . »

فهذه الروايات تدل على أنه عليه السلام كان طليقاً نسبياً في بغداد ، في المرتين .

## ٨ . سكن الإمام عليه السلام في بغداد في بيت متواضع

اختار الإمام عليه السلام أن يسكن في بيت متواضع ، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٧٥ ،  
عن الفضل بن الربيع قال : « كنت أحجب الرشيد فأقبل عليّ يوماً غضباناً ويده  
سيف يقلبه فقال لي : يا فضل بقرايتي من رسول الله لعن لم تأتني بابن عمى الآن  
لأخذن الذي فيه عيناك ! فقلت : بمن أحيؤك ؟ فقال : بهذا الحجازي . فقلت :  
وأبي الحجازي ؟ قال : موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي  
طالب . قال الفضل : فخفت من الله عز وجل أن أجيء به إليه ثم فكرت في النعمة  
فقلت له : أفعل . فقال : آتيني بسوطين وهسارين وجلادين !

قال : فأتيته بذلك ومضيت إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر فأتيت إلى حربة فيها كوخ من جرايد النخل ، فإذا أنا بغلام أسود فقلت له : استأذن لي على مولاك يرحمك الله ، فقال لي : لُج فليس له حاجب ولا بواب ، فوجلت إليه فإذا أنا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده ! فقلت : له السلام عليك يا بن رسول الله ، أجب الرشيد !

فقال : ما للرشيد وما لي ، أما تشغله نعمته عني ؟ ثم وثب مسرعاً وهو يقول : لولا أنني سمعت في خبر عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أن طاعة السلطان للتقية واجبة إذا ما جئت ! فقلت له : استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم رحمك الله ! فقال عليه السلام : أليس معي من يملك الدنيا والآخرة؟! ولن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله تعالى ! قال فضل بن الربيع : فرأيتاه وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها على رأسه ثلاث مرات ، فدخلت على الرشيد فإذا هو كأنه امرأة تكلى قائم حيران ! فلما رأني قال لي : يا فضل ، فقلت : لبيك . فقال جئتني بابن عمي ؟ قلت : نعم . قال : لا تكون أزعجتك . فقلت : لا ، قال : لا تكون أعلمته أنني عليه غضبان فإني قد هيجت على نفسي ما لم أرد ! إذن له بالدخول فأذنت له فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له : مرحباً بابن عمي وأخي ووارث نعمتي ، ثم أجلسه على فخذي فقال له : ما الذي قطعك عن زيارتنا ؟ فقال سعة مملكتك وحبك للدنيا فقال : إيتوني بحقمة الغالية ، فأتي بها ، فغلفه بيده ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير ، فقال موسى بن جعفر : والله لولا أنني أرى من أزوجه بها من عزاب بني أبي طالب لئلا ينقطع نسله أبداً ما قبلتها . ثم تولى عليه وهو يقول : الحمد لله رب العالمين . فقال

الفضل : يا أمير المؤمنين أردت أن تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته ! فقال لي : يا فضل إنك لما مضيت لتحييني رأيت أقواماً قد أحذقوا بداري بأيديهم حراب قد غرسوها في أصل الدار يقولون : إن آذى ابن رسول الله خسفنا به ! وإن أحسن إليه انصرفنا عنه وتركناه ! فتبعته عليه السلام فقلت له : ما الذي قلت حتى كفيت أمر الرشيد ؟ فقال دعاء جدي علي بن أبي طالب ، كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلا هزمه ولا إلى فارس إلا قهره ، وهو دعاء كفاية البلاء . قلت : وما هو ؟ قال قلت : بك أساور وبك أحاول وبك أجاور ، وبك أصول وبك أنتصر وبك أموت وبك أحيأ ، أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم إنك خلقتني ورزقتني وسترتني عن العباد بلطف ما حولتني وأغنيتني ، وإذا هويت رددتني ، وإذا عثرت قومتي وإذا مرضت شفيتني ، وإذا دعوت أجبتني . يا سيدي إرض عني فقد أرضيتني » .

## ٩ . محاولات هارون الإستخفاف بالإمام عليه السلام وإهانته

« قال علي بن يقطين قال : استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن عليه السلام ويخجله في المجلس ، فانتدب له رجل مُعَزَّم ، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً ( سحراً ) على الخبز ، فكان كلما رام خادم أبي الحسن تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه ! واستفز هارون الفرح والضحك لذلك ، فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور فقال له : يا أسد الله خذ عدو الله ! قال فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترس ذلك المعزم ! فخرَّ

هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم ، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه ! فلما أفاقوا من ذلك بعد حين ، قال هارون لأبي الحسن : أسألك بحقي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل . فقال : إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من جبال القوم وعصيتهم فإن هذه الصورة تردُّ ما ابتلعته من هذا الرجل . فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاقة نفسه ! ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤١٧ ) .

أقول : في العبارة الأخيرة خلل ، وروتها بعض المصادر بلفظ : أعمل الأشياء في إماتة نفسه ( الحقائق : ١٨ / ١٨٠ ) ، أي أن هذه المعجزة كانت السبب في قرار هارون بقتل الإمام عليه السلام . وكلا المعنيين غير مقنع !

قال المحقق البحراني رحمته الله في الحقائق الناضرة : ١٨ / ١٨٠ : « ونحو ذلك روى في كتاب الخرائج والجرائح عن الإمام الهادي عليه السلام مع المتوكل . وفي كتاب الثاقب في المناقب عن الصادق عليه السلام مع المنصور .

ثم قال رحمته الله في هامشه : وملخص الأول : أنه وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل فأمره أن يخجل الإمام الهادي عليه السلام وأحضر على المائدة خبزاً رفاقاً فكان كلما مد الإمام يده إلى قرص من ذلك الخبز طيرها ذلك المشعبذ ، فتضاحك الناس ، وكان على مستورة صورة أسد ، فضرب الإمام عليه السلام يده على تلك الصورة وقال : خذه . فوثبت تلك الصورة من المستورة فابتلعت الرجل ، وعادت في المستورة كما كانت ، فتحير الجميع ونهض الإمام ! فقال المتوكل : سألتك بالله إلا جلست ورددته فقال : والله لا يرى بعدها ، أتسلط أعداء الله على أولياء الله ، وخرج من عندهم فلم ير الرجل بعدها .

( مدينة المعاجز / ٥٤٨ حديث ٥٢ ) .

وملخص الخبر الثاني : أن المنصور وجهه إلى سبعين رجلاً من أهل بابل ، فدعاهم وقال : إنكم ورثتم السحر من آبائكم من أيام موسى بن عمران ، وإنكم لتفرقون بين المرء وزوجه ، وأن أبا عبد الله جعفر بن محمد كاهن ساحر مثلكم ، فاعملوا شيئاً من السحر فإنكم إن أبهتموه أعطيتكم الجائزة العظيمة ! فقاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور فصوروا سبعين صورة من السباع ، وجلس كل واحد منهم جنب صاحبه ، وجلس المنصور على سرير ملكه ووضع التاج على رأسه وقال لحاجبه إبعث إلى أبي عبد الله وأحضره الساعة ، قال : فلما أحضره دخل عليه ، فلما نظر إلى ما قد استعد له غضب عليه السلام فقال : يا ويلكم أتعرفوني ، أنا حجة الله الذي أبطل سحر آبائكم في أيام موسى بن عمران ، ثم نادى برفيع صوته : أيتها الصور الممثلة ، ليأخذ كل واحد منكم صاحبه بإذن الله تعالى ، فوثب كل سبع إلى صاحبه وافترسه وابتلعه في مكانه ، ووقع المنصور مغشياً عليه من سريره ! فلما أفاق قال : الله الله يا أبا عبد الله ، أقلني ، فإني تبت توبة لا أعود إلى مثلها أبداً ! فقال عليه السلام : قد عفوتك . ثم قال : يا سيدي قل السباع أن تردهم إلى ما كانوا ، فقال : هيهات هيهات ، إن أعادت عصي موسى سحرة فرعون فستعيد هذه السباع هذه السحرة . ( مدينة المعاجز / ٣٦٢ حديث : ٢٣ ) . انتهى .

« وفي رواية أن الرشيد أمر حميد بن مهران الحاجب بالإستخفاف به عليه السلام فقال له إن القوم قد افتتنوا بك بلا حجة ، فأريد أن يأكلني هذان الأسدان المصوران على هذا المسند ! فأشار عليه السلام إليهما وقال : خذا عدو الله ، فأخذه وأكلاه ! ثم قال : وما الأمر ، أنأخذ الرشيد ؟ قال : لا ، عودا إلى مكانكما » ! ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤١٧ ) .

\* \*

## تصورات هارون لخطر الإمام الكاظم عليه السلام

### ١ . الخطر الأكبر برأي هارون علي ملكه !

كان هارون يحكم أكبر دولة وأقوى دولة في عصره ، فقد شملت الدولة الإسلامية يومها بلاد المشرق ، من حدود الصين وروسيا الى العراق والجزيرة واليمن وإفريقيا ، والى سوريا وفلسطين ومصر وبلاد المغرب .

ولم تخرج عنها إلا تركيا التي كانت دولة روما الشرقية ، وعاصمتها القسطنطينية التي سميت بعد ذلك إستانبول .

وكانت الدول المعاصرة لها : مملكة الروم الشرقية ، وممالك الروم الغربية ، ومملكة الهند ، والصين ، وروسيا ، وممالك متفرقة في مناطق من العالم ، ولكن أياً منها لم تكن بقوة الدولة الإسلامية ، ولا بتنوعها وسعتها .

ولم يزر هارون عواصم مناطق مملكته ، بل اقتصر على بغداد والبصرة في العراق والرقعة في سوريا ، ومكة والمدينة في الحجاز ، والري وطوس في إيران .

وكان يقول كما روى عنه عمر بن عباد المهلبي : « الدنيا أربعة منازل ، قد نزلت ثلاثة منها : أحدها الرقة والآخر دمشق والآخر الري في وسطه نهر وعن جنبتيه أشجار ملتفة متصلة وفيما بينها سوق . قال : والمنزل الرابع سمرقند ، وهو الذي

بقي عليّ لم أنزله ، وأرجو أن لا يحول الحول في هذا الوقت حتى أحلّ به . فما كان بين هذا وبين أن توفي إلا أربعة أشهر فقط . ( تاريخ دمشق : ٢ / ٣٩١ ) .

ومع أن أدوات الدنيا وزخارفها كانت بيد هارون ، لكن مشكلاته كانت كثيرة فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « صاحب السلطان كراكب الأسد ، يُغبط بموقعه ، وهو أعلم بموضعه » . ( نهج البلاغة : ٤ / ٦٣ ) !

وتبدأ مشكلات هارون من قصره وزوجاته وأولاده ، الى وزرائه ، الى عماله ولاية البلاد ، الى الثائرين عليه في عدة مناطق ، وكان بعضهم أخطر عليه من الروم الذين ضعفت دولتهم وانحصرت رقعتها في قسم من تركيا ، وكانوا يحتاجون في بقائهم الى مساعدة روم أوروبا .

لكن أكبر خطر برأي هارون عليه ، هو أبناء علي عليه السلام الذين يعترف لخاصته بأن منهم الأئمة الريانيين ، الذين هم أحق من بني العباس بمنصب الخلافة !

قال ابنه المأمون ، يصف رأي أبيه في الإمام الكاظم عليه السلام : « وكنت أجراً ولد أبي عليه فلما خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد أعظمته وأجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته ، وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟! قال : هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده ! فقلت : يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لك وفيك ؟ فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ! والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله (ص) مني ومن الخلق جميعاً ! والله لو نازعني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك ، فإن الملك عقيم » ! ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨٤ ) .



## ٢ . هارون يعتقد أن التعايش مع الإمام عليه السلام غير ممكن !

يتساءل الإنسان : ما دام الإمام الكاظم عليه السلام يزور هارون ويحترمه ويخاطبه بأمر المؤمنين ، ولا يريد الخروج عليه ، فماذا يريد هارون منه ، ولماذا لا يتعايش معه ، ولماذا يعمل على قتله ؟!

وهذا سؤال لكل الخلفاء العباسيين والأمويين الذين يعتقدون بالأئمة عليهم السلام ، كما يعتقد هارون بالإمام الكاظم عليه السلام ؟!

وكان جوابهم أنه يستحيل التعايش مع الإمام المعصوم عليه السلام لسببين : قوة تأثيره على المسلمين ، والخوف من أن يتغير رأيه بعدم الثورة عليهم في المستقبل !

فقد قال هارون لابنه المأمون : « أسكت لا أم لك ! فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنت أنه يضرب وجهي غداً بمائه ألف سيف من شيعته ومواليه ! فقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم » . ( الإحتجاج : ٢ / ١٦٥ ) .

ولما رأى معجزات الإمام عليه السلام قال لوزيره البرمكي : « أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب ! ألا تدبر في أمر هذا الرجل تديراً يريحنا من غمه » ! ( الغيبة للطوسي / ٢٤ ) .

ولما سمع قوة حجة هشام بن الحكم ، تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام ، قال : « مثل هذا حيٌّ ويبقى لي ملكي ساعة واحدة ؟! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف » ! ( كمال الدين / ٣٦٢ ) .

هكذا كان يفكر هارون وقبله خلفاء بني العباس وأموية ، ولا يجب أن يكون تفكيرهم صحيحاً ، لكنه هو الذي حكم مجرى التاريخ !

### ٣ . هارون يحضر مناظرات تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام !

كان هشام بن الحكم عليه السلام من تلاميذ الإمام الصادق ثم الإمام الكاظم عليه السلام ، ونبغ في المناظرة واشتهر في بغداد ، وكان علماء الأديان والمذاهب يحترمونه ويهابونه .

وقد حرص يحيى البرمكي رئيس وزراء هارون ، على عقد مجالس مناظرة في قصر الخلافة وأظهر أنه يتبنى هشام بن الحكم ، وكان يدعو علماء اليهود والنصارى والمجوس والدهريين الملحدين وأئمة المذاهب لمناظرته ، وطلب منه هارون أن يكون خلف الستار فيسمع مناظرتهم ! وكان هدفه أن يسمع من هشام عقيدته بإمامة الكاظم عليه السلام !

روى الطوسي في رجاله : ٢ / ٥٣٠ : « عن يونس بن عبد الرحمن قال : كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة ، وأحب أن يغري به هارون ويضربه على القتل ! قال : وكان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه وذلك أن هشاماً تكلم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبي صلى الله عليه وآله فنقل إلى هارون فأعجبه ، وقد كان قبل ذلك يحيى يشرف أمره عند هارون ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من أذاه ، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ما غير قلب يحيى على هشام فشيعة عنده ، وقال له : يا أمير المؤمنين إني قد استبطنت أمر هشام فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة ، قال : سبحان الله ! قال : نعم ، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج ، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الإلباد بالأرض ! فقال هارون ليحيى : فاجمع عندك المتكلمين وأكون

أنا من وراء الستر بيني وبينهم لا يفطنون بي ، ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتي بأصله لهيأتي .

قال : فوجه يحيى فشحن المجلس من المتكلمين ، وكان فيهم ضرار بن عمرو ، وسليمان بن جرير ، وعبد الله بن يزيد الأباضي ، وموبدان موبذ ، ورأس الجالوت ، قال فتساءلوا وتكافوا وتناظروا ، وتناهوا إلى شاذ من مشاذ الكلام كل يقول لصاحبه لم تحب ويقول قد أجبت ، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام إذ لم يعلم بذلك المجلس ، واغتنم ذلك لعله كان أصابها هشام بن الحكم ، فلما أن تناهوا إلى هذا الموضوع قال لهم يحيى بن خالد : ترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا : قد رضينا أيها الوزير فأنى لنا به وهو عليل؟ قال يحيى : فأنا أوجه إليه فأسأله أن يتجشم المجيء ، فوجه إليه فأخبره بحضورهم وأنه إنما منعه أن يحضره أول المجلس اتقاء عليه من العلة ، فإن القوم قد اختلفوا في المسائل والأجوبة ، وتراضوا بك حكماً بينهم ، فإن رأيت أن تفضل وتحمل على نفسك فافعل ! فلما صار الرسول إلى هشام قال لي : يا يونس قلبي ينكر هذا القول ، ولست آمن أن يكون هاهنا أمر لا أقف عليه ، لأن هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغير عليّ لأمر شتى ، وقد كنت عزمته إن من الله عليّ بالخروج من هذه العلة ، أن أشخص إلى الكوفة وأحرّم الكلام بتةً وألزم المسجد ، ليقطع عني مشاهدة هذا الملعون ، يعني يحيى بن خالد ! قال فقلت : جعلت فداك لا يكون إلا خيراً ، فتحرز ما أمكنك ، فقال لي : يا يونس أتري أتحرز من أمر يريد الله إظهاره على لساني أن يكون ذلك ،

ولكن قم بنا على حول الله وقوته ، فركب هشام بغلاً كان مع رسوله ، وركبت أنا حمراً كان لهشام ، قال : فدخلنا المجلس فإذا هو مشحون بالمتكلمين .

قال : فمضى هشام نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم وجلس قريباً منه ، وجلست أنا حيث انتهى بي المجلس ، قال : فأقبل يحيى على هشام بعد ساعة فقال : إن القوم حضروا وكننا مع حضورهم نحب أن نحضر ، لا لأن تناظر بل لأن نأنس بحضورك إذ كانت العلة تقطعك عن المناظرة ، وأنت بحمد الله صالح ليست علتك بقاطعة عن المناظرة ، وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم . قال : فقال هشام للقوم : ما الموضوع الذي تناهيتم به في المناظرة؟ فأخبره كل فريق منهم بموضع مقطعه ، فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض ، فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير فحقدتها على هشام ! قال : ثم إن يحيى بن خالد قال لهشام : إننا قد غرضنا من المناظرة والمجادلة منذ اليوم ، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس لإمام ، وأن الإمامة في آل الرسول دون غيرهم؟

قال هشام : أيها الوزير العلة تقطعني عن ذلك ، ولعل معترضاً يعترض فيكتسب المناظر الخصومة ! فقال : إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له ، بل عليه أن يتحفظ المواضيع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك ، ولا يقطع عليك كلامك .

فبدأ هشام وساق الذكر لذلك وأطال واختصرنا منه موضع الحاجة ، فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في فساد اختيار الناس للإمام ، قال يحيى لسليمان بن جرير : سل أبا محمد عن شيء من هذا الباب ، فقال سليمان لهشام : أخبرني عن علي

بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام : نعم ، قال : فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام : لا يأمرني . قال : ولم إذا كانت طاعته مفروضه عليك وعليك أن تطيعه؟ قال هشام : عد عن هذا فقد تبين فيه الجواب . قال سليمان : فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟

فقال هشام : ويحك لم أقل لك أني لا أطيعه فتقول إن طاعته مفروضة ، إنما قلت لك لا يأمرني ! قال سليمان : ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل ، ليس على الواجب أنه لا يأمرك . فقال هشام : كم تحول حول الحمى ، هل هو إلا أن أقول لك إن أمري فعلت فتنقطع أفبح الانقطاع ، ولا يكون عندك زيادة ، وأنا أعلم بما تحت قولي وما إليه يؤول جوابي ! قال : فتمعر هارون ، وقال : قد أفصح !

وقام الناس ، واغتمها هشام فخرج على وجهه إلى المدائن ! قال : فبلغنا أن هارون قال ليحيى : شُدَّ يدك بهذا وأصحابه !

وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه ، فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الأسباب ، وإنما أراد يحيى أن يهرب هشام فيموت محتفياً ما دام لهارون سلطان !

قال : ثم صار هشام إلى الكوفة وهو بعقب علقته ومات في دار ابن شرف بالكوفة عليه السلام ! قال : فبلغ هذا المجلس محمد بن سليمان النوفلي وابن ميثم ، وهما في حبس هارون ، فقال النوفلي : ترى هشاماً ما استطاع أن يعتل ... الخ . » .

ورواه الصدوق عليه السلام في كمال الدين / ٣٦٢ ، بتفصيل ، وذكر فيه لزوم اختيار الإمام من النبي بأمر الله تعالى ، وذكر صفات الإمام ، وجاء فيه : « فعند ذلك قال ضرار : فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟ فقال : صاحب القصر أمير المؤمنين ! وكان

هارون الرشيد قد سمع الكلام كله فقال عند ذلك : أعطانا والله من جراب النورة ! ( أي أتقانا وتكلم بدون مستند ) ويحك يا جعفر ، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في الستر : من يعني بهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين يعني به موسى بن جعفر ! قال : ما عني بها غير أهلها ! ثم عض على شفثيه وقال : مثل هذا حيّ ويبقى لي ملكي ساعة واحدة؟! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف !

وعلم يحيى أن هشاماً قد أُتيَ ( أي قرر هارون قتله ) فدخل الستر فقال : يا عباسي ويحك من هذا الرجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين حسبك ، تكفى تكفى ! ( أي أنا أقتله ) .

ثم خرج إلى هشام فغمزه ، فعلم هشام أنه قد أُتيَ ، فقام يريهم أنه يبول أو يقضي حاجة ، فلبس نعليه وانسل ، ومرَّ ببيته وأمرهم بالتواري ، وهرب ومرَّ من فوره نحو الكوفة ، فوافى الكوفة ونزل على بشير النبال ، وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام فأخبره الخبر ، ثم اعتل علة شديدة فقال له بشير : آتيك بطيب ؟ قال : لا أنا ميت فلما حضره الموت قال لبشير : إذا فرغت من جهازي فاحملي في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة وقل : هذا هشام بن الحكم الذي يطلبه أمير المؤمنين ، مات حتف أنفه ! وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به ، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه ، وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة ، وكتب إلى الرشيد بذلك فقال : الحمد لله الذي كفانا أمره فخلّى عمن كان أخذ به « !

#### ملاحظات :

١ - بلغ من اهتمام هارون بعقيدة الإمامة ، أنه أمر وزيره بعقد مجالس مناظرة في قصره ، وغرضه أن يسمع كلمة يستحل بها دم هشام ودم الإمام الكاظم عليه السلام !

٢ - يرى هارون أن مجرد اعتقاد أحد بوجود إمام غيره فرض الله طاعته ، يجلل له دم القائل به ، حتى لو يقيم بأي عمل ضده !

لذا حركه وزيره البرمكي ضد هشام بقوله : « يا أمير المؤمنين إني قد استبطنت أمر هشام فإذا هو يزعم أن الله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة ، قال : سبحان الله ! قال : نعم ، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج ! »

ولو كان هارون عقلاً نياً لقال لوزيره : فليزعم هشام أن موسى بن جعفر إمام من الله ، فلا شغل لنا به ما دام لم يخرج علينا !

٣ - حاول بعض الرواة أن يبرئ يحيى البرمكي من التحريض على هشام عليه السلام أو على الإمام الكاظم عليه السلام ، لكن الصحيح أنه قام بذلك للإيقاع بالإمام وشيعته ، خاصة بوزيره جعفر بن الأشعث ، الذي جعل هارون ولده وولي عهده الأمين في حجره ، وقد نصت على ذلك مصادرنا .

٤ - مما يدل على التأثير القوي لمناظرات هشام ، وحساسية الخلافة منها ، أن الإمام الكاظم عليه السلام أمر هشام بن الحكم في زمن المهدي والد هارون ، بأن يمتنع عن المناظرة لخطورة الظرف ! « عن يونس قال : قلت لهشام : إنهم يزعمون أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليك عبد الرحمن بن الحجاج يأمرك أن تسكت ولا تتكلم ، فأبيت أن تقبل رسالته فأخبرني كيف كان سبب هذا ، وهل أرسل إليك ينهاك عن الكلام أو لا ، وهل تكلمت بعد نهيته إياك ؟ فقال هشام : إنه لما كان أيام المهدي شدد علي أصحاب الأهواء ، وكتب له ابن المفضل صنوف الفرق صنفاً صنفاً ، ثم قرأ الكتاب على الناس فقال يونس : قد سمعت الكتاب يقرأ على

الناس على باب الذهب بالمدينة ، ومرة أخرى بمدينة الواضح فقال : إن ابن المفضل صنّف لهم صنوف الفرق فرقة فرقة حتى قال في كتابه : وفرقة يقال لهم الزرارية ، وفرقة يقال لهم العمارية أصحاب عمار الساباطي ، وفرقة يقال لهم اليعفورية ، ومنهم فرقة أصحاب سليمان الأقطع ، وفرقة يقال له الجواليقية .

قال يونس : ولم يذكر يومئذ هشام بن الحكم ولا أصحابه ، فزعم هشام ليونس أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليه فقال له : كفّ هذه الأيام عن الكلام ، فإن الأمر شديد ! قال هشام : فكففت عن الكلام حتى مات المهدي وسكن الأمر ، فهذا الأمر الذي كان من أمره وانتهائي إلى قوله « . ( معجم السيد الخوئي : ٢٠ / ٣٠٥ ) .

٥ - اشتهر حديث الإمام الكاظم عليه السلام مع هشام حول مكانة العقل وقيمة الشخصية العقلانية . كما رويت لهشام مناظرات كثيرة مهمة ، ومن نماذجها :

« دخل ضرار بن عمرو الضبي على يحيى بن خالد البرمكي فقال له : يا أبا عمرو هل لك في مناظرة رجل هو ركن الشيعة ؟ فقال ضرار : هلم من شئت ، فبعث إلى هشام بن الحكم فأحضره فقال له : يا أبا محمد هذا ضرار وهو من قد علمت في الكلام والخلاف لك ، فكلمه في الإمامة ، فقال له : نعم ، ثم أقبل على ضرار ، فقال : يا أبا عمرو خبرني على ما تجب الولاية والبراءة أعلى الظاهر أم على الباطن ؟ فقال ضرار : بل على الظاهر فإن الباطن لا يدرك إلا بالوحي .

قال هشام : صدقت ، فأخبرني الآن أي الرجلين كان أذنب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف وأقتل لأعداء الله بين يديه ، وأكثر آثاراً في الجهاد ، أعلي بن أبي طالب أو أبو بكر ؟ فقال : بل علي بن أبي طالب ، ولكن أبا بكر كان أشد يقيناً !



فقال هشام : هذا هو الباطن الذي قد تركنا الكلام فيه ، وقد اعترفت لعلي عليه السلام بظاهر عمله من الولاية وأنه يستحق بها من الولاية ما لم يجب لأبي بكر !

فقال ضرار : هذا هو الظاهر نعم . ثم قال له هشام : أفليس إذا كان الباطن مع الظاهر فهو الفضل الذي لا يدفع ؟ فقال له ضرار : بلى ، فقال له هشام : ألسنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ قال ضرار : نعم . قال هشام : أفيجوز أن يقول له هذا القول إلا وهو عنده في الباطن مؤمن ؟ قال : لا . قال هشام : فقد صح لعلي عليه السلام ظاهره وباطنه ولم يصح لصاحبك لا ظاهر ولا باطن ، والحمد لله . ( الفصول المختارة / ٢٨ ) .

٦ - يقصد بكلام هشام في العباس الذي أعجب هارون ، ما رواه الشريف المرتضى في الفصول المختارة / ٤٩ ، قال : « أخبرني الشيخ أدام الله عزه قال : سأل يحيى بن خالد البرمكي بحضرة هارون هشام بن الحكم عليه السلام فقال له : أخبرني يا هشام عن الحق هل يكون في جهتين مختلفتين ؟ قال هشام : لا ، قال فخبرني عن نفسيين اختصما في حكم في الدين وتنازعا واختلفا ، هل يخلوان من أن يكونا محقين أو مبطلين ، أو يكون أحدهما مبطلاً والآخر محقاً ؟ فقال له هشام : لا يخلوان من ذلك وليس يجوز أن يكونا محقين على ما قدمت من الجواب . قال له يحيى بن خالد : فخبرني عن علي والعباس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيهما كان المحق من المبطل ، إذ كنت لا تقول إنهما كانا محقين ولا مبطلين ؟

قال هشام : فنظرت فإذا إنني إن قلت بأن علياً عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مذهبي ، وإن قلت إن العباس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي ! ووردت

علي مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت ، ولا أعددت لها جواباً ، فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام وهو يقول لي : يا هشام لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، فعلمت أني لا أخذل وعنَّ لي الجواب في الحال ، فقلت له : لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقين ، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود عليه السلام حيث يقول الله جل اسمه : **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ..** فأَي الملكين كان مخطئاً وأيهمما كان مصيباً ، أم تقول إنهما كانا مخطئين ، فجوابك في ذلك جوابي بعينه ! فقال يحيى : لست أقول إن الملكين أخطأ بل أقول إنهما أصابا وذلك أنهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم ، وإنما أظهرنا ذلك لينبها داود عليه السلام على الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه ! قال فقلت له : كذلك علي والعباس لم يختلفا في الحكم ولا اختلفا في الحقيقة ، وإنما أظهرنا الإختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على غلظه ويوقفاه على خطئه ويدلاه على ظلمه لهما في الميراث ، ولم يكونا في ريب من أمرهما وإنما كان ذلك منهما على حد ما كان من الملكين ! فلم يجر جواباً ، واستحسن ذلك الرشيد .

#### ٤ . محاولات هارون قتل الإمام الكاظم عليه السلام

تصل محاولات هارون لقتل الإمام الكاظم عليه السلام الى عشر مرات ، وفي كل مرة كانت تظهر له كرامات الإمام عليه السلام وآياته فيتراجع ، لكنه كان يعود ويكرر محاولته !  
وقد مرَّ بعضها في الموضوعات المتقدمة ، وهذا عدد آخر :

١ - قال الفضل بن الربيع : « كنت أحجب الرشيد فأقبل عليّ يوماً غضباناً ويده سيف يقبله فقال لي : يا فضل بقرايتي من رسول الله لئن لم تأتني بابن عمي الآن لآخذن الذي فيه عيناك ! فقلت : بمن أجبرك؟ فقال : بهذا الحجازي ! فقلت : وأي حجازي؟ قال : موسى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .. الى أن قال : فقلت له : استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم فقال عليه السلام : أليس معي من يملك الدنيا والآخرة ! لن يقدر اليوم على سوء بي إن شاء الله تعالى ! قال فضل بن الربيع فرأيته وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها على رأسه ثلاث مرات ، فدخلت على الرشيد فإذا هو كأنه امرأة ثكلى ... فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له : مرحباً بابن عمي وأخي ... ثم أكرمه ، وذكر الدعاء الذي دعا به عليه السلام . »

٢ - « ومن ذلك الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وآله لموسى بن جعفر عليه السلام في السجن بإسناد صحيح عن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : دعاني هارون الرشيد فقال : يا أبا عبد الله كيف أنت وموضع السر منك؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ما أنا الا عبد من عبيدك ، فقال : إمض إلى تلك الحجرة وخذ من فيها واحتفظ به إلى أن أسئلك عنه ، قال : فدخلت فوجدت موسى بن جعفر فلما رأني سلمت عليه وحملته على دابتي إلى منزلي ، فأدخلته داري وجعلته على حرمي ، وقللت عليه

والمفتاح معي وكنت أتولى خدمته . ومضت الأيام ، فلم أشعر إلا برسول الرشيد يقول : أحب أمير المؤمنين فنهضت ودخلت عليه ، وهو جالس وعن يمينه فراش وعن يساره فراش فسلمت عليه فلم يرد غير أنه قال : ما فعلت بالوديعة ؟ فكأني لم أفهم ما قال فقال : ما فعل صاحبك ؟ فقلت : صالح ، فقال : إمض إليه وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم واصرفه إلى منزله وأهله ، فقممت وهممت بالإنصراف فقال : أتدري ما السبب في ذلك وما هو ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين قال : نمت على الفراش الذي عن يميني ، فرأيت في منامي قائلاً يقول لي : يا هارون أطلق موسى بن جعفر ، فانتبهت فقلت لعلها لما في نفسي منه ، فقممت إلى هذا الفراش الآخر فرأيت ذلك الشخص بعينه وهو يقول : يا هارون أمرتك أن تطلق موسى بن جعفر فلم تفعل ؟ فانتبهت وتعوذت من الشيطان ثم قممت إلى هذا الفراش الذي أنا عليه وإذا بذلك الشخص بعينه ، ويده حربة كأن أولها بالمشرق وآخرها بالمغرب ، وقد أوماً إلي وهو يقول : والله يا هارون لئن لم تطلق موسى بن جعفر لأضعن هذه الحربة في صدرك وأطلعها من ظهرك ، فأرسلت إليك فامض فيما أمرتك به ولا تظهريه إلى أحد فأقتلك فانظر لنفسك ! قال : فرجعت إلى منزلي وفتحت الحجرة ودخلت على موسى بن جعفر فوجدته قد نام في سجوده فجلست حتى استيقظ ورفع رأسه ، وقال : يا أبا عبد الله إفعل ما أمرت به ، فقلت له : يا مولاي سألتك بالله وبحق جدك رسول الله هل دعوت الله عز وجل في يومك هذا بالفرج ؟ فقال : أجل إني صليت المفروضة وسجدت وغفوت في سجودي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا موسى أتحب أن تطلق ؟ فقلت : نعم يا

رسول الله صلى الله عليك ، فقال : ادع بهذا الدعاء : يا سايع النعم ، يا دافع النقم يا بارئ النسم ، يا مجلي الهمم ، يا مغشي الظلم ، يا كاشف الضر والألم ، يا ذا الجود والكرم ، يا سامع كل صوت ، وما مدرك كل فوت ، ويا محيي العظام وهي رميم ، ومنشئها بعد الموت ، صل على محمد وآل محمد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً يا ذا الجلال والإكرام . فلقد دعوت به ورسول الله يلقنيه حتى سمعتك . فقلت : قد استجاب الله فيك ، ثم قلت له ما أمرني به الرشيد وأعطيته ذلك » . ( بحار الأنوار : ٩١ / ٣٣١ ، عن مهج الدعوات ) .

٣ - قال علي بن يقطين : « كنت واقفاً على رأس هارون الرشيد إذ دعا موسى بن جعفر عليه السلام وهو يتلظى عليه ! فلما دخل حرك شفتيه بشيء فأقبل هارون عليه ولاطفه وبره وأذن له في الرجوع ! فقلت له : يا ابن رسول الله جعلني الله فداك ، إنك دخلت على هارون وهو يتلظى عليك فلم أشك إلا أنه يأمر بقتلك فسلمك الله منه ! فما الذي كنت تحرك به شفتيك ؟ فقال عليه السلام : إني دعوت بدعائين أحدهما خاص والآخر عام فصرف الله شره عني ، فقلت : ما هما يا ابن رسول الله ؟ فقال : أما الخاص : اللهم إنك حفظت الغلامين لصلاح أبويهما فاحفظني لصلاح آبائي ، وأما العام : اللهم إنك تكفي من كل أحد ولا يكفي منك أحد ، فاكفنيه بما شئت وكيف شئت أني شئت ، فكفاني الله شره » . ( البحار : ٩١ / ٣٣٩ ، ومهج الدعوات / ٣٦ ) .

٤ - « لما همَّ هارون الرشيد بقتل موسى بن جعفر عليه السلام دعا الفضل بن الربيع وقال له : قد وقعت لي إليك حاجة أسألك أن تقضيها ولك مائة ألف درهم قال : فخرَّ الفضل عند ذلك ساجداً وقال : أمر أم مسألة ؟ قال : بل مسألة ، ثم قال :

أمرت بأن تحمل إلى دارك في هذه الساعة مائة ألف درهم ، وأسألك أن تصير إلى دار موسى بن جعفر وتأتيني برأسه ! قال الفضل : فذهبت إلى ذلك البيت فرأيت فيه موسى بن جعفر وهو قائم يصلي فجلست حتى قضى صلاته ، وأقبل إلي وتبسم وقال : عرفت لماذا حضرت أمهلني حتى أصلي ركعتين . قال : فأمهلته فقام وتوضأ فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين وأتم الصلاة بحسن ركوعها وسجودها ، وقرأ خلف صلاته بهذا الحرز فاندرس وساخ في مكانه ! فلا أدري أأرض ابتلغته أم السماء اختطفته ! فذهبت إلى هارون وقصصت عليه القصة قال فبكى هارون ثم قال : قد أجاره الله مني « ( البحار : ٩١ / ٣٣٢ ، عن مهج الدعوات ) .

٥ - « لما أمر هارون موسى بن جعفر عليه السلام أن يحمل إليه أدخل عليه وعلي بن يقطين على رأسه متوكئ على سيفه ، فجعل يلاحظ موسى عليه السلام ليأمره فيضرب به هارون ففطن له هارون فقال : قد رأيت ذلك ! فقال : يا أمير المؤمنين سللت من سفي شبراً رجاء أن تأمرني فيه بأمرك ! فنجا منه بهذه المقالة » . ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٢٣ ) .

٦ - « وروي أن الرشيد فكر في قتل موسى عليه السلام فدعا برطب فأكل منه ، ثم أخذ صينية فوضع فيها عشرين رطبة وأخذ سلكاً فتركه في السم ، وأدخله في الخياط وأخذ رطبة من ذلك الرطب وأقبل يردد السلك المسموم بذلك الخيط من رأس الرطبة إلى آخرها ، حتى علم أن السم قد تمكن فيها . واستكثر منه ثم ردها في الرطب وقال لخادم له : إحمل هذه الصينية إلى موسى وقل له : إن أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب وتنغص لك ( اختار ) وهو يقسم عليك بحقه إلا ما أكلته عن آخره فإني اخترتها لك بيدي ، ولا تتركه حتى لا يبقى منه شيئاً ، ولا يطعم منه أحداً ،

فأتاه بها الخادم وأبلغه الرسالة فقال له : إئتني بخلاصة فناوله خلالها ، وقام بإزائه وهو يأكل الرطب ، وكان للرشيد كلبة أعز عليه من كل ما كان في مملكته ، فجرت نفسها وخرجت بسلاسل ذهب وفضة كانت في عنقها حتى حاذت موسى بن جعفر عليه السلام ، فبادر بالخلالة إلى الرطبة المسمومة فغرزها ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها ، فلم تلبث الكلبة أن ضربت بنفسها الأرض وعوت حتى تقطعت قطعاً قطعاً ، واستوفى عليه السلام باقي الرطب !

وحمل الغلام الصينية إلى الرشيد فقال له : أكل الرطب عن آخره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فكيف رأيته ؟ قال : ما أنكرت منه شيئاً يا أمير المؤمنين !

قال : ثم ورد خبر الكلبة وأنها قد تهرأت وماتت ، فقلق الرشيد لذلك قلقاً شديداً واستعظمه ، ومر على الكلبة فوجدها متهرئة بالسم ، فدعا الخادم ودعا بالسيف والنطع ، قال لتصدقني عن خبر الرطب وإلا قتلتك ! فقال : يا أمير المؤمنين إني حملت الرطب إليه وأبلغته رسالتك وقمت بإزائه فطلب خلاله فدفعت إليه خلاله ، فأقبل يغرز الرطبة بعد الرطبة يأكلها ، حتى مرت به الكلبة فغرز رطبة من ذلك الرطب ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها وأكل باقي الرطب فكان ما ترى ! فقال الرشيد : ما ربحنا من موسى إلا أنا أطعمناه جيد الرطب وضيعنا سُمَّنا وقتلنا كلبتنا ! ( دلائل الإمامة للطبري / ٣١٦ ، والهداية الكبرى / ٢٦٤ ) .

٧ - « قال إبراهيم بن سعد : أدخل إلى موسى بن جعفر عليه السلام سباع لتأكله فجعلت تلوذ به وتبصبص له وتدعو له بالإمامة ، وتعوذ به من شر الرشيد ، فلما بلغ ذلك الرشيد أطلق عنه وقال : أخاف أن يفتني ويفتن الناس ومن معي ! »

٨ - « عن الأعمش قال : رأيت الكاظم عليه السلام عند الرشيد وقد خضع له فقال له عيسى بن أبان : يا أمير المؤمنين لم تخضع له ؟ قال : رأيت من ورائه أفعى تضرب بناجها وتقول : أجبه بالطاعة وإلا بلعتك ففرغت منها » . ( نوار المعجزات / ١٦٣ ) .

٩ - « كان يتقدم الرشيد إلى خدمه إذا خرج موسى بن جعفر من عنده أن يقتلوه فكانوا يهتمون به فيتداخلهم من الهيبة والزمع ! فلما طال ذلك أمر بتمثال من خشب وجعل له وجهاً مثل موسى بن جعفر وكانوا إذا سكروا أمرهم أن يذبجوه بالسكاكين ، فكانوا يفعلون ذلك أبداً ، فلما كان في بعض الأيام جمعهم في الموضوع وهم سكارى ، وأخرج سيدي إليهم فلما بصروا به هموا به على رسم الصورة ، فلما علم منهم ما يريدون كلمهم بالخزيرة والتركية ، فرموا من أيديهم السكاكين ووثبوا إلى قدميه فقبلوها .. » ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤١٨ ) .

\* \*



## إصرار هارون على قتل الإمام الكاظم عليه السلام

### ١ . حبسه في البصرة سنة ثم نقله الى بغداد

حبسه في البصرة عند واليه عيسى بن أبي جعفر بن المنصور سنة « ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني وسلمه إلى من شئت وإلا خَلَيْتُ سبيله ، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة ، فما أقدر على ذلك حتى أتي لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو عليّ أو عليك ، فما أسمعته يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة . فوجه من تسلمه منه » . ( غيبة الطوسي / ٢٣ ) .

وفي روضة الواعظين / ٢١٩ : « وكتب الرشيد في دمه ، فاستدعى عيسى بن جعفر المنصور بعض خاصته وثقاته ، فاستشارهم فيما كتب به الرشيد ، فأشاروا عليه بالتوقف عن ذلك والإستعفاء منه . وكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول له : قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي ، وقد اختبرت حاله ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه ، فما دعا عليك ولا عليّ وما ذكرنا بسوء ، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة ، وإن أنفذت إلى من يتسلمه مني وإلا خليت سبيله فإنني متحرج من حبسه ! »

« فحبسه عنده سنة ثم كتب إليه الرشيد في دمه فاستعفى عيسى منه ، فوجه الرشيد من تسلمه منه ، وصيره إلى بغداد وسُلم إلى الفضل بن الربيع ، وبقي عنده مدة طويلة ، ثم أراده الرشيد على شئ من أمره فأبى ! فأمر بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فجعله في بعض دوره ووضع عليه الرصد ، فكان عليه السلام مشغولاً بالعبادة يُحيي الليل كله صلاة وقراءةً للقرآن ، ويصوم النهار في أكثر الأيام ولا يصرف وجهه عن المحراب ، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه ، فبلغ ذلك الرشيد وهو بالرقعة فكتب إليه يأمره بقتله فتوقف عن ذلك ! فاغتاظ الرشيد لذلك وتغير عليه » . ( إعلام الوری : ٢ / ٣٣ ، ومقاتل الطالبين / ٣٣٤ ) .

« وكان تولى حبسه عيسى بن جعفر ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم الفضل بن يحيى البرمكي ، ثم السندي بن شاهك ، وسقاه سمّاً في رطب أو طعام آخر ، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً ، ثم مات في اليوم الثالث ، وكانت وفاته في مسجد هارون الرشيد وهو المعروف بمسجد المسيب ، وهو في الجانب الغربي من باب الكوفة ، لأنه نقل إليه من دار تعرف بدار عمرويه » . ( مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٣٨ ) .

## ٢ . لماذا لم يعاقب هارون عيسى بن جعفر والفضل بن الربيع ؟

فقد رفض عيسى والي البصرة قتل الإمام الكاظم عليه السلام لأنه « تخرج من حبسه » ! وطلب من هارون نقله من عنده وإلا أطلقه ! فقبل هارون ولم يغضب عليه !

وكذلك فعل حاجبه الفضل بن الربيع ، فنقله هارون من عنده ولم يغضب عليه !

بينما غضب على رئيس وزرائه يحيى بن خالد ، لأنه وسع على الإمام عليه السلام في حبسه ، ثم رفض أن يقتله !

والسبب أن والي البصرة عيسى بن جعفر بن المنصور ، أخ زبيدة زوجة هارون ( النهاية : ١٠ / ٢٢٨ ) وخال ولده الأمين ووالد زوجته العباسة ( الوافي : ١٦ / ٣٨٣ ) .

وكان من كبار شخصيات العباسيين ، وكان لفترة والي مكة وأمير الحج ( تاريخ بغداد : ١١ / ١٥٨ ) . وكان عزيزاً عند هارون حتى أنه لما سمن وكثر لحمه ، أرسل له هارون طبيبه وعالجه حتى نقص وزنه ! ( طبقات الأطباء / ٢١٧ ) .

ومن تناقض عيسى بن جعفر ، أنه كان يتأثم من قتل الإمام الكاظم عليه السلام ، لكنه كان يحث هارون على قتل ابنه الإمام الرضا عليه السلام لأنه ادعى الإمامة بعده !

فقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٢٤٦ ، أن عيسى بن جعفر قال لهارون : « حيث توجه من الرقة إلى مكة : أذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب ، فإنك حلفت إن ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضرت عنقه صبراً وهذا علي ابنه يدعي هذا الأمر ، ويقال فيه ما يقال في أبيه ! فنظر إليه مغضباً فقال : وما ترى ، تريد أن أقتلهم كلهم ! قال موسى بن مهران : فلما سمعت ذلك صرت إليه ( الإمام الرضا عليه السلام ) فأخبرته فقال : ما لي ولهم لا يقدرن علي شيء » !

أما وزيره الآخر الفضل بن الربيع ، فأبوه الربيع بن يونس غلامٌ اشتراه جده المنصور ، بإشارة عيسى بن أبان ، لما شكى له المنصور ضعف حجابيه فقال له : « إستخدم قوماً وقاحاً ! قال : ومن هم ؟ قال : إشتري قوماً من اليمامة فإنهم يربون

الملاقيط ( اللقطاء الذين لا آباء لهم ) ! فاشتراهم وجعل حجابهم إليهم ، منهم الربيع الحاجب » . ( فهرست ابن الندم / ٢٨٥ ) .

وفي تاريخ بغداد : ٤١٢ / ٨ ، و٤١٣ : « هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة ، قال واسم أبي فروة كيسان .. ذكروا أنه لم يُرَ في الحجابة أعرق من ربيع وولده ، وكان ربيع حاجب أبي جعفر ومولاه ، ثم صار وزيره ، ثم حجب المهدي ، وهو الذي بايع المهدي وخلع عيسى بن موسى . ومن ولده الفضل ، حجب هارون ومحمداً المخلوع .. ابن عياش كان يطعن في نسب الربيع طعناً قبيحاً ، ويقول للربيع : فيك شبه من المسيح » ! يقصد بلا أب ، فاستلقى المنصور من الضحك !

« كان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وجعفر والفضل ابنه ، صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي ! فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة إليهم سبع عشرة سنة ! ثم كان الفضل يغلب عليه » ( البيهقي : ٤٢٩ / ٢ ) .

فهذا هو الربيع وابنه الفضل ، اللذان حكما الدولة الإسلامية مع الخليفة !

لذا كان هارون يعتبر الفضل ابنه ولا يخاف من تعاطفه مع الإمام الكاظم عليه السلام ، بل يفهم تخوفه من مباشرة قتله على أنه خوف من أن يلحقه ضرر بقتل ولي كتخرج ابن عمه عيسى ، لذا قبل منه ونقل الإمام عليه السلام من عهدته إلى عهدته وزيه الفضل بن يحيى ، وأمره أن يضيق عليه فلم يفعل ، ثم أمره أن يقتله فامتنع ، فغضب عليه ولعنه ، ثم توسط له أبوه يحيى وضمن لهارون أن ينفذ أمره بقتل الإمام عليه السلام ، فرفع عنه اللعن ورضي عنه !

وجاء أبوه يحيى من الرقة الى بغداد على البريد أي الخيل السريعة ، ونفذ أمر

هارون ، ودبر قتل الإمام عليه السلام بالسم !

وفي الغيبة للطوسي / ٢٩ ، ومقاتل الطالبيين / ٣٣٦ : « فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه ، وأراد ذلك منه ( أن يقتله ) فلم يفعل ، وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة ، وهو حينئذ بالرقعة ، فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد ، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى بن جعفر عليه السلام فيعرف خبره ، فإن كان الأمر على ما بلغه ، أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامثاله ، وأوصل كتاباً منه آخر إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس ، فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد ، ثم دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على ما بلغ الرشيد ، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي فأوصل الكتابين إليهما ، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل العباس فدعا بسياط وعقابين ( خشبة يربط بها جلده ) فوجه ذلك إلى السندي وأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مائة سوط ، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل ، فأذهبت نخوته فجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً !

وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك وجلس مجلساً حافلاً ، وقال : أيها الناس إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي ورأيت أن ألعنه فالعنوه ! فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه ! وبلغ يحيى بن خالد فركب إلى الرشيد ودخل من غير الباب الذي يدخل الناس منه حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر ، ثم قال له : التفت إلي يا أمير المؤمنين ! فأصغى إليه فزعاً ، فقال له : إن الفضل حدث وأنا أكفيك ما تريد !

فانطلق وجهه وسُرَّ . فقال له يحيى : يا أمير المؤمنين قد غضضت من الفضل بلعنك إياه فشرفه بإزالة ذلك ، فأقبل على الناس فقال : إن الفضل قد عصاني في شئ فلعنته وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولوه . فقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت وقد توليناه ! ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى أتى بغداد ، فماج الناس وأرجفوا بكل شئ فأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال ، وتشاغل ببعض ذلك ، ودعا السندي فأمره فيه بأمره ، فامتثله !

### ٣ . لماذا غضب هارون على وزيره الفضل بن يحيى ؟

كان هارون يرى أن تعاطف وزيره الفضل بن يحيى مع الإمام الكاظم عليه السلام وامتناعه عن تنفيذ أمره في التضيق عليه ثم بقتله ، أمر خطير ، بل خيانة عظمى للنظام العباسي وشخص الخليفة ! وذلك بعكس مخالفة ابن عمه والي البصرة وبعكس مخالفة غلامه الفضل بن الربيع !

والسبب أن البرامكة بنفوذهم في الدولة ، بإمكانهم أن يقوموا بانقلاب ويقتلوا هاروناً ، ويباعوا لموسى بن جعفر عليه السلام ، أو لأي عباسي ، أو علوي !

ومما زاد غضب هارون على الفضل ، أن أباه وأخاه جعفر كانا عدوين لدودين للإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وما زالوا يحركان هارون ضده ويعملان لقتله !

ولم يشفع للفضل أنه أخ هارون بالرضاعة ، فقد نشأ في بيت يحيى البرمكي ، وكان هارون يخاطب يحيى بن خالد : يا أبت ، ويخاطب ولده الفضل : يا أخي .

( وفيات الأعيان : ٤ / ٢٧ ، وتاريخ بغداد : ١٢ / ٣٣٢ ، والطبري : ٦ / ٤٤١ ) .

ولم تشفع له مكانته السياسية وتاريخه الذي قال عنه في تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٣٢ :  
« الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ، أخو جعفر وكان رضيح هارون الرشيد ،  
وولاه الرشيد أعمالاً جليظة بخراسان وغيرها ، وكان أندى كفاً من أخيه جعفر ،  
إلا أنه كان فيه كبر شديد ، وكان جعفر أطلق وجهاً وأظهر بشراً » .

وفي تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٣٢ : « عن العتابي قال : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي  
أربعة آلاف ، ما بين شاعر وزائر » . ( تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٣٤ ) .

« ولما غضب هارون على البرامكة وقتل جعفرأ ، وحلّد الفضل في الحبس مع أبيه  
يحيى فلم يزالا محبوسين حتى ماتا في حبسهما » . تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٣٢ ، والطبري : ٦ / ٤٤١ .

ومات يحيى وعمره ٤٥ سنة ، قبل هارون بخمسة أشهر . ( الطبري : ٦ / ٥٢٤ ) .

والسؤال هنا : لماذا رفض الفضل بن يحيى البرمكي أمر هارون له بالتضييق على الإمام  
الكاظم عليه السلام ثم بقتله ؟ وهل كان غضب هارون عليه بسبب ذلك ؟

والجواب : أنه لا تفسير لمخالفة الفضل لهارون ، إلا أنه رأى كرامات الإمام عليه السلام فتشيع  
أو لم يتشيع لكنه تحرّج من تنفيذ أمر هارون ، وتحمل أن يُعرّض نفسه لغضبه !

ويوجد مؤشر على أن الفضل كان ترك شرب الخمر مع هارون ، توبةً أو أنفةً  
لأنه ينقص من مروءته ! ففي تاريخ الطبري : ٦ / ٤٨٩ : « كان الرشيد قد عتب على  
الفضل بن يحيى وثقل مكانه عليه لتركه الشرب معه ، فكان الفضل يقول : لو  
علمت أن الماء ينقص من مروئي ما شربته » !

والسؤال الثاني : هل يمكن القول إن سبب نقمة هارون على البرامكة ، أنهم فكروا  
بانقلاب على العباسيين لمصلحة العلويين ، أو أنهم تعاطفوا مع الإمام الكاظم عليه السلام في

أواخر أيام سجنه ، وهل يؤيد ذلك أن هارون تعمد إبقاء سبب نقمته عليهم سراً ، وما رواه الطوسي في الغيبة / ٢٥ : « وكان يحيى يتولاه ، وهارون لا يعلم ذلك » ؟

والجواب : أن هذا الاحتمال لا ينهض مقابل ما يعارضه ، فقد روت مصادرنا عمل يحيى بن خالد البرمكي لقتل الإمام الكاظم عليه السلام وسعيه به الى هارون ، وتوظيفه بعض أقارب الإمام عليه السلام واستقدامهم ليشهدوا عليه عند هارون !

ولا ينهض مقابل أن الإمام الرضا عليه السلام كان يدعو عليهم في عرفات لأنهم سعوا في قتل أبيه ، قال عليه السلام : « إنني كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي ، فاستجاب الله لي اليوم فيهم ! فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بُطش بجعفر ويحيى ، وتغيرت أحوالهم » ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٢٤٥ ) .

فاليقين في أمرهم : إن الذي سعى بقتل الإمام الكاظم عليه السلام هو يحيى كما نصت أحاديثنا ، ويشير الحديث إلى أن ابنه جعفر معه ، لكن ابنه الفضل رفض إطاعة أوامر هارون ، ومعناه أنه كان يميل الى الإمام ويعتقد بأنه ولي ، أو إمام !

كما يظهر أن جعفر البرمكي كان أحب الى هارون من أخيه الفضل ، لأنه أخذ الوزارة والخاتم من الفضل وأعطاه لجعفر ، وذكر في شرح النهج ( ١٨ / ١٠٥ ) أن هاروناً كان « يخلص بالله أن جعفرأ أفصح من قس بن ساعدة ، وأشجع من عامر بن الطفيل ، وأكتب من عبد الحميد بن يحيى ، وأسوس من عمر بن الخطاب ، وأحسن من مصعب بن الزبير ، وأنصح له من الحجاج لعبد الملك ، وأسمح من عبد الله بن جعفر ، وأعف من يوسف بن يعقوب ... ولم يكن أحد يجسر أن يرد على جعفر قولاً ولا رأياً »



ثم ذكر أن الفضل رد يوماً على جعفر فاستنكر عليه عم هارون سليمان بن المنصور : « فغضب الرشيد لإنكار سليمان وقال : ما دخولك بين أخي ومولاي ؟ كالراضي بما كان من الفضل » !

أما لماذا قتله وصلبه واكتفى بسجن الفضل فلعله بسبب أن الفضل كان أخاه من الرضاعة دون جعفر ، أو لم يبلغ ذنبه برأيه الجريمة التي ارتكبها أخوه جعفر !

#### ٤ . العباس بن محمد الذي وكله هارون بجلد وزيره الفضل

قال ابن الجوزي في كتابه المدهش / ٦٧ : « ومن العجائب أنه سلم على الرشيد بالخلافة عمه سليمان بن المنصور ، وعم أبيه المهدي وهو العباس بن محمد ، وعم جده المنصور وهو عبد الصمد بن علي ! وقال له عبد الصمد يوماً : يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عم أمير المؤمنين وعم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس عم سليمان وعبد الصمد عم العباس » !

وقال ابن الجوزي في المنتظم : ١٢٤ / ٩ : « ولي العباس بن محمد الذي إليه العباسية الجزيرة وصار إلى الرقة وأمر الرشيد ففرش له في قصر الإمارة له فيه الآلات وشحن بالرقيق وحمل إليه خمسة آلاف ألف درهم ! وفي سنة ست ومائة توفي العباس ببغداد » وتاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٤ ، ومآثر الإنافة : ٣ / ٣٥٧ ، وشذرات الذهب : ١ / ٢٧٤ .

وفي شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٣٥١ : « قيل لخديجة بنت الرشيد : رسل العباس بن محمد على الباب ، معهم زنبيل يحمله رجالان ! فقالت : تراه بعث إلى باقلاء ! فكشف

الزنبيل عن جرة مملوءة غالية فيها مسحاة من ذهب ، وإذا برقعة : هذه جرة أصيبت هي وأختها في خزائن بني أمية ! فأما أختها فغلب عليها الخلفاء وأما هذه فلم أر أحداً أحق بها منك !

وفي نهاية ابن كثير : ٢٣٢ / ١٠ : « وكان ابن أبي مريم هو الذي يضحكه ، وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها ، وكان الرشيد قد أنزله في قصره وخلطه بأهله ... ودخل يوماً العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالية من أحسن الطيب فجعل يمدحها ويزيد في شكرها ، وسأل من الرشيد أن يقبلها منه فقبلها فاستوهبها منه ابن أبي مريم فوهبها له ، فقال له العباس : ويحك ! جئت بشئ منعتة نفسي وأهلي وآثرت به أمير المؤمنين سيدي فأخذته ! فحلف ابن أبي مريم ليطين به استه ! ثم أخذ منها شيئاً فطلى به إسته ودهن جوارحه كلها منها ، والرشيد لا يتمالك نفسه من الضحك ! ثم قال لخدام قائم عندهم يقال له خاقان : أطلب لي غلامي ، فقال الرشيد : ادع له غلامه ، فقال له : خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستك فمرها فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها ف... ! فذهب الضحك بالرشيد كل مذهب ، ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئت بهذه الغالية تمدحها عند أمير المؤمنين ، الذي ما تمطر السماء شيئاً ولا تنبت الأرض شيئاً إلا وهو تحت تصرفه وفي يده ! وأعجب من هذا أن قيل لملك الموت : ما أمرك به هذا فأنفذه ! وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه بقال أو خباز أو طباخ أو تمار ! فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك ! ثم أمر لابن أبي مريم بمائة ألف درهم !

## ٥ . السندي بن شاهك رئيس شرطة هارون

شكى المنصور لأحدهم ضعف حُجَّابه ، فقال له : « إستخدم قوماً وقاحاً ! قال : ومن هم ؟ قال : إشتهر قوماً من اليمامة فإنهم يربون الملاقيط ( اللقطاء الذين لا آباء لهم ) !

فاشترى المنصور حاجبه الربيع ! والسندي بن شاهك من هذا النوع ، مع فرق بينهما أن الربيع شرطي سياسي يحتاج الى فهم اجتماعي ولباقة ولباقة ، بينما السندي شرطي عسكري يحتاج الى شدة في تنفيذ أوامر الخليفة بقسوة بدون رحمة حتى لو كانت على أقارب الخليفة وأولاده ووزرائه !

وهو لقيط عرف باسم أمه السندي شاهك : « وسي ذراريهم ( السند ) فكان من ذلك السي مهرويه وخَلد ، وقرابتهما شاهك وكانت على مائدة شهريار ، وهي أم السندي بن شاهك ، وكان منهم الحرث بن بسخنز ، وجميع هؤلاء الموالي الرازيين » . ( طبقات الأطباء / ٢٢١ ، ونهاية الأرب / ٦٢٣ ) .

وقد عرف بنسبته الى أمه وليس الى أب ! ورباه المنصور تربية عباسية غليظة فكان السندي يتعجب من تفضيل المأمون علياً عليه السلام على العباس ، فقال للفضل بن الربيع : « ما ظننت أني أعيش حتى أسمع عباسياً يقول هذا ! فقال الفضل له : تعجب من هذا ، هذا والله كان قول أبيه قبله » ! ( كتاب بغداد لطيفور / ١٧ ) .

وفي تذكرة ابن حمدون : ٢ / ٣٦٤ : أن السندي « أحضر رجلاً ادعي عليه الرفض فقال له : ما تقول في أبي بكر ؟ فأثنى عليه ، قال : فعمر ؟ قال : لا أحبه ، فاخترط السندي سيفه وقال : لم ويلك ؟ قال : لأنه جعل الشورى في ستة من المهاجرين وأخرج العباس منهم ، فشام سيفه ورضي عنه » !

وكان السند بن شاهك يكلف بالمهمات التي تحتاج إلى قمع وتجسس !

قال في وفيات الأعيان : ١ / ٣٣٨ : « ثم دعا (هارون الرشيد) السندي بن شاهك فأمره بالمضي إلى بغداد والتوكّل بالبرامكة وكتّابهم وقراباتهم ، وأن يكون ذلك سرّاً ففعل السندي ذلك » .

لهذا السبب أمر هارون بنقل سجن الإمام الكاظم عليه السلام من عند الفضل بن يحيى إلى السندي بن شاهك ، لأنه أشد وأقسى ، وخالف بذلك العرف السياسي بأن تسجن الشخصيات القرشية والهاشمية عند وزراء الخليفة وشخصيات دولته ، فقد حبس الإمام الكاظم عليه السلام أولاً عند عمه عيسى بن جعفر والي البصرة ، ثم عند وزيره الفضل بن الربيع ، ثم عند وزيره الفضل بن يحيى ، فتأمّموا أن يقتلوه فأمر بحبسه عند السندي بن شاهك الشرطي القاسي ، وأمره أن يقتله !

وبعد قتل الإمام عليه السلام أعطى هارون للسندي جائزة فجعله والي دمشق !

قال عنه الذهبي في تاريخه : ١٤ / ١٨٥ : « السندي بن شاهك . الأمير أبو نصر ، مولى أبي جعفر المنصور ، ولي إمرة دمشق للرشيد ، ثم وليها بعد المائتين ، وكان ذميم الخلق ، سندياً يجعل القول قول المدعي » ! أي يحكم له تصديقاً لقوله بدون بينة !

وقال المؤرخ البغدادي ابن الطقطقي في الفخري / ١٣٧ : « فحبسه عند السندي بن شاهك ، وكان الرشيد بالرقّة فأمر بقتله ، فقتل قتلاً خفياً ، ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه ، إظهاراً أنه مات حتف أنفه » .

ونلاحظ أن الإمام الكاظم عليه السلام عبر عن السندي بالرجس ، وأوصى أن لا يتولى غسله وتكفينه ! « دعا بالمسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به ، فقال

له : يا مسيب إن هذا الرجس السندي شاهك سيزعم أنه يتولى غسلني ودفني ، هيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً » ! ( عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٩٥ ) .

## ٦ . السندي بنت شاهك خير من أخيها !

روى في تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٢ ، عن عمار بن أبان قال : « حبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي بن شاهك ، فسألته أخته أن تتولى حبسه ، وكانت تتدين ، ففعل ، فكانت تلي خدمته ، فحكيت لنا أنها قالت : كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح ، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتهيا ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب ، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة . فكان هذا دأبه !

فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل ! وكان عبداً صالحاً » وسير الذهبي : ٦ / ٢٧٣ ، وتاريخ أبي الفداء / ٢٩٣ ، ومصادر كثيرة .

## ٧ . سجن السندي أشد سجون الإمام الكاظم عليه السلام

استمر سجن الإمام عليه السلام في المرة الثانية نحو أربع سنوات ، وتنقل في أربعة سجون ، أولها سجن البصرة وكان في بيت الوالي عيسى بن جعفر بن المنصور والثاني في بغداد عند وزير الرشيد الفضل بن الربيع ، والثالث عند الوزير الفضل

بن يحيى البرمكي ، والرابع عند رئيس شرطة الرشيد السندي بن شاهك ، وكان أصعب السجون عليه ، فقد زادوا عليه القيود وشددوا عليه .

ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٨٢ / ٢ : « فحبسه عيسى بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه وأقفل عليه ، وشغله العيد عنه فكان لا يفتح عنه الباب إلا حالتين حالة يخرج فيها إلى الطهور وحالة يدخل فيها الطعام » .

« وصيره إلى بغداد وسُلم إلى الفضل بن الربيع ، وبقي عنده مدة طويلة ، ثم أراد الرشيد على شئ من أمره فأبى ! فأمر بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فجعله في بعض دوره ووضع عليه الرصد ، فكان عليه السلام مشغولاً بالعبادة يُحيي الليل كله صلاة وقراءةً للقرآن ، ويصوم النهار في أكثر الأيام ، ولا يصرف وجهه عن الحراب ، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه ، فبلغ ذلك الرشيد وهو بالرقعة فكتب إليه يأمره بقتله فتوقف عن ذلك ! فاغتاظ الرشيد لذلك وتغير عليه » .  
( إعلام الوری : ٢ / ٣٣ ، ومقاتل الطالبين / ٣٣٤ ) .

\* \*

## شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ومراسم تشييعه

### ١ . أخبر الإمام عليه السلام بشهادته وأوصى بتجهيزه

١ - في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٩٥ : « دعا بالمسيب ، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به ، فقال له : يا مسيب ، قال : لبيك يا مولاي . قال : إني ظاعنٌ هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدي رسول الله ﷺ لأعهد إلى عليّ ابني ما عهده إليّ أبي ، وأجعله وصيي وخليفتي ، وأمره أمري !

فقال لي : إرفع رأسك يا مسيب ، واعلم أني راحل إلى الله عز وجل في ثالث هذا اليوم ! قال : فبكيت ، فقال لي : لا تبك يا مسيب ، فإن علياً ابني هو إمامك ومولاك بعدي فاستمسك بولايته ، فإنك لن تضل ما لزمته . فقلت : الحمد لله .

قال : ثم إن سيدي دعاني في ليلة اليوم الثالث فقال لي : إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله عز وجل ، فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني واصفراً لوني واحمراً واحضراً وتلون ألواناً ، فخير الطاغية بوفاتي ، فإذا رأيت بي هذا الحدث فإياك أن تظهر عليه أحداً ولا من عندي إلا بعد وفاتي !

قال المسيب بن زهير : فلم أزل أرقب وعده ، حتى دعا بالشربة فشربها ، ثم دعاني فقال لي : يا مسيب إن هذا الرجس السندي شاهك سيزعم أنه يتولى غسلني ودفني ، هيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً ! فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر

قريش فألحدوني بها ، ولا ترفعوا قبوري فوق أربع أصابع مفرجات ، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتركوا به ، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي ، فإن الله تعالى جعلها شفاءً لشيعتنا وأوليائنا .

قال : ثم رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً إلى جانبه ، وكان عهدي بسيدي الرضا عليه السلام وهو غلام ، فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى عليه السلام فقال : أليس قد نهيته يا مسيب ؟! فلم أزل صابراً حتى مضى وغاب الشخص !

ثم أنهيته الخبر إلى الرشيد ، فوافى السندي بن شاهك ، فوالله لقد رأيتهم بعيني وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً ! ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه !

فلما فرغ من أمره قال لي ذلك الشخص : يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشكن فيّ فأني أمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي ، يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق ، ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا فعرفهم وهم له منكرون !

ثم حمل عليه السلام حتى دفن في مقابر قريش ، ولم يرفع قبره أكثر مما أمر به ، ثم رفعوا قبره بعد ذلك ، وبنوا عليه .

#### ملاحظات :

أ. قال في تاريخ بغداد عن المسيب بن زهير ( ١٣ / ١٣٨ ) : « كان من رجال الدولة العباسية ، وولي شرطة بغداد في أيام المنصور والمهدي والرشيد ، وقد كان ولي خراسان أيام المهدي » .



وفي معارف ابن قتيبة / ٤١٣ : « هو من ولد ضرار بن عمرو الضبي ، وبنو ضرار من سادة ضبة ، وكان على شرط أبي جعفر وولاه المهدي خراسان ، وولي شرطة موسى . وابنه عبد الله بن المسيب ولي مصر وفارس والجزيرة ، ومحمد بن المسيب ولي شرطة محمد الأمين ، والعباس بن المسيب ولي شرطة المأمون ، وزهير بن المسيب ولي كرمان لهارون ، وكان للمسيب بن زهير أخ يقال له عمرو بن زهير ولي لأبي جعفر الكوفة » . وتاريخ خليفة / ٣٨٠ ، وابن خلدون : ٣ / ٢١٢ .

وقال الطبري ( ٦ / ٣٠٢ ) إنه كان صديقاً ليحيى بن خالد البرمكي ، لكن المسيب كان يميل الى العلويين ويتصف بالجرأة ! ففي مروج الذهب ( ١ / ٤٨٠ ) : « ذكر أن المنصور قال يوماً جلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم ( الحسينين ) : تالله ما رأيتُ رجلاً أنصح من الحجاج لبني مروان ! فقام المسيب بن زهير الضبي فقال : يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلفنا عنه ، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعز علينا من نبينا ، وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحنك أم لا ؟ فقال له المنصور : أجلس لاجلست ! »

نلاحظ أن كلمة المسيب لو قالها غيره لكان جزاؤه القتل ، لكن المنصور اكتفى بالغضب والدعاء عليه بسبب دوره التاريخي وولائه للعباسيين ! ورووا عنه من موضوعات العباسيين أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى بالخلافة لعمه العباس لكن روى عنه الحاكم ( ٣ / ١٤٢ ) والخوارزمي ( المناقب / ٣٦١ ) أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « النظر إلى وجه علي عبادة » ، وهو يؤكد ميله الى العلويين .

وكان المسيب مسؤولاً عن سجن الإمام الكاظم عليه السلام ويظهر أن ذلك في حبسه الأول سنة سبعين ومائة ، فهده الله على يده . وكان مسؤولاً في المرة الأخيرة

بنحو ما مع مسؤولية السندي المباشرة . وكان عند شهادة الإمام عليه السلام كبير السن ، فأحضره لإيمانه ومكانته في الدولة ليخبر هارون وحاشيته بما قاله له عليه السلام .

وذكر في تاريخ بغداد ( ١ / ١٣٩ ) أنه توفي سنة ست وسبعين ومائة ، وهو ابن ست وسبعين سنة ، وبما أن شهادة الإمام الكاظم عليه السلام كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة ، فالظاهر أن وفاة المسيب في ست وتسعين ، ووقع تصحيف بين السبع والتسع وهو كثير ، أو يكون الذي دعاه الإمام عليه السلام وأوصاه ابنه محمد بن المسيب ، ففي تاريخ بغداد : ٤ / ٦٥ ، أنه : « ولي الشرطة للرشيد والأمين ، ومات ببغداد » .

ب - نلفت الى شهادة المسيب بأن الذي غسل الإمام عليه السلام وكفنه وصلى عليه ابنه الإمام الرضا عليه السلام على قاعدة أن المعصوم لا يغسله إلا معصوم ، وهو يدل على قدم المسيب الراسخ في التشيع .

وروى في الكافي : ١ / ٣٨٤ « عن أحمد بن عمر الحلال عن الرضا عليه السلام : قلت له : إنهم يجاوننا يقولون إن الإمام لا يغسله إلا الإمام ! قال فقال عليه السلام : ما يدريهم من غسله ، فما قلت لهم ؟ قال : فقلت : جعلت فداك قلت لهم : إن قال مولاي إنه غسله تحت عرش ربي فقد صدق ، وإن قال غسله في تخوم الأرض فقد صدق ، قال : لا هكذا ، فقلت : فما أقول لهم ؟ قال : قل لهم إني غسلته ، فقلت : أقول لهم إنك غسلته ؟ فقال : نعم ... عن طلحة قال قلت للرضا عليه السلام : إن الإمام لا يغسله إلا الإمام ؟ فقال : أما تدرون من حضر لغسله ؟ قد حضره خير ممن غاب عنه : الذين حضروا يوسف في الجب حين غاب عنه أبواه وأهل بيته » .

وفي الخرائج : ١ / ٢٦٤ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « كان فيما أوصى به إلي أبي علي بن الحسين أن قال : يا بني إذا أنا مت فلا يلي غسلني غيرك ، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله » ومعناه الكافي : ١ / ٤٥٩ ، و : ٣ / ١٥٩ ، ومناقب آل أبي طالب : ٣ / ٣٥١ و ٤٨٠ .

ج - قوله عليه السلام : « ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به ، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي عليه السلام ، فإن الله تعالى جعلها شفاءً لشيئتنا وأوليائنا » .

يدل على أنه يعرف إيمان شيعته به ، وأنهم سيزورون قبره ، وربما أخذوا من ترابه للتبرك ، فأراد أن يحافظ على الخصوصية الشرعية لتربة جده الحسين عليه السلام .

وقد بحث الفقهاء هذه المسألة ، وأفتوا بجرمة أكل التراب باستثناء شيء يسير من تربة الإمام الحسين عليه السلام . قال الشيخ الطوسي في النهاية / ٥٩٠ : « ولا يجوز أكل شيء من الطين على اختلاف أجناسه ، إلا طين قبر الحسين بن علي عليه السلام ، فإنه يجوز أن يؤكل منه اليسير للاستشفاء به ، ولا يجوز الإكثار منه على حال » .

وقال صاحب الجواهر ( ٣٦ / ٣٦٨ ) : « وعلى كل حال فظاهر الفتاوى الإقتصار على استثناء قبر الحسين من بين قبورهم عليهم السلام حتى النبي صلى الله عليه وآله . بل المعروف كون ذلك من خواصه عليه السلام كما ورد به بعض النصوص »

وفي صحيح إسحاق بن عمار رضي الله عنه عن الإمام الصادق عليه السلام قال : « إن لموضع قبر الحسين بن علي حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير . قلت : فصف لي موضعها جعلت فداك . قال : إمسح من موضع قبره اليوم فامسح خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه ، وخمسة وعشرين ذراعاً مما يلي وجهه ، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه ، وموضع قبره منذ يوم دفن

روضة من رياض الجنة ، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زواره إلى السماء ، فليس ملك ولا نبي في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين ، ففوج ينزل وفوج يعرج » . ( الكافي : ٤ / ٥٨٨ ) .

د - تقدم أن يحيى بن خالد الأب الرضاعي لهارون ، كان معه في الرقة وشاهد غضب هارون على ابنه الفضل بن يحيى حتى أمر الناس بلعنه لأنه عصاه ولم يقتل الإمام الكاظم عليه السلام ، فهدأه يحيى وتكفل له بأنه يعالج أمر ابنه وينفذ أمره ، فجاء إلى بغداد على البريد بسرعة ورتب أمر سُم الإمام الكاظم عليه السلام !

وقال المفيد في الإرشاد : ٢ / ٢٤٣ : « ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد ، فماج الناس وأرجفوا بكل شئ ، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمر العمال ، وتشاغل ببعض ذلك أياماً ، ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامثله ، وكان الذي تولى به السندي قتله عليه السلام سُمّاً جعله في طعام قدمه إليه ، ويقال إنه جعله في رطب أكل منه فأحس بالسم ، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً منه ، ثم مات في اليوم الثالث » . « وكانت وفاته عليه السلام في مسجد هارون الرشيد وهو المعروف بمسجد المسيب ، وهو في الجانب الغربي من باب الكوفة ، لأنه نقل إليه من دار تعرف بدار عمرويه » . ومناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٣٨ .

« وروي : أنه عليه السلام لما حضرته الوفاة ، سأل السندي بن شاهك أن يحضره مولى له مديناً ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله وتكفينه ، ففعل ذلك . قال السندي بن شاهك : وكنت أسأله في الإذن لي في أن أكفنه فأبى وقال : إنا أهل بيت مهور نسائنا وحج ضرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا ،

وعندي كفن وأريد أن يتولى غسلني وجهازي مولاي فلان ، فتولى ذلك منه » .  
(الإرشاد : ٢ / ٢٤٣ ، والفتية : ١ / ١٨٩ ) .

## ٢ . المكان الذي استشهد فيه الإمام عليه السلام

عرف السجن الذي كان فيه الإمام عليه السلام باسم حبس المسيب ، لأن المسيب بن زهير كان رئيس الشرطة قبل السندي ، قال في دلائل الإمامة / ٣٠٥ : « وكانت وفاته عليه السلام في حبس المسيب ، وهو المسجد الذي بباب الكوفة الذي فيه السدرة » .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٩٢ : « عن جماعه من مشايخ أهل المدينة قالوا لما مضى خمسة عشر سنة من ملك الرشيد استشهد ولي الله موسى بن جعفر عليه السلام مسموماً ، سمه السندي بن شاهك بأمر الرشيد في الحبس المعروف بدار المسيب بباب الكوفة وفيه السدرة . ومضى إلى رضوان الله تعالى وكرامته يوم الجمعة لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائه من الهجرة ، وقد تم عمره أربعاً وخمسين سنة ، وترتبه بمدينة السلام في الجانب الغربي بباب التبن في المقبرة المعروفة بمقابر قريش » .

وفي عيون المعجزات / ٩١ : « عن أحمد بن محمد بن السمط قال : سمعت من أصحاب الحديث والرواة المذكورين ، أن موسى بن جعفر عليه السلام كان في حبس هارون الرشيد وهو في المسجد المعروف بمسجد المسيب من جانب الغربي بباب الكوفة ، لأنه قد نقل الموضع إليه من دار السندي بن شاهك ، وهي الدار المعروفة بدار أبي عمرويه » .

وفي المستجد من الإرشاد / ٢١٣ ، والثاقب في المناقب / ٥١٢ : « وقد روى أكثر الناس أنه لما توجه أبو جعفر عليه السلام من بغداد منصرفاً من عند المأمون ، ومعه أم الفضل ابنة المأمون قاصداً بها المدينة ، صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس فنزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد ، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة وقام صلى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأولى منها الحمد وإذا جاء نصر الله ، وقرأ في الثانية الحمد وقل هو الله ، وقرنت قبل ركوعه فيها وصل الثالثة وتشهد وسلم ، ثم جلس هنيهة يذكر الله جل اسمه ، وقام من غير أن يعقب فصلى النوافل أربع ركعات وعقب تعقيبها ، وسجد سجدي الشكر ثم خرج ، فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً حسناً ! فتعجبوا من ذلك وأكلوا منها فوجدوها نبقاً حلواً لا عجم له ! وودعوه ومضى من وقته إلى المدينة » .



### ٣ . إهانة هارون لجنائز الإمام عليه السلام وتكريم عمه لها

قال الطبرسي في إعلام الوري : ٣٤ / ٢ : « ولما استشهد صلوات الله عليه أدخل السندي عليه الفقهاء ووجوه الناس من أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي ، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق ، ثم وضعه على الجسر ببغداد ، وأمر يحيى بن خالد فنودي : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت ، قد مات فانظروا إليه ، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت ، ثم حمل فدفن في مقابر قريش ، وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديماً » .

وروى الصدوق عليه السلام في كمال الدين / ٣٨ : « عن الحسن بن عبد الله الصيرفي عن أبيه قال : توفي موسى بن جعفر عليه السلام في يد السندي بن شاهك فحمل على نعش ونودي عليه : هذا إمام الرافضة فاعرفوه ! فلما أتى به مجلس الشرطة ، أقام أربعة نفر فنادوا : ألا من أراد أن ينظر إلى الخبيث بن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج ! فخرج سليمان بن أبي جعفر من قصره إلى الشط فسمع الصياح والضوضاء فقال لولده وغلماؤه : ما هذا ؟ قالوا : السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر على نعش ، فقال لولده وغلماؤه : يوشك أن يفعل به هذا في الجانب الغربي ، فإذا عبر به فأنزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فإن مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد ! قال : فلما عبروا به نزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرقوا عليهم سوادهم ووضعوه في مفرق أربع طرق ، وأقام المنادين ينادون : ألا من أراد أن ينظر إلى الطيب بن الطيب موسى بن جعفر فليخرج ! وحضر الخلق وغسله وحنطه بحنوط وكفنه بكفن فيه حبرة استعملت



له بألفي وخمس مائة دينار مكتوباً عليها القرآن كله ! واحتفى ( خلع نعليه ) ومشى في جنازته متسلباً مشقوق الجيب ، إلى مقابر قريش فدفنه هناك . وكتب بخبره إلى الرشيد فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر : وصلت رحمك يا عم ، وأحسن الله جزاك والله ما فعل السندي بن شاهك لعنه الله ما فعله عن أمرنا ! والعيون : ٢ / ٩٣ .

وفي الغيبة للطوسي / ٢٣ : « فروى يونس بن عبد الرحمن قال : حضر الحسين بن علي الرواسي جنازة أبي إبراهيم عليه السلام فما وضع على شفير القبر إذا رسول من سندي بن شاهك قد أتى أبا المضا خليفته وكان مع الجنازة ، أن أكشف وجهه للناس قبل أن تدفنه حتى يروه صحيحاً ، لم يحدث به حدث قال : وكشف عن وجه مولاي حتى رأيتُه وعرفته ثم غطي وجهه وأدخل قبره صلى الله عليه » .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٩٦ : « عن سليمان بن حفص المروزي قال : إن هارون الرشيد قبض على موسى بن جعفر عليه السلام سنة تسع وسبعين ومائة وتوفي في حبسه ببغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن سبع وأربعين سنة ، ودفن في مقابر قريش ، وكانت إمامته خمساً وثلاثين سنة وأشهرًا وأمّه أم ولد ، يقال لها : حميدة وهي أم أخويه إسحاق ومحمد ابني جعفر بن محمد عليه السلام ونص على ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام بالإمامة بعده » .

وفي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٤١ : « قال القاضي :

وهـارونكم أردى بغير جريـرة  
ومأمونكم سم الرضا بعد بيعة  
نجوم تُقَى مثل النجوم الكواكب  
فآدت له شم الجبال الرواسب ..

وقال الناشي :

ببغداد وإن ملئت قصورا  
قبور أغشت الأفاق نوراً



ضريح السابع المعصوم موسى إمام يحتوي مجداً وخيراً  
بأكناف المقابر من قریش له حدث غداً بهجاً نصيراً  
وقبر محمد في ظهر موسى يغشى نور بهجته الحضورا  
هما بحران من علم وحلم تجاوز في نفاسها البحورا  
إذا غارت جواهر كل بحر فجوهرها ينزهه أن يغورا  
يلوح على السواحل من بغاه تحصل كفه الدر الخطيرا .

#### ٤ . سليمان بن أبي جعفر عم هارون

قال عنه في تاريخ بغداد : ٢٥ / ٩ : « سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، يكنى أبا أيوب ، حدث عن أبيه روت عنه ابنته زينب وإليه ينسب درب سليمان ببغداد . » . ثم ذكر أنه مات سنة تسع وتسعين وعمره خمسون سنة ، فعمره قريب من عمر هارون .

وتزوج هارون العباسة بنت سليمان سنة ١٨٧ ، وتزوج عزيزة مطلقه سليمان وهي بنت خال هارون . ( الطبري : ٦ / ٥٤٠ ) .

وكان سليمان وبنته زينب يرويان أن جدهم ابن عباس قال لابنه : « يا بني إذا أفضى هذا الأمر إلى ولدك فسكنوا السواد ولبسوا السواد ، وكان شيعتهم أهل خراسان لم يخرج هذا الأمر منهم إلا إلى عيسى بن مريم » ! ( تاريخ بغداد : ١٤ / ٤٣٥ ، وتاريخ دمشق : ٢٢ / ٣٣٦ ) .

وكان سليمان أحد القادة الثلاثة الذين أرسلهم موسى الهادي لقمع ثورة العلويين في مكة بقيادة الحسين بن علي صاحب فتح عليه السلام ، والآخران : العباس بن محمد بن علي ، وموسى بن عيسى ( تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٠٤ ، والوافي : ١٢ / ٢٨٢ ) .

وهجا أبو سماعة سليمان فأمر هارون بخلق رأسه ولحيته ! ( تاريخ دمشق : ١٦ / ٨ ) .  
وكان سليمان والياً على الكوفة عندما خرج محمد بن إبراهيم بن طباطبا وأبو  
السررايا فهزموا جيش الدولة وملكوا الكوفة ، ثم عاود العباسيون حملتهم لما مات  
ابن طباطبا ، واسترجعوا الكوفة سنة ١٩٩ . ( الطبري : ٧ / ١١٧ ) .

كما كان سليمان : « أمير دمشق ، وليها للرشيد ثم للأمين مرتين ، وولي إمرة  
البصرة مرتين أيضاً » . ( الأعلام : ٣ / ١٢٨ ) . وفي عهد ولايته للشام خرج شخص من  
ذرية يزيد وادّعى أنه السفياي : « وكان بنو أمية يروون فيه الروايات ويذكرون أن  
فيه علامات السفياي .. وطرد عنها سليمان بن أبي جعفر بعد حصره إياه بدمشق  
فلم يفلت منهم إلا بعد اليأس ولحقه الغوغاء والرعاع ونهبوا وأواخر عسكره »  
( تاريخ دمشق : ٤٣ / ٢٩ ) .

وقال في الأعلام : ٤ / ٣٠٣ ، عن هذا السفياي : « كان من أهل العلم والرواية يقول  
حين يفاخر : أنا ابن شيخي صفين ! لأن أمه حفيدة علي بن أبي طالب ، وأباه  
حفيد معاوية ، ويلقبه خصومه بأبي العميطر وهو الحرذون ... فدعا إلى نفسه  
وطرد عامل الأمين على دمشق الأمير سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وامتلكها  
سنة ١٩٥ وبويع بالخلافة وهو ابن تسعين سنة ، وكان أصحابه يجولون في أسواق  
دمشق ويقولون للناس : قوموا بايعوا مهدي الله ! »

و « كان الركيبي يأخذ البيعة لأبي العميطر على الناس في الأسواق ، وكان يدور  
على منازل أهل دمشق فمن خرج إليه أخذ عليه البيعة ، ومن لم يخرج يقول : يا  
غلام سكر بابيه وأثمت به جاره » ! ( تاريخ دمشق : ٢١ / ٩٧ )

وذكر في الأعلام أنه خرج بعده مسلمة المرواني وزعم أنه السفياي وقبض على السفياي العميطر وحبسه ! ثم هاجم القيسية مسلمة فهرب في ثياب النساء ، وباع أهل الشام للمأمون .

وكان سليمان المذكور مع الأمين في حربه مع أخيه المأمون ، ولما ضعف أمره راسل سليمان المأمون ! « وكان محمد قد حبس سليمان بن أبي جعفر وإبراهيم بن المهدي لأمر بلغه ، فلما صار هزيمة على باب بغداد أخرجهما من الحبس ، ووجههما مع جماعة » ( اليعقوبي : ٢ / ٤٤١ ) . راجع في حياته : اليعقوبي : ٢ / ١٤٠٩ ، وتاريخ خليفة / ٣٦٦ ، وتاريخ بغداد : ١ / ١٠٥ ، و ١٠٧ ، والوافي : ١٦ / ٣٨٣ ، وتاريخ دمشق : ٢٢ / ٣٣٧ ، و : ٣٨ / ١١٧ ، و : ٤٣ / ٢٧ ، و : ٤٨ / ٢٣٦ ، و : ٦٠ / ٣٥٢ ، والطبري : ٦ / ٤٨٥ ، و : ٧ / ٢٥ ، و : ٧ / ٧٧ ) .

أقول : يدل تاريخ سليمان بن أبي جعفر المنصور ، على أنه قام بتكريم جنازة الإمام الكاظم عليه السلام لمصلحة العباسيين ، حتى لا تتفاقم عليهم نقمة الناس ، خاصة وأن العلويين كانوا ثائرين في عدة مناطق .

### ٥ . صار قبر الإمام عليه السلام مزاراً ومشهداً من أول يوم

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : ٦ / ٢٧٣ : « قلت : له مشهد عظيم مشهور ببغداد ، دفن معه فيه حفيده الجواد . ولولده علي بن موسى مشهد عظيم بطوس . وكانت وفاة موسى الكاظم في رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة . عاش خمساً وخمسين سنة »

وقال أبو الفداء / ٢٨٣ : « وتوفي في هذه السنة أعني سنة ثلاث وثمانين ومائة ،  
لخمس بقين من رجب ببغداد ، وقبره مشهور هناك ، وعليه مشهد عظيم في  
الجانب الغربي من بغداد » .

وقال السمعاني في الأنساب : ٥ / ٤٠٥ : « الموسوي : بضم الميم والسين المهملة المفتوحة  
بين الواوين ، هذه النسبة لجماعة من السادة العلوية ينتسبون إلى موسى الكاظم ،  
وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله  
عنه ، وفيهم كثرة .. ومشهده ببغداد مشهور يزار ، يقال له مشهد باب التبن  
ويقال له مقابر قريش أيضاً ، زرته غير مرة ، مع ابن ابنه محمد بن الرضا » .

وقال في وفيات الأعيان : ٥ / ٣١٠ : « قال الخطيب : توفي في الحبس ودفن في مقابر  
الشونيزيين خارج القبة ، وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه قناديل  
الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد ، وهو في الجانب الغربي » .

« قال الرضا عليه السلام : من زار قبر أبي ببغداد كمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبر أمير  
المؤمنين عليه السلام إلا أن لرسول الله ولأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فضلهما »  
( الكافي : ٤ / ٥٨٣ ) .

\* \*

## هارون يقتل الإمام علياً وينكر قتله !

### ١ . لما رأى هارون معجزات الإمام علياً قرر قتله !

في غيبة الطوسي / ٢٤ : « عن محمد بن عباد المهلي قال : لما حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى علياً وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس ، تحير الرشيد فدعا يحيى بن خالد البرمكي فقال له : يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب ، ألا تدبر في أمر هذا الرجل تدبيراً يريحنا من غمه !؟

فقال له يحيى بن خالد البرمكي : الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمنن عليه وتصل رحمه ، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا ، وكان يحيى يتولاه وهارون لا يعلم ذلك . فقال هارون : انطلق إليه وأطلق عنه الحديد ، وأبلغه عني السلام وقل له : يقول لك ابن عمك : إنه قد سبق مني فيك يمين أني لا أخليك حتى تقرر لي بالإساءة ، وتسألني العفو عما سلف منك ، وليس عليك في إقرارك عار ، ولا في مسألتك إياي منقصة ، وهذا يحيى بن خالد ثقتي ووزيرتي وصاحب أمري فسله بقدر ما أخرج من يميني ، وانصرف راشداً !

قال محمد بن عباد : فأخبرني موسى بن يحيى بن خالد : أن أبا إبراهيم علياً قال ليحيى : يا أبا علي أنا ميت ، وإنما بقي من أجلي أسبوع ، أكتم موتي واثني يوم

الجمعة عند الزوال وصل علي أنت وأوليائي فرادى ، وانظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة وعاد إلى العراق ، لا يراك ولا تراه لنفسك ، فإني رأيت في نجمك ونجم ولدك ونجمه ، أنه يأتي عليكم فاحذروه ! ثم قال : يا أبا علي أبلغه عني : يقول لك موسى بن جعفر : رسولي يأتيك يوم الجمعة فيخبرك بما ترى وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه ، والسلام !

فخرج يحيى من عنده ، واحمرت عيناه من البكاء حتى دخل على هارون فأخبره بقصته وما رد عليه ، فقال هارون : إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا !

فلما كان يوم الجمعة توفي أبو إبراهيم عليه السلام وقد خرج هارون إلى الرقة قبل ذلك فأخرج إلى الناس حتى نظروا إليه ثم دفن عليه السلام ، ورجع الناس فافترقوا فرقتين : فرقة تقول : مات ، وفرقة تقول لم يممت !

#### ملاحظات :

١ - تدل الرواية على أن هارون كان متخوفاً من معجزات الإمام عليه السلام التي رآها منه في سجنه الأول والثاني ، فطلب من مستشاره يحيى البرمكي أن يقترح عليه عملاً يواجه به معجزات الإمام عليه السلام حتى لا يعتقد الناس بإمامته !

وقد كانت هذه المشكلة مطروحة بين هارون ويحيى من أول خلافته ، فقد استقدم الإمام عليه السلام وناظره وحبسه ثم أطلقه ، ثم اشتدت عندما حبسه بعد تسع سنوات . وقد يكون طرح الموضوع مع يحيى قبل سفره إلى الرقة ، وأصدر أمره إلى رئيس وزرائه الفضل بن يحيى بأن يقتل الإمام عليه السلام !

٢ - نصت الروايات على أن هارون كان عند شهادة الإمام الكاظم علياً في الرقة وأن وزيره الفضل عصى أمره بقتل الإمام علياً ووسع عليه في سجنه ، فغضب عليه هارون ولعنه ، ثم أرسل أباه يحيى مسرعاً على البريد ليعالج معصية ابنه ويرتب قتل الإمام علياً ! وقد وقع لفظ المدائن بدل الرقة خطأ في بعض الروايات . كما أن من البعيد أن يكون الرشيد عاد في أيام قتله للإمام علياً الى بغداد . » والطريق من بغداد إلى الرقة خمس عشرة مرحلة وطريق آخر من بغداد إلى الرقة ويؤخذ في عشر مراحل أو نحوها « ( نزهة المشتاق : ٢ / ٦٥٧ ) .

كما أن الرواية تزعم أن يحيى بن خالد كان شيعياً يتولى الإمام الكاظم علياً ويخفي ذلك عن هارون ، مع أنه هو الذي سعى بالإمام وحرض هارون عليه ! فلا بد من القول إن راويها محمد بن عباد المهلبي تخيل أن يحيى كان شيعياً . والمرجح أن موسى بن يحيى البرمكي هو الذي زعم ذلك لأبيه ، بعد أن انتقم الله منه وإخوته ! فقد كان موسى والياً على الشام وعزله هارون في غضبه على البرامكة ( تاريخ دمشق : ٦١ / ٢٣٢ ، والطبري : ٦ / ٤٥٧ . وفي الأعلام ( ٧ / ٣٣١ ) أن المأمون ولاة السند ، وبقي أولاده فيها ، ومعجم البلدان : ١ / ٥١٠ ، واليعقوبي : ٢ / ٤٧٩ ) .

وقال في عيون أخبار الرضا علياً : ٢ / ٨٢ : « ثم سلم إلى السندي بن شاهك فحبسه وضيق عليه ثم بعث الرشيد بسم في رطب ، وأمره أن يقدمه إليه ويحتم عليه في تناوله منه ، ففعل فمات صلوات الله عليه » !

وقال المفيد في الإرشاد : ٢ / ٢٤٢ : « ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى واثى بغداد فماج الناس وأرجفوا بكل شئ وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر

في أمر العمال ، وتشاغل ببعض ذلك أياماً ، ثم دعا السندي فأمره فيه بأمره فامثله ! وكان الذي تولى به السندي قتله سُمّاً جعله في طعام قدمه إليه ، ويقال إنه جعله في رطب أكل منه فأحس بالسم ، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً منه ، ثم مات في اليوم الثالث » .

وفي إعلام الوري : ٦١ / ٢ : « فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه ، فبلغ ذلك الرشيد وهو بالرقّة فكتب إليه يأمره بقتله فتوقف عن ذلك ، فاغتاز الرشيد لذلك وتغير عليه وأمر به فأدخل على العباس بن محمد وجرّد وضرب مائة سوط ! وأمر بتسليم موسى بن جعفر عليه السلام إلى السندي بن شاهك . وبلغ يحيى بن خالد الخبر ففزع إلى الرشيد وقال له : أنا أكفل بما تريد ، ثم خرج إلى بغداد ودعا بالسندي وأمره فيه بأمره ، فامثله وسمه في طعام قدمه إليه ويقال إنه جعله في رطب أكل منه فأحس بالسم ولبث بعده موعوكاً ثلاثة أيام ومات عليه السلام » .

وفي تاريخ ابن خلدون : ٢٩ / ٤ : « وحبسه عند ابن شاهك ، ويقال إن يحيى بن خالد سمه في رطب فقتله وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة . وزعم شيعتهم أن الإمام بعده ابنه عليّ الرضا وكان عظيماً في بني هاشم » .



## ٢ . هارون يحاول إثبات براءته من دم الإمام علياً

روى في الكافي : ٢٥٨ / ١ : « عن الحسن بن محمد بن بشار قال : حدثني شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامة ببغداد ، ممن كان ينقل عنه ، قال قال لي : قد رأيت بعض من يقولون بفضله من أهل هذا البيت ، فما رأيت مثله قط في فضله ونسكه ! فقلت له : من وكيف رأيتَه ؟ قال : جمعنا أيام السندي بن شاهك ثمانين رجلاً من الوجوه المنسوبين إلى الخير ، فأدخلنا على موسى بن جعفر فقال لنا السندي : يا هؤلاء أنظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به ويكثرون في ذلك ، وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق ، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءً ، وإنما ينتظر به أن يقدم فيناظر أمير المؤمنين ! وهذا هو صحيح موسع عليه في جميع أموره فسلوه . قال : ونحن ليس لنا هم إلا النظر إلى الرجل وإلى فضله وسمته ، فقال موسى بن جعفر : أما ما ذكر من التوسعة وما أشبهها فهو على ما ذكر ، غير أنني أخبركم أيها النفر أنني قد سقيت السم في سبع تمرات وأنا غداً أخضّرُ ، وبعد غد أموت قال : فنظرت إلى السندي بن شاهك يضطرب ويرتعد مثل السعفة ! ورواه أمالي الصدوق / ٢١٣ ، وغيبة الطوسي / ٣٢ ، وقرب الإسناد / ٣٣٣ ، والعيون : ٩١ / ٢ ، وفيه : « قال الحسن : وكان هذا الشيخ من خيار العامة ، شيخ صدوق مقبول القول ، ثقة جداً عند الناس » .

وفي عيون أخبار الرضا علياً : ٩١ / ٢ : « حدثني عمر بن واقد قال : أرسل السندي بن شاهك في بعض الليل وأنا ببغداد يستحضرني ، فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي . قال فأوصيت عيالي بما احتجت إليه وقلت : إن الله وإننا إليه راجعون ، ثم

ركبت إليه فلما رأيته مقبلاً قال : يا أبا حفص لعننا أربعناك وأفرعناك ؟ قلت : نعم  
قال : فليس هناك إلا خير . قلت : فرسول تبعثه إلى منزلي يخبرهم بخبري . قال :  
نعم ثم قال : يا أبا حفص أتدري لم أرسلت إليك ؟ فقلت : لا ، قال : أتعرف  
موسى بن جعفر ؟ قلت : إي والله إني لأعرفه وبينه صداقه منذ دهر ، فقال :  
من هاهنا ببغداد يعرفه ممن يقبل قوله ؟ فسميت له أقواماً ، ووقع في نفسي أنه قد  
مات ! قال : فبعث فجاء بهم كما جاء بي فقال : هل تعرفون قوماً يعرفون موسى  
بن جعفر ؟ فسموا له قوماً فجاء بهم ، فأصبحنا ونحن في الدار نيف وخمسون  
رجلاً ممن يعرف موسى بن جعفر وقد صحبه ، قال ثم قام ودخل ، وصلينا ،  
فخرج كاتبه ومعه طومار وكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحلاننا ، ثم دخل إلى  
السندي قال : فخرج السندي فضرب يده فقال لي : قم يا أبا حفص فهضت  
ونفض أصحابنا ودخلنا ، فقال لي : يا أبا حفص إكشف الثوب عن وجه موسى  
بن جعفر فكشفته فرأيتته ميتاً ، فبكيت واسترجعت ، ثم قال للقوم : أنظروا إليه  
فدنا واحد واحد فنظروا إليه ، ثم قال : تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر  
بن محمد ؟ قال قلنا : نعم نشهد أنه موسى بن جعفر بن محمد . ثم قال : يا غلام  
إطرح على عورته منديلاً واكشفه ، قال ففعل قال : أترون أثراً تنكرونه ؟ فقلنا : لا  
ما نرى به شيئاً ولا نراه إلا ميتاً . قال : فلا تبرحوا حتى تغسلوه وتكفونوه قال : فلم  
نبرح حتى غسل وكفن وحمل إلى المصلى ، فصلى عليه السندي بن شاهك ، ودفناه  
ورجعنا » .

وفي الإرشاد : ٢ / ٢٤٣ : « ولما مات موسى علياً أدخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد ، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق ، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه فشهدوا على ذلك . وأخرج ووضع على الجسر ببغداد ، ونودي : هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه ، فجعل الناس يتفرون في وجهه وهو ميت » وإعلام الوري : ٢ / ٣٤ .

قال الطوسي في الغيبة / ٢٣ : « فروى يونس بن عبد الرحمن قال : حضر الحسين بن علي الرواسي جنازة أبي إبراهيم علياً فما وضع على شفير القبر ، إذا رسول من سندي بن شاهك قد أتى أبا المضا خليفته وكان مع الجنازة أن اكشف وجهه للناس قبل أن تدفنه حتى يروه صحيحاً لم يحدث به حدث ! قال : وكشف عن وجه مولاي حتى رأيته وعرفته ، ثم غطي وجهه وأدخل قبره صلى الله عليه » .

وفي عيون أخبار الرضا علياً : ١ / ٩٦ : « عن محمد بن صدقه العنبري قال : لما توفي أبو إبراهيم موسى بن جعفر علياً جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبية وبني العباس وسائر أهل المملكة والحكام ، وأحضر أبا إبراهيم موسى بن جعفر فقال : هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه ، وما كان بيني وبينه ما أستغفر الله منه في أمره يعني في قتله ، فانظروا إليه فدخلوا عليه سبعون رجلاً من شيعته فنظروا إلى موسى بن جعفر علياً وليس به أثر جراحه ولا خنق وكان في رجله أثر الحناء فأخذه سليمان بن أبي جعفر فتولى غسله وتكفينه ، وتحفى وتحسر في جنازته » .

أقول : كان هارون عند شهادة الإمام عليه السلام في الرقة ، ومن البعيد أنه جاء الى بغداد فيكون السندي بن شاهك هو الذي جمعهم وأبلغهم كلام هارون هذا .

ومن الملاحظ أن هارون حاول بواسطة السندي أن يبعد التهمة عن نفسه ، بأساليب متعددة ، لكن كيف يمكنه ذلك والإمام عليه السلام في سجنه ، وقد غضب على وزيره لأنه لم يمثل أمره فيه ! ولعنه وهو في الرقة ، وبعث من يهينه ويضربه وبعث أباه لينفذ ما لم ينفذه الإبن !

إن هذه النصوص كافية لإدانة هارون ، فكيف إذا ضمنا إليها غيرها وهو كثير !

\* \*

## بعض أخبار الإمام الكاظم عليه السلام في السجن

### ١. كان عليه السلام يشكر الله لأنه فرغه لعبادته !

في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨٨ : « حدثنا الثوباني قال : كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر بضع عشره سنة كل يوم سجدة انقضاء الشمس إلى وقت الزوال ، فكان هارون ربما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس أبو الحسن ، فكان يرى أبا الحسن ساجداً فقال للربيع : يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟! فقال : يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب ، وإنما هو موسى بن جعفر ، له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال !

قال الربيع : فقال لي هارون : أما إن هذا من رهبان بني هاشم ! قلت : فمالك قد ضيقت عليه الحبس ؟ قال : هيهات لا بد من ذلك » !

أقول : يظهر أن ذلك كان في حبسه عليه السلام أول خلافة الرشيد ، حيث كان حاجبه الربيع مسؤولاً عن حبس الإمام عليه السلام . أما الخبر التالي فهو عن حبسه آخر مرة ، لأنه كان عند الفضل بن الربيع ثم عند الفضل بن يحيى ، ثم عند السندي .

في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٩٨ ، عن عبد الله الفروي قال : « دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لي : أدن فدنوت حتى حاذيته ثم قال لي :

أشرف إلى بيت الدار فأشرفت فقال : ما ترى في البيت ؟ فقلت : ثوباً مطروحاً !  
 فقال : أنظر حسناً ، فتأملت ونظرت فتيقنت فقلت : رجل ساجد ! فقال لي :  
 تعرفه ؟ قلت : لا قال : مولاك ! قلت : ومن مولاي ؟ فقال : تتجاهل عليّ ! فقلت :  
 ما أتجاهل ولكني لا أعرف لي مولى ، فقال : هذا أبو الحسن موسى بن جعفر ! إني  
 أتفقده الليل والنهار فلا أجده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك  
 بها ، إنه يصلي الفجر فيعقب ساعة دبر الصلاة إلى أن تطلع الشمس ، ثم يسجد  
 سجدةً فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس ، وقد وكل من يتصد له الزوال ،  
 فلست أدري متى يقول الغلام : قد زالت الشمس ، إذ يثب فيبتدئ الصلاة من  
 غير أن يحدث ، فأعلم أنه لم ينم في سجوده ولا أغفى ، ولا يزال إلى أن يفرغ من  
 صلاة العصر ، فإذا صلى سجد سجدةً فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس ،  
 فإذا غابت الشمس وثب من سجده فصلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً ! ولا  
 يزال صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة ، فإذا صلى العتمة أفطر على شويءٍ يؤتى  
 به ، ثم يجدد الوضوء ، ثم يسجد ثم يرفع رأسه فينام نومته خفيفه ثم يقوم فيجدد  
 الوضوء ، ثم يقوم فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر . فلست  
 أدري متى يقول الغلام إن الفجر قد طلع ؟! إذ قد وثب هو لصلاة الفجر ! فهذا  
 دأبه منذ حول إلى الآن ! فقلت : إتق الله ولا تحدثن في أمره حدثاً يكون فيه زوال  
 النعمة ، فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءاً إلا كانت نعمته زائلة ! فقال :  
 قد أرسلوا إليّ غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ذلك ، وأعلمتهم أني لا أفعل  
 ذلك ، ولو قتلوني ما أجبتهم إلى ما سألوني !

فلما كان بعد ذلك ، حُوِّلَ إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أياماً ، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل يوم مائدة ، حتى مضى ثلاثة أيام ولياليها ، فلما كانت الليلة الرابعة قدمت مائدة للفضل بن يحيى فرفع عليه السلام يده إلى السماء فقال : يا رب إنك تعلم أنني لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي ! فأكل فمرض فلما كان الغد جاءه الطبيب فعرض عليه خضرة في بطن راحته ، وكان السم الذي سُمِّ به قد اجتمع في ذلك الموضع ، فانصرف الطبيب إليهم فقال : والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم ، ثم توفي عليه السلام « ! ونحوه أمالي الصدوق / ٢١٠

وفي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٤٠ : « وقال أحمد بن عبد الله : لما نقل الكاظم عليه السلام من دار الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى البرمكي كان ابن الربيع يبعث إليه في كل ليلة مائدة ومنع أن يدخل من عنده غيره حتى مضى ثلاثة أيام ، فلما كانت الليلة الرابعة قدمت إليه مائدة البرمكي قال : فرفع رأسه إلى السماء فقال : يا رب أنك تعلم أنني لو أكلت قبل اليوم كنت أعنت على نفسي ! قال فأكل فمرض ، فلما كان من الغد بعث إليه بالطبيب فقال عليه السلام : هذه عنتي ، وكانت خضرة في وسط راحته تدل على أنه سم ، فانصرف إليهم وقال : والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم » !

وفي تاريخ أبي الفداء / ٢٩٣ : « ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة ، فيها توفي موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ببغداد في حبس الرشيد وحبسه عند السندي بن شاهك ... وكان يلقب الكاظم : لأنه كان يحسن إلى من يسئ إليه ... وتوفي في

هذه السنة أعني سنة ثلاث وثمانين ومائة ، لخمس بقين من رجب ببغداد وقبره مشهور هناك ، وعليه مشهد عظيم في الجانب الغربي من بغداد » .

أقول : يفهم من قوله عليه السلام : « يا رب إنك تعلم أي لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي » ! أن السم قدم له مرات قبل ذلك وعرفه الله إياه فتجنبه ، وكان تناوله عليه حراماً ، أما في هذه المرة فكان مأموراً بتناوله !

كما لا يتنافى مع ما رواه في رجال الطوسي ( ٢ / ٨٦٣ ) : « عن عبد الله بن طاووس ، قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام ... إن يحيى بن خالد سم أباك موسى بن جعفر صلوات الله عليه ؟ قال : نعم سمه في ثلاثين رطبة ، قلت له : فما كان يعلم أنها مسمومة ؟ قال : غاب عنه المحدث . قلت : ومن المحدث ؟ قال : ملك أعظم من جبريل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة صلوات الله عليهم وليس كل ما طلب وجد » ! فإنها تدل على غياب روح القدس عند تناوله الطعام ، فكأنه عليه السلام أمره إن غاب عنه ، أن يأكل ما يقدمونه له !

ولا يرد الإشكال : كيف يأذن أو يأمر الله تعالى عبده بأن يتناول السم ؟ لأن تكليف المعصوم عليه السلام غير تكليفنا ، ولأن الله تعالى : **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** .



## ٢ . رسالة الإمام عليه السلام الى هارون الرشيد

روت عامة المصادر أن الإمام الكاظم عليه السلام أرسل من سجنه الى هارون الرشيد رسالة مختصرة ، لا بد أنها هزت الرشيد ونغصت عليه عيشه ، وهذا نصها :

« إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء ، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء ، يخسر فيه المبتلون » ! ( تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٢ ، وتهذيب الكمال : ٢٩ / ٥٠ ، وسير الزهبي : ٦ / ٢٧٣ ، وكامل ابن الأثير : ٦ / ١٦٤ ، وتاريخ الذهبي : ١٢ / ٤١٧ ، والفصول المهمة : ٢ / ٩٥٨ ، وصفة الصفوة : ٢ / ١٨٧ ، والمنتظم : ٩ / ٨٨ ) .

## ٣ . رسالة الإمام عليه السلام الى يحيى بن خالد البرمكي

روى الطوسي في الغيبة / ٥١ ، عن « داود بن زربي قال : بعث إلي العبد الصالح عليه السلام وهو في الحبس فقال : إئت هذا الرجل ، يعني يحيى بن خالد فقل له : يقول لك أبو فلان : ما حملك على ما صنعت ؟ أخرجتني من بلادي ، وفرقت بيني وبين عيالي ! فأنتيه وأخبرته فقال : زبيدة طالق وعليه أغلظ الأيمان ، لوددت أنه غرم الساعة ألفي ألف وأنت خرجت ، فرجعت إليه فأبلغته فقال : إرجع إليه فقل له : يقول لك : والله لتخرجني أو لأخرجن » !

أقول : يبدو أن هذه الرسالة في الحبس الأول للإمام عليه السلام ففيها دعا بالدعاء الذي تقدم : « فقال : يا سيدي نجني من حبس هارون ، وخلصني من يده . يا مخلص الشجر من بين رمل وطين ، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلص الولد

من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلص النار من الحديد والحجر ، ويا مخلص الروح  
من بين الأحشاء والأمعاء ، خلصني من يد هارون »

ويظهر أن يحيى البرمكي هو الذي كان سعى به وأمر الرشيد بإحضاره وحبسه  
وذلك في أول خلافة هارون ، وقد كانت كل أمور هارون بيد يحيى !

#### ٤ . عاهرة الرشيد صارت عابدة !

قال في مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤١٥ : « في كتاب الأنوار ، قال العامري : إن هارون  
الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية حسيمة لها جمال ووضاءة ، لتخدمه في  
السجن ، فقال عليه السلام : قل له : **بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ** ، لا حاجة لي في هذه ولا في  
أمثالها ! قال : فاستطار هارون غضباً وقال : إرجع إليه وقل له : ليس برضاك  
حبسناك ، ولا برضاك أخدمناك ، واترك الجارية عنده وانصرف !

قال فمضى ورجع ، ثم قام هارون عن مجلسه . وأنفذ الخادم إليه ليتفحص عن  
حالتها فأراها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول : قدوس سبحانك سبحانك ، فقال  
هارون : سحرها والله موسى بن جعفر بسحره ، عليّ بها ! فأتيّ بها وهي ترتعد  
شاخصة نحو السماء بصرها ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : شأنى الشأن البديع إني  
كنت عنده واقفة وهو قائم يصلي ليله ونهاره ، فلما انصرف من صلاته بوجهه  
وهو يسبح الله ويقدهسه قلت : يا سيدي هل لك حاجة أعطيها ؟ قال : وما  
حاجتي إليك ! قلت : إني أدخلت عليك لحوائجك ، قال : فما بال هؤلاء قالت :  
فالتفتُ فإذا روضةً مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري ، ولا أولها من آخرها ،  
فيها مجالس مفروشة بالوشى والديباج ، وعليها وصفاء ووصايف ، لم أر مثل

وجوههم حسناً ، ولا مثل لباسهم لباساً ، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل والدر والياقوت ، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ، ومن كل الطعام ، فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم ، فرأيت نفسي حيث كنت !

قال فقال هارون : يا خبيثة لعلك سجدت فتمت ، فرأيت هذا في منامك !

قالت : لا والله يا سيدي إلا قبل سجودي رأيت ، فسجدت من أجل ذلك !

فقال الرشيد : إقبض هذه الخبيثة إليك ، فلا يسمع هذا منها أحد !

فأقبلت في الصلاة ، فإذا قيل لها في ذلك قالت : هكذا رأيت العبد الصالح ، فسئلت عن قولها ؟ قالت : إني لما عاينت من الأمر نادني الجواري يا فلانة إبعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه ، فنحن له دونك !

فما زالت كذلك حتى ماتت ! وذلك قبل موت موسى عليه السلام بأيام يسيرة » !

## ٥ . فقهاء السلطة يزورون الإمام عليه السلام في السجن

التقى الإمام عليه السلام في سجنه وسفره بكثيرين ، وهدى الله بعضهم على يده ، كالمسيب بن زهير ، وغلّام السندي بن شاهك ، والجارية التي بعثها الرشيد !

في الخرائج : ١ / ٣٢٢ : « عن إسحاق بن عمار قال : لما حبس هارون أبا الحسن موسى دخل عليه أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحباً أبي حنيفة ، فقال أحدهما للآخر : نحن على أحد أمرين إما أن نسأويه ، وإما أن نشأكله ، فجلسا بين يديه ، فجاء رجل كان موكلاً به من قبل السندي بن شاهك فقال : إن نوبتي قد انقضت وأنا على الإنصراف ، فإن كانت لك حاجة أمرتني حتى آتيك بها في الوقت الذي تلحقني النوبة ؟ فقال له : ما لي حاجة . فلما أن خرج قال لأبي يوسف ومحمد بن

الحسن : ما أعجب هذا يسألني أن أكلفه حاجة من حوائجي ليرجع ، وهو ميت في هذه الليلة ! قال فغمز أبو يوسف محمد بن الحسن للقيام فقاما ، فقال أحدهما للآخر : إنا جئنا لنسأله عن الفرض والسنة وهو الآن جاء بشئٍ آخر كأنه من علم الغيب ! ثم بعثنا برجل مع الرجل فقالا : إذهب حتى تلزمه وتنتظر ما يكون من أمره في هذه الليلة وتأتينا بخبره من الغد ! فمضى الرجل فنام في مسجد عند باب داره فلما أصبح سمع الواعية ورأى الناس يدخلون داره ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قد مات فلان في هذه الليلة فجأة من غير علة ! فانصرف الرجل إلى أبي يوسف ومحمد وأخبرهما الخبر ، فأتيا أبا الحسن عليه السلام فقالا : قد علمنا أنك قد أدركت العلم في الحلال والحرام ، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنه يموت في هذه الليلة ؟ قال : من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام ! فلما أورد عليهما هذا بقيا لا يجيران جواباً « !

أقول : يقصد الإمام عليه السلام ما أخرجه الطبراني في الأوسط ( ٢ / ٢١٣ ) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه : أَدْعُوا لِي أَخِي فَدَعُوا لَهُ أَبَا بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَدْعُوا لِي أَخِي ، فَدَعُوا لَهُ عُمَرَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَدْعُوا لِي أَخِي ، فَدَعُوا لَهُ عَثْمَانَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَدْعُوا لِي أَخِي ، فَدَعِيَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَسْتَرَهُ بِثَوْبٍ وَأَكْبَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ قِيلَ لَهُ : مَا قَالَ ؟ قَالَ : عَلِمَنِي أَلْفَ بَابٍ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ إِلَى أَلْفِ بَابٍ « ! وتاريخ دمشق : ٤٢ / ٣٨٥ .

وفي بصائر الدرجات / ٣٢٦ : « عن الأصبغ بن نباته قال أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة ، فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في

سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة تسمى الخوزنق قالوا تنتزه فإذا كان يوم الأربعاء لحقنا علينا قبل أن يُجمّع . فبيناهم يتغذون إذ خرج عليهم ضب فصادوه فأحذه عمرو بن حريث فبسط كفاً فقال : بايعوه هذا أمير المؤمنين ! فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم ! وارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المداين يوم الجمعة وأمير المؤمنين على المنبر يخطب ، ولم يفارق بعضهم بعضاً وكانوا جميعاً حتى نزلوا باب المسجد ، فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين فقال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرَّ إليّ الف حديث ، في كل حديث ألف باب ، لكل باب مفتاح ، وإني سمعت الله يقول : **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ** ، وإني أقسم لكم بالله لبيعثن ثمانية نفر إمامهم الضب ، ولو شئت أن أسميهم فعلت ! قال : فلو رأيت عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السعفة !

## ٦. كان عليه السلام يجيب من السجن على بعض الرسائل

فقد رويت إجاباته عليه السلام لمحمد بن أبي عمير وعلي بن سويد السائي ، نسبة إلى الساية قرية قرب المدينة ( النحاسي / ٢٧٦ ) وهما من كبار شخصيات شيعته .

ففي الكافي : ١٢٤ / ٨ : « عن علي بن سويد قال : كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة ، فاحتبس الجواب علي أشهر ، ثم أجابني بجواب هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله العلي العظيم الذي بعظّمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين ، وبعظّمته ونوره عاداه الجاهلون ، وبعظّمته ونوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة ، والأديان المتضادة ، فمصيب ومخطئ ، وضال ومهتدي ،

وسميع ، وأصم وبصير ، وأعمى حيران . فالحمد لله الذي عرف ووصف دينه محمد صلى الله عليه وآله . أما بعد فإنك أمرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلة خاصة وحفظ مودة ما استرعاك من دينه ، وما ألهمك من رشدك وبصرك من أمر دينك ، بتفضيلك إياهم وبردك الأمور إليهم .

كتبت تسألني عن أمور كنت منها في تقيّة ، ومن كتمانها في سعة ، فلما انقضى سلطان الجبّارة ، وجاء سلطان ذي السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها ، العتاة على خالقهم ، رأيت أن أفسر لك ما سألتني عنه ، مخافة أن تدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم ، فاتق الله عز ذكره وخص بذلك الأمر أهله ، واحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارثاً عليهم بإفشاء ما استودعتك ، وإظهار ما استكتمت ، ولن تفعل إن شاء الله .

إن أول ما أنهي إليك أني أنعي إليك نفسي في ليالي هذه ، غير جانح ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن ، مما قد قضى الله عز وجل وحتم ، فاستمسك بعروة الدين ، آل محمد والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي ، والمسألة لهم والرضا بما قالوا ، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ، ولا تحبن دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم ! وتدري ما خانوا أماناتهم ؟ ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه ، ودلوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم ، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون !

وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي سبيل الله ، فلما اغتصباه ذلك لم يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إياه

كرهاً فوق رقبتيه إلى منازلهما ، فلما أحرزاه تولياً إنفاقه ، أيبلغان بذلك كفوفاً ؟  
فلعمري لقد نافقا قبل ذلك وردا على الله عز وجل كلامه ، وهزئاً برسوله صلى الله عليه وآله  
وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

والله ما دخل قلب أحد منهما شئ من الإيمان منذ خروجهما من حالتيهما ، وما  
ازدادا إلا شكاً ! كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى  
محل الخزي في دار المقام ! وسألت عمن حضر ذلك الرجل وهو يغضب ماله  
ويوضع على رقبتيه ؟ منهم عارف ومنكر ، فأولئك أهل الردة الأولى من هذه الأمة  
فعلينهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وسألت عن مبلغ علمنا وهو على ثلاثة وجوه : ماض وغابر وحادث ، فأما  
الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في  
الأسماع وهو أفضل علمنا ، ولا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله .

وسألت عن أمهات أولادهم وعن نكاحهم وعن طلاقهم ، فأما أمهات  
أولادهم فهن عواهر إلى يوم القيامة ، نكاح بغير ولي وطلاق في غير عدة .  
وأما من دخل في دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكه .

وسألت عن الزكاة فيهم ، فما كان من الزكاة فأنتم أحق به ، لأننا قد أحللتنا ذلك  
لكم ، من كان منكم وأين كان .

وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم ترفع إليه حجة ولم يعرف الإختلاف ،  
فإذا عرف الإختلاف فليس بضعيف .

وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عز وجل ولو على نفسك والوالدين والأقربين ، فيما بينك وبينهم فإن خفت على أخيك ضيماً فلا .

وادع إلى شرائط الله عز ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته ، ولا تحصن بحصن رياء . ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا ونسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف منا خلافة ، فإنك لا تدري لم قلناه وعلى أي وجه وصفناه !

آمن بما أخبرك ولا تفش ما استكتمناك من خبرك ، إن واجب حق أخيك أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته ، ولا تحقد عليه وإن أساء ، وأجب دعوته إذا دعاك ، ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منك . وعده في مرضه ، ليس من أخلاق المؤمنين الغش ولا الأذى ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفحش ولا الأمر به . فإذا رأيت المشوه الاعرابي في جحفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المؤمنين ، وإذا انكسفت الشمس فارفع بصرك إلى السماء وانظر ما فعل الله عز وجل بالمجرمين . فقد فسرت لك جملاً مجملاً وصلى الله على محمد وآله الأخيار » . ورجال الطوسي : ٢ / ٧٥٤

## ٧ . غلام السندي بن شاهك يتشيع !

في رجال الطوسي : ٢ / ٧٣٧ : « عن بشار مولي السندي بن شاهك قال : كنت من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ، فدعاني السندي بن شاهك يوماً فقال لي : يا بشار إني أريد أن أئتمنك على ما أئتمني عليه هارون ، قلت : إذن لا أبقى فيه غاية فقال : هذا موسى بن جعفر قد دفعه إلي وقد وكلتك بحفظه ، فجعله في دار دون



حرمه ووكلي عليه ، فكنيت أقفل عليه عدة أقفال ، فإذا مضيت في حاجة وكنت امرأتي بالباب فلا تفارقه حتى أرجع !

قال بشار : فحول الله ما كان في قلبي من البغض حباً ! قال : فدعاني عليه السلام يوماً فقال : يا بشار إمض إلى سجن القنطرة فادع لي هند بن الحجاج وقل له : أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه ، فإنه سينهرك ويصيح عليك ، فإذا فعل ذلك فقل له : أنا قد قلت لك وأبلغت رسالته ، فإن شئت فافعل ما أمرني وإن شئت فلا تفعل ، واتركه وانصرف ! قال : ففعلت ما أمرني وأقفلت الأبواب كما كنت أقفل وأقعدت امرأتي على الباب وقلت لها : لا تبرحي حتى آتيك ! وقصدت إلى سجن القنطرة فدخلت إلى هند بن الحجاج فقلت : أبو الحسن يأمرك بالمصير إليه قال : فصاح علي وانتهرني فقلت له : أنا قد أبلغتك وقلت لك فإن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل ، وانصرفت وتركته وجئت إلى أبي الحسن عليه السلام فوجدت امرأتي قاعدة على الباب والأبواب مغلقة ، فلم أزل أفتح واحداً واحداً منها حتى انتهيت إليه فوجدته وأعلمته الخبر ، فقال : نعم قد جاءني وانصرف ، فخرجت إلى امرأتي فقلت لها : جاء أحد بعدي فدخل هذا الباب ؟ فقالت : لا والله ما فارقت الباب ولا فتحت الأقفال حتى جئت .

قال : ورواني علي بن محمد بن الحسن الأنباري أخو صندل قال : بلغني من جهة أخرى أنه لما صار إليه هند بن الحجاج قال له العبد الصالح عند انصرافه : إن شئت رجعت إلى موضعك ولك الجنة ، وإن شئت انصرفت إلى منزلك ! فقال : أرجع إلى موضعي إلى السجن » .

## ٨. كان الإمام عليه السلام يخرج من السجن بنحو الإعجاز

ذكرت الروايات أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان يخرج من سجنه أو من إقامته الجبرية بنحو الإعجاز ، ويرجع الى بغداد ، أو الى سجنه وقيوده !

١ - ففي مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤٢٠ ، أنه عليه السلام : « دعا بالمسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به فقال له : يا مسيب إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأعهد إلى علي ابني ما عهدته إليّ أبي وأجعله وصيي وخليفتي وأمره بأمرني ! فقال المسيب : كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وعليها أقفالها والحرس معي على الأبواب ؟!

فقال : يا مسيب ضعف يقينك في الله عز وجل وفينا ؟ قلت : لا يا سيدي ، قال : فسمعتة يدعو ثم فقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه ، وأعاد الحديد إلى رجليه ، فخررت لله ساجداً شاكراً على ما أنعم عليّ به من معرفته ، فقال لي : إرفع رأسك يا مسيب واعلم أي راحل إلى الله عز وجل في ثالث هذا اليوم ! لا تبك يا مسيب فإن علياً ابني هو إمامك ومولاك بعدي فأنته فتمسك بولايته فإنك لن تضل ما لزمته » !

٢ - روى في مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٤١٤ ، عن البرجمي : « جمعني مسجد بإزاء دار السندي بن شاهك وابن السكيت ، فتنفاوضنا في العريضة ومعنا رجل لا نعرفه ، فقال : يا هؤلاء أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة ألسنتكم وساق الكلام إلى إمام الوقت ، وقال : ليس بينكم وبينه غير هذا الجدار !

قلنا : تعنى هذا المحبوس موسى ؟ قال : نعم ، قلنا : سترنا عليك فقم من عندنا خيفة أن يراك أحد جليسينا فنؤخذ بك ! قال : والله لا يفعلون ذلك أبداً والله ما قلت لكم إلا بأمره وإنه ليرانا ويسمع كلامنا ، ولو شاء أن يكون معنا لكان ! قلنا : فقد شئنا فادعه الينا ! فإذا قد أقبل رجل من باب المسجد داخلًا كادت لرؤيته العقول أن تذهل ، فعلمنا أنه موسى بن جعفر عليه السلام ، ثم قال : أنا هذا الرجل ، وتركنا وخرجنا من المسجد مبادراً فسمعنا وجيباً شديداً ، وإذا السندي بن شاهك يعدو داخلًا إلى المسجد معه جماعة فقلنا : كان معنا رجل فدعانا إلى كذا وكذا دخل هذا الرجل المصلي وخرج ذاك الرجل ولم نره ، فأمر بنا فأمسكنا ، ثم تقدم إلى موسى وهو قائم في المحراب فأتاه من قبل وجهه ونحن نسمع فقال : يا ويحك كم تخرج بسحرك هذا وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق والأقفال وأردك ، فلو كنت هربت كان أحب إليّ من وقوفك هاهنا ، أتريد يا موسى ان يقتلني الخليفة ؟! قال فقال موسى ونحن نسمع كلامه : كيف أهرب والله في أيديكم موقت لي يسوق إليها أقداره وكرامتي على أيديكم .. في كلام له !

قال : فأخذ السندي بيده ومشى ثم قال للقوم : دعوا هذين وأخرجوا إلى الطريق فامنعوا أحداً يمر من الناس حتى أتم أنا وهذا إلى الدار » !

أقول : هذا يعني أن ابن السكيت رحمته الله كان شاباً ، لأنه قتل شهيداً على تشييعه بيد المتوكل بعد نحو خمسين سنة .

كما تدل الرواية على أن الإمام عليه السلام كان يخرج من سجنه كثيراً ، وكان السندي يعلم بذلك ، ويضطرب خوفاً من أن يتهمه هارون بأنه أطلقه !

٣ - في تاريخ يعقوبي : ٤١٤ / ٢ : « قيل لموسى بن جعفر وهو في الحبس : لو كتبت إلى فلان يكلم فيك الرشيد ؟ فقال : حدثني أبي عن آبائه أن الله عز وجل أوحى إلى داود : يا داود ، إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني ، عرفت ذلك منه ، إلا وقطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحته » !

أقول : نلاحظ أن الإمام عليه السلام كان في الحبس الأول يدعو بالخلاص من السجن ، بينما لم يؤثر عنه ذلك في الحبس الثاني ، فكأن ذلك يحتاج إلى إذن من ربه عز وجل ! وكذا أن يطلب من هارون أن يطلق سراحه ، أو يوسط أحداً عنده .

٤ - تقدم من الكافي : ٣٨١ / ١ : « عن مسافر قال : أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أخرج به ، أبا الحسن عليه السلام أن ينام على بابه في كل ليلة أبداً ما كان حياً إلى أن يأتيه خبره ! قال : فكننا في كل ليلة نفرش لأبي الحسن في الدهليز ، ثم يأتي بعد العشاء فينام ، فإذا أصبح انصرف إلى منزله ! قال : فمكث على هذه الحال أربع سنين ، فلما كان ليلة من الليالي أبطأ عنا وفرش له فلم يأت كما كان يأتي ، فاستوحش العيال وذعروا ، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه ، فلما كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال ... » .

وذكرت الرواية أن الإمام الرضا أخبرهم بشهادة أبيه عليه السلام وبعد أيام جاء بريد إلى الوالي بالخبر كما أخبر عليه السلام . وقد ذهب الإمام الرضا عليه السلام في تلك الليلة بنحو الإعجاز لمراسم تغسيل أبيه والصلاة عليه ، كما نصت عليه رواية المسيب . وهذا أمر بسيط بالنسبة للأئمة عليهم السلام ، وقد ادعى الآخرون كرامة طي الأرض وأنواعاً من الكرامات لكثير من أئمتهم ورجالهم العاديين .

ويظهر أن غرض الكاظم عليه السلام من أمره إياه أن ينام في ممر داره ، أنه كان يأتي إليه ويلتقي به ، أو أن الرضا عليه السلام كان يذهب إليه .

## الإمام الكاظم عليه السلام وعلماء النصارى

### ١ . إسلام الراهب بُرَيْهَةَ على يده عليه السلام

روى في الكافي : ١ / ٢٢٧ ، وبصائر الدرجات / ١٥٦ والصدوق في كتابه التوحيد / ٢٧٠ ، بسنده : « عن هشام بن الحكم ، عن جاثليق من جثالقة النصارى يقال له بريهة ، قد مكث جاثليق النصرانية سبعين سنة وكان يطلب الإسلام ، ويطلب من يحتج عليه ممن يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته ، قال : وعرف بذلك حتى اشتهر في النصارى والمسلمين واليهود والمجوس ، حتى افتخرت به النصارى وقالت : لو لم يكن في دين النصرانية إلا بريهة لأجزأنا ، وكان طالباً للحق والإسلام مع ذلك وكانت معه امرأة تخدمه طال مكثها معه ، وكان يسر إليها ضعف النصرانية وضعف حجتها قال : فعرفت ذلك منه فضرب بريهة الأمر ظهراً لبطن وأقبل يسأل فرق المسلمين والمختلفين في الإسلام من أعلمكم ؟

وأقبل يسأل عن أئمة المسلمين وعن صلحائهم وعلمائهم ، وأهل الحجى منهم وكان يستقرئ فرقة فرقة لا يجد عند القوم شيئاً ، وقال : لو كانت أئمتكم أئمة على الحق لكان عندكم بعض الحق ، فوصفت له الشيعة ووصف له هشام بن الحكم ، فقال يونس بن عبد الرحمن : فقال لي هشام : بينما أنا على دكاني على باب الكرخ جالس ، وعندى قوم يقرؤون عليّ القرآن ، فإذا أنا بفوج النصارى معه ما

بين القسيسين إلى غيرهم نحو من مائة رجل عليهم السواد والبرانس ، والجاثليق الأكبر فيهم بريهة ، حتى نزلوا حول دكاني ، وجعل لبريهة كرسي يجلس عليه فقامت الأساقفة والرهبانة على عصيهم وعلى رؤوسهم برانسهم ، فقال بريهة : ما بقي من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم بالكلام إلا وقد ناظرته في النصرانية ، فما عندهم شيء ، وقد جئت أناظرك في الإسلام ، قال : فضحك هشام فقال : يا بريهة إن كنت تريد مني آيات كآيات المسيح فليس أنا بالمسيح ولا مثله ولا أدانيه ، ذاك روح طيبة خميصة مرتفعة ، آياته ظاهرة ، وعلاماته قائمة .

قال بريهة : فأعجبني الكلام والوصف . قال هشام : إن أردت الحجاج فهاهنا ، قال بريهة : نعم فإني أسألك ما نسبة نبيكم هذا من المسيح نسبة الأبدان ؟

قال هشام : ابن عم جده لأمه ، لأنه من ولد إسحاق ومحمد من ولد إسماعيل ، قال بريهة ، وكيف تنسبه إلى أبيه ؟ قال هشام : إن أردت نسبه عندكم أخبرتك ، وإن أردت نسبه عندنا أخبرتك . قال بريهة : أريد نسبه عندنا وظننت أنه إذا نسبه نسبتنا أغلبه ، قلت : فانسبه بالنسبة التي نسبه بها .

قال هشام : نعم ، تقولون : إنه قديم من قديم ، فأيهما الأب وأيهما الإبن ؟

قال بريهة : الذي نزل إلى الأرض الإبن ! قال هشام : الذي نزل إلى الأرض الأب ! قال بريهة : الإبن رسول الأب . قال هشام : إن الأب أحكم من الإبن لأن الخلق خلق الأب . قال بريهة : إن الخلق خلق الأب وخلق الإبن . قال هشام : ما منعهما أن ينزلا جميعاً كما خلقا إذا اشتركا ؟!

قال بريهة : كيف يشتركان وهما شيء واحد إنما يفترقان بالإسم !

قال هشام : إنما يجتمعان بالإسم ! قال بريهة : جهل هذا الكلام ! قال هشام : عرف هذا الكلام ! قال بريهة : إن الإبن متصل بالأب ! قال هشام : إن الابن منفصل من الأب ! قال بريهة : هذا خلاف ما يعقله الناس ! قال هشام : إن كان ما يعقله الناس شاهداً لنا وعلينا ، فقد غلبتك لأن الأب كان ولم يكن الإبن فتقول : هكذا يا بريهة ؟ قال : ما أقول هكذا ! قال : فلم استشهدت قوما لا تقبل شهادتهم لنفسك ! قال بريهة : إن الأب اسم والإبن اسم يقدر به القدم .

قال هشام : الإسمان قديمان كقدم الأب والابن؟ قال بريهة : لا ولكن الأسماء محدثة . قال : فقد جعلت الأب ابناً والابن أباً ، إن كان الإبن أحدث هذه الأسماء دون الأب فهو الأب ، وإن كان الأب أحدث هذه الأسماء دون الابن فهو الأب والابن أب وليس هاهنا ابن !

قال بريهة : إن الإبن إسم للروح حين نزلت إلى الأرض ، قال هشام : فحين لم تنزل إلى الأرض فإسمها ما هو ؟ قال بريهة : فإسمها ابن نزلت أو لم تنزل . قال هشام : فقبل النزول هذه الروح كلها واحدة وإسمها اثنان ؟

قال بريهة : هي كلها واحدة روح واحدة . قال : قد رضيت أن تجعل بعضها ابناً وبعضها أباً . قال بريهة : لا لأن اسم الأب وإسم الإبن واحد .

قال هشام : فالإبن أبو الأب والأب أبو الإبن ، والابن واحد ؟

قالت الأساقفة بلسانها لبريهة : ما مر بك مثل ذا قط تقوم ؟

فتحير بريهة وذهب ليقوم فتعلق به هشام ، قال : ما يمنعك من الإسلام ؟ أفي قلبك حزازة ؟ فقلها وإلا سألتك عن النصرانية مسألة واحدة تبيت عليها ليلك

هذا فتصبح وليس لك همّة غيري ، قالت الأساقفة : لا ترد هذه المسألة لعلها تشككك ، قال بريهة : قلها يا أبا الحكم . قال هشام : أفرايتك الإبن يعلم ما عند الأب ؟ قال : نعم . قال : أفرايتك تخبر عن الإبن أيقدر على حمل كل ما يقدر عليه الأب ؟ قال : نعم . قال : أفرايتك تخبر عن الأب أيقدر على كل ما يقدر عليه الإبن ؟ قال : نعم . قال هشام : فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه وهما متساويان ، وكيف يظلم كل واحد منهما صاحبه؟! قال بريهة : ليس منهما ظلم ! قال هشام : من الحق بينهما أن يكون الإبن أب الأب والأب ابن الإبن ! بتّ عليها يا بريهة !

وافترق النصارى وهم يتمنون أن لا يكونوا رأوا هشاماً ولا أصحابه !

قال : فرجع بريهة مغتما مهتما حتى صار إلى منزله فقالت امرأته التي تخدمه : ما لي أراك مهتماً مغتماً ، فحكى لها الكلام الذي كان بينه وبين هشام ، فقالت لبريهة : ويحك أتريد أن تكون على حق أو على باطل؟! فقال بريهة : بل على الحق ، فقالت له : أينما وجدت الحق فمل إليه ، وإياك واللجاجة ، فإن اللجاجة شك والشك شؤم وأهله في النار ، قال : فصوب قولها وعزم على الغدو على هشام !

قال : فغدا عليه وليس معه أحد من أصحابه ، فقال : يا هشام ألك من تصدر عن رأيه وترجع إلى قوله وتدين بطاعته؟ قال هشام : نعم يا بريهة ، قال : وما صفته؟ قال هشام : في نسبه أو في دينه؟ قال : فيهما جميعاً صفة نسبه وصفة دينه ، قال هشام : أما النسب خير الأنساب : رأس العرب وصفوة قريش وفاضل بني هاشم ، كل من نازعه في نسبه وجده أفضل منه ، لأن قريشاً أفضل العرب وبني



هاشم أفضل قریش ، وأفضل بني هاشم خاصهم ودينهم وسيدهم ، وكذلك ولد السيد أفضل من ولد غيره ، وهذا من ولد السيد .

قال : فصف دينه ، قال هشام : شرائعه أو صفة بدنه وطهارته ؟

قال : صفة بدنه وطهارته . قال هشام : معصوم فلا يعصي ، وسخي فلا يبخل ، شجاع فلا يجبن ، وما استودع من العلم فلا يجهل ، حافظ للدين قائم بما فرض عليه ، من عترة الأنبياء ، وجامع علم الأنبياء ، يلحم عند الغضب ، وينصف عند الظلم ، ويعين عند الرضا ، وينصف من الولي والعدو ، ولا يسأل شططاً في عدوه ، ولا يمنع إفادة وليه ، يعمل بالكتاب ويحدث بالأعجوبات ، من أهل الطهارات ، يحكي قول الأئمة الأصفياء ، لم تنقض له حجة ، ولم يجهل مسألة ، يفتي في كل سنة ، ويجلو كل مدلومة .

قال بريهة : وصفت المسيح في صفاته وأثبتته بحججه وآياته ، إلا أن الشخص بائن عن شخصه والوصف قائم بوصفه ، فإن يصدق الوصف نؤمن بالشخص ، قال هشام : إن تؤمن ترشد وإن تتبع الحق لا تؤنب .

ثم قال هشام : يا بريهة ما من حجة أقامها الله على أول خلقه إلا أقامها على وسط خلقه وآخر خلقه فلا تبطل الحجج ، ولا تذهب الملل ، ولا تذهب السنن !

قال بريهة : ما أشبه هذا بالحق وأقربه من الصدق ، وهذه صفة الحكماء يقيمون من الحجة ما ينفون به الشبهة .

قال هشام : نعم ، فارتحلا حتى أتيا المدينة والمرأة معهما وهما يريدان أبا عبد الله عليه السلام فلقيا موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية ، فلما فرغ قال موسى بن

جعفر عليه السلام : يا بريهة كيف علمك بكتابك ؟ قال : أنا به عالم ، قال : كيف ثقتك بتأويله ؟ قال : ما أوثقتني بعلمي فيه . قال : فابتدأ موسى بن جعفر عليه السلام بقراءة الإنجيل ، قال بريهة : والمسيح لقد كان يقرأ هكذا وما قرأ هذه القراءة إلا المسيح ! ثم قال بريهة : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك ! قال : فأمن وحسن إيمانه وآمنت المرأة وحسن إيمانها . قال : فدخل هشام وبريهة والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام ، وحكى هشام الحكاية والكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبريهة ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : **ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .**

فقال بريهة : جعلت فداك أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء ؟ قال : هي عندنا وراثية من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها ، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شئ فيقول : لا أدري . فلزم بريهة أبا عبد الله عليه السلام حتى مات أبو عبد الله عليه السلام ، ثم لزم موسى بن جعفر عليه السلام حتى مات في زمانه فغسله بيده وكفنه بيده ولحده بيده ، وقال : هذا حوار من حوار ي المسيح يعرف حق الله عليه ، قال : فتمنى أكثر أصحابه أن يكونوا مثله »

## ٢ . إسلام راهب آخر قصد الإمام عليه السلام من الشام

وروى في الكافي : ١ / ٤٧٨ ، إسلام راهب آخر : « عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال : كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام إذ أتاه رجل نصراني ونحن معه بالعريض ، فقال له النصراني : أتيتك من بلد بعيد وسفر شاق ، وسألت ربي منذ ثلاثين سنة أن يرشدني إلى خير الأديان وإلى خير العباد وأعلمهم ، وأتاني آت في النوم فوصف لي رجلاً بعلياً دمشق فانطلقت حتى أتيته فكلمته ، فقال : أنا أعلم أهل ديني وغيري أعلم مني فقلت : أرشدني إلى من هو أعلم منك فإني لا أستعظم السفر ولا تبعد علي الشقة ، ولقد قرأت الإنجيل كلها ومزامير داود ، وقرأت

أربعة أسفار من التوراة ، وقرأت ظاهر القرآن حتى استوعبته كله ، فقال لي العالم : إن كنت تريد علم النصرانية فأنا اعلم العرب والعجم بها وإن كنت تريد علم اليهود فباطي بن شرحبيل السامري أعلم الناس بها اليوم ، وإن كنت تريد علم الإسلام وعلم التوراة وعلم الإنجيل وعلم الزبور وكتاب هود وكلما أنزل على نبي من الأنبياء في دهرك ودهر غيرك ، وما أنزل من السماء من خير فعلمه أحد أو لم يعلم به أحد فيه تبيان كل شئ وشفاء للعالمين ، وروح لمن استروح إليه ، وبصيرة لمن أراد الله به خيراً ، وأنس إلى الحق ، فأرشدك إليه ، فأته ولو مشياً على رجلك ، فإن لم تقدر فحبواً على ركبتيك ، فإن لم تقدر فزحفواً على إصبعك ، فإن لم تقدر فعلى وجهك . فقلت : لا بل أنا أقدر على المسير في البدن والمال ، قال : فانطلق من فورك حتى تأتي يثرب ، فقلت : لا أعرف يثرب ، قال : فانطلق حتى تأتي مدينة النبي صلى الله عليه وآله الذي بعث في العرب ، وهو النبي العربي الهاشمي ، فإذا دخلتها فسل عن بني غنم بن مالك بن النجار ، وهو عند باب مسجدنا ، وأظهر بزة النصرانية وحليتها ، فإن واليها يتشدد عليهم والخليفة أشد ، ثم تسأل عن بني عمرو بن مبدول وهو بقيق الزبير ، ثم تسأل عن موسى بن جعفر وأين منزله وأين هو ، مسافر أم حاضر ؟ فإن كان مسافراً فالحقه فإن سفره أقرب مما ضربت إليه ، ثم أعلمه أن مطران عليا الغوطية غوطية دمشق هو الذي أرشدني إليك ، وهو يقرؤك السلام كثيراً ويقول لك : إني لأكثر مناجاة ربي أن يجعل إسلامي على يديك ، فقص هذه القصة وهو قائم معتمد على عصاه ، ثم قال : إن أذنت لي يا سيدي كفرت لك وجلست !

فقال عليه السلام : آذن لك أن تجلس ولا آذن لك أن تكفر ، فجلس ثم ألقى عنه برنسه ثم قال : جعلت فداك تأذن لي في الكلام ؟ قال : نعم ما جئت إلا له ، فقال له النصراني : أردد على صاحبي السلام أو ما ترد السلام ، فقال أبو الحسن عليه السلام : على صاحبك إن هداه الله ، فأما التسليم فذاك إذا صار في ديننا .

فقال النصراني : إني أسألك أصلحك الله ، قال : سل ، قال : أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي أنزل على محمد ونطق به ، ثم وصفه بما وصفه به فقال : **حَم** . **وَالكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ما تفسيرها في الباطن ؟ فقال : أما حم فهو محمد صلى الله عليه وآله ، وهو في كتاب هود الذي أنزل عليه ، وهو منقوص الحروف . وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي وأما الليلة ففاطمة وأما قوله : فيها يفرق كل أمر حكيم ، يقول : يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ورجل حكيم ، فقال الرجل : صف لي الأول والآخر من هؤلاء الرجال ، فقال : إن الصفات تشتهه ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله ، وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم ، إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديماً ما فعلتم !

قال له النصراني : إني لا أستتر عنك ما علمت ولا أكذبك ، وأنت تعلم ما أقول في صدق ما أقول وكذبه ، والله لقد أعطاك الله من فضله ، وقسم عليك من نعمه ما لا يخطر الخاطرون ولا يستتره الساترون ، ولا يكذب فيه من كذب ، فقولي لك في ذلك الحق كما ذكرت فهو كما ذكرت .

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام : أعجلك أيضاً خيراً لا يعرفه إلا قليل ممن قرأ الكتب ،  
أخبرني ما اسم أم مريم وأي يوم نفخت فيه مريم وكم من ساعة من النهار ؟

وأي يوم وضعت مريم فيه عيسى عليه السلام ولكم من ساعة من النهار ؟

فقال النصراني : لا أدري . فقال أبو إبراهيم عليه السلام : أما أم مريم فاسمها مرثا  
وهي وهيبة بالعربية ، وأما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال ،  
وهو اليوم الذي هبط فيه الروح الأمين ، وليس للمسلمين عيد كان أولى منه ،  
عظمه الله تبارك وتعالى وعظمه محمد صلى الله عليه وآله ، فأمر أن يجعله عيداً فهو يوم الجمعة  
وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء ، لأربع ساعات ونصف من  
النهار . والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى عليه السلام هل تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هو  
الفرات ، وعليه شجر النخل والكرم ، وليس يساوي بالفرات شئ للكروم  
والنخيل ، فأما اليوم الذي حجبت فيه لسانها ونادى قيّدوس ولده وأشياعه  
فأعانوه وأخرجوا آل عمران لينظروا إلى مريم ، فقالوا لها ما قص الله عليك في  
كتابه وعلينا في كتابه ، فهل فهمته ؟

قال : نعم وقرأته اليوم الأحداث ، قال : إذن لا تقوم من مجلسك حتى يهديك الله  
قال النصراني : ما كان اسم أمي بالسريانية وبالعربية ؟

فقال : كان اسم أمك بالسريانية عنقالية ، وعنقورة كان اسم جدتك لأبيك ، وأما اسم أمك  
بالعربية فهو مية ، وأما اسم أبيك فعبد المسيح وهو عبد الله بالعربية وليس للمسيح عبد  
قال : صدقت وبررت ، فما كان اسم جدي ؟

قال : كان اسم جدك جبرئيل وهو عبد الرحمن سمّيته في مجلسي هذا . قال : أما  
إنه كان مسلماً ؟ قال أبو إبراهيم عليه السلام : نعم وقتل شهيداً ، دخلت عليه أجناد

فقتلوه في منزله غيلة والأجناد من أهل الشام قال : فما كان اسمي قبل كنيتي ؟  
 قال : كان اسمك عبد الصليب ، قال : فما تسميني ؟ قال أسميك عبد الله ، قال :  
 فلإني آمنت بالله العظيم وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرداً صمداً ،  
 ليس كما تصفه النصارى ، وليس كما تصفه اليهود ولا جنس من أجناس الشرك ،  
 وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق فأبان به لأهله وعمي المبطلون  
 وأنه كان رسول الله إلى الناس كافة ، إلى الأحمر والأسود كل فيه مشترك ، فأبصر  
 من أبصر واهتدى من اهتدى وعمي المبطلون ، وضل عنهم ما كانوا يدعون ،  
 وأشهد أن وليه نطق بحكمته ، وأن من كان قبله من الأنبياء نطقوا بالحكمة  
 البالغة وتوازوا على الطاعة لله وفارقوا الباطل وأهله والرجس وأهله ، وهجروا  
 سبيل الضلالة ونصرهم الله بالطاعة له ، وعصمهم من المعصية ، فهم لله أولياء  
 وللدين أنصار ، يحثون على الخير ويأمرون به ، آمنت بالصغير منهم والكبير ،  
 ومن ذكرت منهم ومن لم أذكر ، وآمنت بالله تبارك وتعالى رب العالمين .

ثم قطع زناره وقطع صلياً كان في عنقه من ذهب ، ثم قال : مرني حتى أضع صدقتي حيث  
 تأمرني . فقال : هاهنا أخ لك كان على مثل دينك ، وهو رجل من قومك من قيس بن ثعلبة ،  
 وهو في نعمة كنعمتك فتواسيا وتجاورا ، ولست أدع أن أورد عليكما حقكما في الإسلام .

فقال : والله أصلحك الله إنني لغني ، ولقد تركت ثلاث مائة طروق بين فرس وفرسة ،  
 وتركت ألف بعير ، فحقت فيها أوفر من حقي ، فقال له : أنت مولى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأنت في  
 حد نسبك على حالك .

فحسن إسلامه وتزوج امرأة من بني فهر وأصدقها أبو إبراهيم عليه السلام خمسين ديناراً من صدقة  
 علي بن أبي طالب عليه السلام وأخدمه وبوآه ، وأقام حتى أخرج أبو إبراهيم عليه السلام فمات بعد مخرجه  
 بثمان وعشرين ليلة .

## آيات الإمام الكاظم عليه السلام من طفولته

### ١. كان أبوه الإمام الصادق عليه السلام يحدثه وهو في المهد !

« دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد ، فجعل يساره طويلاً ! فجلست حتى فرغ ، فقممت إليه فقال لي : أدن من مولاك فسلم ، فدنوت فسلمت عليه ، فرد علي السلام بلسان فصيح » !  
( الكافي : ١ / ٣١٠ ، ودلائل الإمامة / ٣٢٦ ) .

### ٢. كان عليه السلام صبياً وأفحم أبا حنيفة !

« قال أبو حنيفة : حججت في أيام أبي عبد الله الصادق ، فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه ، إذ خرج صبي يدرج ، فقلت : يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم ؟ قال : على رسلك ، ثم قال : توق شطوط الأنهار ومساقط الثمار ، وأفنية المساجد ، وقارعة الطريق ، وتوار خلف جدار ، وشل ثوبك ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، وضع حيث شئت !

فأعجبتني ما سمعت من الصبي فقلت له : ما اسمك ؟ فقال : أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . فقلت له : يا غلام ممن المعصية ؟ فقال : إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث : إما أن تكون من الله وليست منه ، فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب . وإما أن تكون

منه ومن العبد وليست كذلك ، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف . وإما أن تكون من العبد وهي منه ، فإن عفا بكرمه وجوده ، وإن عاقب فبذنب العبد وجريته ! قال أبو حنيفة : فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله واستغنيت بما سمعت « ! تحف العقول لابن شعبة الحراني / ٤١١ ، والتوحيد للصدوق / ٩٦ .

### ٣ . حديث الإمام الكاظم عليه السلام في معجزات النبي صلى الله عليه وآله

قال الإمام الكاظم عليه السلام : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم وأنا طفل خماسي ، إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا : أنت ابن محمد نبي هذه الأمة والحجة على أهل الأرض ؟ قال لهم : نعم . قالوا : إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى أتى إبراهيم عليه السلام وولده الكتاب والحكم والنبوة ، وجعل لهم الملك والإمامة ، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا تتعدهم النبوة والخلافة والوصية ، فما بالكم قد تعداكم ذلك ، وثبت في غيركم ، ونلقاكم مستضعفين مقهورين ، لا تُرُقب فيكم ذمة نبيكم؟! فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام ثم قال : نعم لم تنزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق ، والظلمة غالبية ، وقليل من عباد الله الشكور .

قالوا : فإن الأنبياء وأولادهم علّموا من غير تعليم ، وأوتوا العلم تلقيناً ، وكذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم ، فهل أوتيتم ذلك ؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام : أدن يا موسى فدنوت ، فمسح يده على صدري ثم قال : اللهم أيده بنصرك بحق محمد وآله ، ثم قال : سلوه عما بدا لكم .

قالوا : وكيف نسأل طفلاً لا يفقه ؟ قلت : سلوني تفقهاً ، ودعوا العنت !



قالوا : أخبرنا عن الآيات التسع التي أوتيتها موسى بن عمران .

قلت : العصا ، وإخراجه يده من جيئه بيضاء ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ورفع الطور ، والمن والسلوى آية واحدة ، وخلق البحر .

قالوا : صدقت ، فما أعطي نبيكم من الآيات اللاتي نفت الشك عن قلوب من أرسل إليه ؟ قلت : آيات كثيرة ، أعدها إن شاء الله ، فاسمعوا وعوا وافقوها :

١ . أما أول ذلك : أنتم تقررون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه ، فمنعت في أوان رسالته بالرجوم وانقضاء النجوم ، وبطلان الكهنة والسحرة .

٢ . ومن ذلك : كلام الذئب يخبر بنبوته ، واجتماع العدو والولي على صدق لهجته وصدق أمانته ، وعدم جهله أيام طفولته وحين أيفع وفتى وكهلاً . لا يعرف له شكل ولا يوازيه مثل .

٣ . ومن ذلك : أن سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة ، وفد عليه وفد قريش فيهم عبد المطلب ، فسألهم عنه ووصف لهم صفته ، فأقروا جميعاً بأن هذا الصفة في محمد صلى الله عليه وآله ، فقال : هذا أوان مبعثه ، ومستقره أرض يثرب وموته بها .

٤ . ومن ذلك : أن أبرهة بن يكسوم قاد الفيلة إلى بيت الله الحرام ليهدمه قبل مبعثه فقال عبد المطلب : إن لهذا البيت رباً يمنع ، ثم جمع أهل مكة فدعا ، وهذا بعدما أخبره سيف بن ذي يزن ، فأرسل الله تبارك وتعالى عليهم طيراً أبابيل ودفعهم عن مكة وأهلها .

٥ . ومن ذلك : أن أبا جهل عمرو بن هشام المخزومي ، أتاه وهو نائم خلف جدار ، ومعه حجر يريد أن يرميه به ، فالتصق بكفه .

٦. ومن ذلك : ان أعرابياً باع ذوداً له من أبي جهل فمطله بجمه ، فأتى قريشاً وقال : أعدوني على أبي الحكم فقد لوى حقي ، فأشاروا إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو يصلي في الكعبة فقالوا : إئت هذا الرجل فاستعده عليه ، وهم يهزؤون بالأعرابي ! فأتاه فقال له : يا عبد الله أعديني على عمرو بن هشام فقد منعني حقي . قال : نعم ، فانطلق معه فدق على أبي جهل بابه ، فخرج إليه متغيراً . فقال له : ما حاجتك ؟ قال : أعط الأعرابي حقه . قال : نعم . وجاء الأعرابي إلى قريش فقال : جزاكم الله خيراً ، انطلق معي الرجل الذي دلتموني عليه ، فأخذ حقي !

فجاء أبو جهل فقالوا : أعطيت الأعرابي حقه ؟ قال : نعم . قالوا : إنما أردنا أن نغريك بمحمد ونهزأ بالأعرابي ! قال : يا هؤلاء دق بابي فخرجت إليه فقال : أعط الأعرابي حقه ، وفوقه مثل الفحل فاتحاً فاه كأنه يريدني فقال : أعطه حقه ، فلو قلت : لا ، لابتلع رأسي ، فأعطيته !

٧. ومن ذلك : أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبي معيط يثرب إلى اليهود وقالوا لهما : إذا قدمتما عليهم فسائلوهم عنه ، وهما قد سألوهم عنه فقالوا : صفوا لنا صفته فوصفوه ، وقالوا : من تبعه منكم ؟ قالوا : سفلتنا ، فصاح حبر منهم فقال : هذا النبي الذي نجد نعته في التوراة ، ونجد قومه أشد الناس عداوة له .

٨. ومن ذلك : أن قريشاً أرسلت سراقة بن جعشم حتى خرج إلى المدينة في طلبه فلحق به فقال صاحبه : هذا سراقة يا نبي الله ، فقال : اللهم اكفنيه ، فساخت قوائم ظهره ! فناداه : يا محمد خل عني بموثق أعطيكه أن لا أناصح غيرك ، وكل

من عاداك لا أصالح . فقال النبي عليه السلام : اللهم إن كان صادق المقال فأطلق فرسه ، فانطلق فوفى ، وما انثنى بعد ذلك .

٩ . ومن ذلك : أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أتيا النبي صلى الله عليه وآله ، فقال عامر لأربد : إذا أتيناها فأنا أشاغله عنك فاعله بالسيف ، فلما دخلا عليه قال عامر : يا محمد خالتي ( أي أخلني بك - الطبري : ٢ / ٣٨٩ ) قال : لا ، حتى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله . وهو ينظر إلى أربد وأربد لا يحير شيئاً . فلما طال ذلك نحض وخرج وقال لأربد : ما كان أحد على وجه الأرض أخوف على نفسي فتكأ منك ، ولعمري لا أخافك بعد اليوم ، فقال له أربد : لا تعجل فإني ما هممت بما أمرتني به إلا ودخلت الرجال بيني وبينك ، حتى ما أبصر !

١٠ . ومن ذلك : أن أربد بن قيس والنضر بن الحارث اجتمعا على أن يسألاه عن الغيوب فدخلا عليه ، فأقبل النبي صلى الله عليه وآله على أربد فقال : يا أربد ، أتذكر ما جئت له يوم كذا ومعك عامر بن الطفيل ؟ فأخبره بما كان فيهما فقال أربد : والله ما حضرتي وعامراً أحد ، وما أخبرك بهذا إلا ملك من السماء ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله . ( وأربد هذا أخ لبيد الشاعر ) .

١١ . ومن ذلك : أن نفرأ من اليهود أتوه فقالوا لأبي الحسن جدي : إستانذن لنا على ابن عمك نسأله ، فدخل علي عليه السلام فأعلمه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : وما يريدون مني ؟ فإني عبد من عبيد الله ، لا أعلم إلا ما علمني ربي ، ثم قال : إئذن لهم ، فدخلوا عليه فقال : أتسألوني عما جئتم له أم أنبئكم ؟ قالوا : نبئنا ، قال : جئتم تسألوني عن ذي القرنين ، قالوا : نعم ، قال : كان غلاماً من أهل الروم ثم ملك ،

وأتى مطلع الشمس ومغربها ، ثم بني السد فيها . قالوا : نشهد أن هذا كذا .

١٢ . ومن ذلك : أن وابصة بن معبد الأسدي أتاه فقال : لا أدع من البر والإثم شيئاً إلا سألته عنه ، فلما أتاه قال له بعض أصحابه : إليك يا وابصة عن رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وآله : أدنه يا وابصة ، فدنوت . فقال : أتسأل عما جئت له أو أحبرك ؟ قال : أحبرني . قال : جئت تسأل عن البر والإثم . قال : نعم . فضرب بيده على صدره ثم قال : يا وابصة ، البر ما أطمأن به الصدر ، والإثم ما تردد في الصدر وجال في القلب ، وإن أفتاك الناس وأفتوك .

١٣ . ومن ذلك : أنه أتاه وفد عبد القيس فدخلوا عليه ، فلما أدركوا حاجتهم عنده قال : إئتوني بتمر أهلكم مما معكم ، فأتاه كل رجل منهم بنوع منه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : هذا يسمى كذا ، وهذا يسمى كذا ، فقالوا : أنت أعلم بتمر أرضنا ، فوصف لهم أرضهم فقالوا : أدخلتها ؟ قال : لا ، ولكن فسح لي فنظرت إليها ! فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله ، هذا خالي وبه خبل ، فأخذ بردائه ثم قال : أخرج عدو الله ثلاثاً ثم أرسله فبرأ . وأتوه بشاة هرمة ، فأخذ أحد أذنيها بين أصابعه فصار ميسماً ، ثم قال : خذوها فإن هذا السمة في آذان ما تلد إلى يوم القيامة ! فهي تتوالد وتلك في آذانها معروفة غير مجهولة .

١٤ . ومن ذلك : أنه كان في سفر ، فمر على بعير قد أعيا ، وقام منزلاً على أصحابه فدعا بماء فتمضمض منه في إناء وتوضأ وقال : إفتح فاه فصب في فيه فمر ذلك الماء على رأسه وحاركه ، ثم قال : اللهم أحمل خلاداً وعامراً ورفيقيهما وهما صاحبا الجمل ، فركبوه وإنه ليهتز بهم أمام الخيل .

١٥. ومن ذلك : أن ناقاة لبعض أصحابه ضلت في سفر كانت فيه ، فقال صاحبها : لو كان نبياً لعلم أمر الناقاة ، فبلغ ذلك النبي عليه السلام فقال : الغيب لا يعلمه إلا الله ، انطلق يا فلان فإن ناقتك بموضع كذا وكذا ، قد تعلق زمامها بشجرة ، فوجدها كما قال .

١٦. ومن ذلك : أنه مر على بعير ساقط فتبصص له ، فقال : إنه ليشكو شر ولاية أهله له ، يسأله أن يخرج عنهم ، فسأل عن صاحبه فأتاه فقال : بعه وأخرجه عنك فأناخ البعير يرغو ، ثم نهض وتبع النبي صلى الله عليه وآله فقال : يسألني أن أتولى أمره ! فباعه من علي عليه السلام ، فلم يزل عنده إلى أيام صفين .

١٧. ومن ذلك : أنه كان في مسجده ، إذ أقبل جمل نادئاً ، حتى وضع رأسه في حجره ثم خرخر ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : يزعم هذا أن صاحبه يريد أن ينحره في وليمة على ابنه فجاء يستغيث ! فقال رجل : يا رسول الله ، هذا لفلان وقد أراد به ذلك . فأرسل إليه وسأله أن لا ينحره ، ففعل .

١٨. ومن ذلك : أنه دعا على مضر فقال : اللهم أشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسنين يوسف ، فأصابهم سنون فأتاه رجل فقال : فوالله ما أتيتك حتى لا يخطر لنا فحل ولا يتردد منا رائح . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم دعوتك فأجبتني وسألتك فأعطيني ، اللهم فاسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً سريعاً طبقاً سجالاً ، عاجلاً غير ذائب نافعاً غير ضار . فما قام متى ملأ كل شئ ودام عليهم جمعة ، فأتوه فقالوا : يا رسول الله انقطعت سبلنا وأسواقنا ، فقال النبي عليه السلام : اللهم حوالينا ولا علينا ، فأنجابت السحابة عن المدينة وصار فيما حولها وأمطروا شهراً .

١٩. ومن ذلك : أنه توجه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش ، فلما كان بجبال بحيراء الراهب نزلوا بفناء دير ، وكان عالماً بالكتب ، وقد كان قرأ في التوراة مرور النبي صلى الله عليه وآله به وعرف أوان ذلك ، فأمر فدعي إلى طعامه ، فأقبل يطلب الصفة في القوم فلم يجدها فقال : هل بقي في رجالكم أحد ؟ فقالوا : غلام يتيم . فقام بحيراء الراهب فاطلع فإذا هو برسول الله صلى الله عليه وآله نائم وقد أظلمت سحابة فقال للقوم : أدعوا هذا اليتيم ففعلوا وبحيراء مشرف عليه وهو يسير ، والسحابة قد أظلمت ، فأخبر القوم بشأنه وأنه سيبعث فيهم رسولاً ، ويكون من حاله وأمره ، فكان القوم بعد ذلك يهابونه ويجلونه ، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك ، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه وهي سيدة نساء قريش وقد خطبها كل صناديد ورئيس قد أبتهم فزوجته نفسها للذي بلغها من خبر بحيراء .

٢٠. ومن ذلك : أنه كان بمكة أيام ألب عليه قومه وعشائره ، فأمر علياً عليه السلام أن يأمر خديجة أن تتخذ له طعاماً ففعلت ، ثم أمره أن يدعو له أقرباءه من بني عبد المطلب ، فدعا أربعين رجلاً ، فقال : هات لهم طعاماً يا علي ، فأتاه بثريدة وطعام يأكله الثلاثة والأربعة فقدمه إليهم ، وقال : كلوا وسموا ، فسمى ولم يسم القوم فأكلوا وصدروا شبعي . فقال أبو لهب : جاد ما سحركم محمد ، يطعم من طعام ثلاث رجال أربعين رجلاً ، هذا والله هو السحر الذي لا بعده ! فقال علي عليه السلام : ثم أمرني بعد أيام فاتخذت له مثله ودعوتهم بأعيانهم ، فطعموا وصدروا .

٢١. ومن ذلك : أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : دخلت السوق فابتعت لحمًا بدرهم وذرة بدرهم ، فأتيت به فاطمة عليها السلام حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ

قالت : لو دعوت أبي فأتيته وهو مضطجع وهو يقول : أعوذ بالله من الجوع ضجياً . فقلت له : يا رسول الله إن عندنا طعاماً ، فقام واتكأ علي ومضينا نحو فاطمة عليها السلام ، فلما دخلنا قال : هلم طعامك يا فاطمة فقدمت إليه البرمة والقرص ، فغطى القرص وقال : اللهم بارك لنا في طعامنا . ثم قال : أغرني لعائشة فغرقت ، ثم قال : أغرني لأم سلمة فغرقت ، فما زالت تغرف حتى وجهت إلى نسائه التسع قرصة قرصة ومرقاً . ثم قال : أغرني لأبيك وبعلك ، ثم قال : أغرني وكلي واهدي لجاراتك ، ففعلت ، وبقي عندهم أياماً يأكلون .

٢٢ . ومن ذلك : أن امرأة عبد الله بن مسلم أتته بشاة مسمومة ، ومع النبي صلى الله عليه وآله بشر بن البراء بن عازب ، فتناول النبي صلى الله عليه وآله الذراع وتناول بشر الكراع ، فأما النبي فلاكها ولفظها وقال : إنها لتخبرني أنها مسمومة . وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات ، فأرسل إليها فأقرت ، وقال : ما حملك على ما فعلت ؟ قالت : قتلت زوجي وأشرف قومي ، فقلت : إن كان ملكاً قتلته وإن كان نبياً فسيطعه الله تبارك وتعالى على ذلك .

٢٣ . ومن ذلك : أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : رأيت الناس يوم الخندق يحفرون وهم خماص ، ورأيت النبي صلى الله عليه وآله يحفر وبطنه خميص ، فأتيت أهلي فأخبرتها فقالت : ما عندنا إلا هذه الشاة ومحرز من ذرة . قال : فاخبري ، وذبح الشاة وطبخوا شقها وشووا الباقي ، حتى إذا أدرك أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله اتخذت طعاماً فائتني أنت ومن أحببت ، فشبك أصابعه في يده ثم نادى : ألا إن جابراً يدعوكم إلى طعامه . فأتى أهله مدعوراً خجلاً ، فقال لها : هي الفضيحة قد حفل بهم أجمعين . فقالت : أنت دعوتهم أم هو ؟ قال : هو . قالت : فهو أعلم بهم . فلما رأنا أمر بالأنطاع فبسطت على الشوارع ، وأمره أن يجمع التواري يعني قصاعاً كانت من خشب والجفان ، ثم قال : ما عندكم من الطعام ؟ فأعلمته فقال : غطوا السدانة والبرمة

والتسور واغرفوا ، وأخرجوا الخبز واللحم وغطوا ! فما زالوا يغرفون وينقلون ولا يرونه ينقص شيئاً حتى شبع القوم وهم ثلاثة آلاف ! ثم أكل جابر وأهله وأهدوا وبقي عندهم أياماً .

٢٤ . ومن ذلك : أن سعد بن عبادة الأنصاري أتاه عشية وهو صائم ، فدعاه إلى طعامه ودعا معه علي بن أبي طالب ، فلما أكلوا قال النبي صلى الله عليه وآله : نبي ووصي ، يا سعد أكل طعامك الأبرار وأفطر عندك الصائمون وصلت عليكم الملائكة فحمله سعد على حمار قطوف وألقى عليه قطيفة ، فرجع الحمار وإنه لهملاج ما يساير .

٢٥ . ومن ذلك : أنه أقبل من الحديبية وفي الطريق ماء يخرج من وشل ، بقدر ما يروي الراكب والراكبين ، فقال : من سبقنا إلى الماء فلا يستقين منه . فلما انتهى إليه دعا بقدر فتمضمض فيه ثم صبه في الماء ففاض الماء ، فشربوا وملؤوا أدواتهم ومياضهم وتوضؤوا . فقال النبي صلى الله عليه وآله : لئن بقيتم ، أو بقي منكم ، لیتسعن بهذا الوادي بسقي ما بين يديه من كثرة مائه ، فوجدوا ذلك كما قال صلى الله عليه وآله .

٢٦ . ومن ذلك : إخباره عن الغيوب وما كان وما يكون ، فوجد ذلك موافقاً لما يقول . ومن ذلك أنه أخبر صبيحة الليلة التي أسري به بما رأى في سفره ، فأنكر ذلك بعض وصدقه بعض ، فأخبرهم بما رأى من المارة والممتارة ، وهيأتهم ومنازلهم وما معهم من الأمتعة ، وأنه رأى عيراً أمامها بعير أوزق ، وأنه يطلع يوم كذا من العقبة مع طلوع الشمس ! فعدوا يطلبون تكذيبه للوقت الذي وقته لهم ، فلما كانوا هناك طلعت الشمس فقال بعضهم : كذب الساحر ، وأبصر آخرون بالبعير قد أقبلت يقدمها الأوزق ، فقالوا : صدق ، هذه نعم قد أقبلت !

٢٧ . ومن ذلك : أنه أقبل من تبوك فجهدوا عطشاً ، وبادر الناس إليه يقولون :



الماء الماء ، يا رسول الله . فقال لأبي هريرة : هل معك من الماء شيء ؟ قال : كقدر قدح في ميضاتي ، قال : هلم ميضاتك فصب ما فيه في قدح ودعا وأوعاه ، وقال : ناد : من أراد الماء ! فأقبلوا يقولون : الماء يا رسول الله . فما زال يسكب وأبو هريرة يسقي حتى روي القوم أجمعون ، وملؤوا ما معهم ، ثم قال لأبي هريرة : إشرب ، فقال : بل آخركم شرباً ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله .

٢٨ . ومن ذلك : أن أخت عبد الله بن رواحة الأنصاري مرّت به أيام حفرهم الخندق فقال لها : إلى أين تريدين ؟ قالت : إلى عبد الله بهذه التمرات ، فقال : هاتيهن ، فنشرت في كفه ، ثم دعا بالأنطاع وفرقها عليها وغطاها بالأزر ، وقام وصلى ، ففاض التمر على الأنطاع ثم نادى : هلموا وكلوا . فأكلوا وشبعوا ، وحملوا معهم ، ودفع ما بقي إليها !

٢٩ . ومن ذلك : أنه كان في سفر فأجهدوا جوعاً فقال : من كان معه زاد فليأتنا به . فأتاه نفر منهم بمقدار صاع ، فدعا بالأزر والأنطاع ، ثم صفف التمر عليها ، ودعا ربه فأكثر الله ذلك التمر ، حتى كان أزوادهم إلى المدينة !

٣٠ . ومن ذلك : أنه أقبل من بعض أسفاره فأتاه قوم فقالوا : يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان القيظ اجتمعنا عليها ، وإذا كان الشتاء تفرقنا على مياه حولنا ، وقد صار من حولنا عدواً لنا فادع الله في بئرننا ، فتفل صلى الله عليه وآله في بئرمهم ففاضت المياه المغيبة ، فكانوا لا يقدر أن ينظروا إلى قعرها بعد من كثرة مائها ! فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب فحاول ذلك في قليب قليل ماءه ، فتفل الأنكد في القليب ، فغار ماءه وصار كالجبوب !

٣١. ومن ذلك : أن سراقه بن جعشم حين وجهه قريش في طلبه ، ناوله نبلاً من كنانته وقال له : ستمر برعاتي فإذا وصلت إليهم فهذا علامتي ، أطعم عندهم واشرب ، فلما انتهى إليهم أتوه بعنز حائل ، فمسح صلى الله عليه وآله ضرعها فصارت حاملاً ودرت حتى ملؤوا الإناء وارتووا ارتواءً !

٣٢. ومن ذلك : أنه نزل بأم شريك فأتته بعكة فيها سمن يسير ، فأكل هو وأصحابه ثم دعا لها بالبركة ، فلم تزل العكة تصب سمناً أيام حياتها !

٣٣. ومن ذلك : أن أم جميل امرأة أبي لهب أتته حين نزلت سورة : تَبَّتْ ، ومع النبي أبو بكر بن أبي قحافة فقال : يا رسول الله ، هذه أم جميل مُحَفَّظَةٌ أي مُغَضَّبَةٌ تريدك ، ومعها حجر تريد أن ترميك به . فقال : إنها لا تراني . فقالت لأبي بكر : أين صاحبك ؟ قال : حيث شاء الله . قالت : لقد جئتته ولو أراه لرميته فإنه هجاني ، واللات والعزى إني لشاعرة ! فقال أبو بكر : يا رسول الله لم تَرَكَ ؟ قال : لا ، ضرب الله بيني وبينها حجاباً .

٣٤. ومن ذلك : كتابه المهيم الباهر لعقول الناظرين ، مع ما أعطي من الخلال التي إن ذكرناها لطالت . فقالت اليهود : وكيف لنا أن نعلم أن هذا كما وصفت ؟ فقال لهم موسى عليه السلام : وكيف لنا أن نعلم أن ما تذكرون من آيات موسى على ما تصفون ؟ قالوا : علمنا ذلك بنقل البررة الصادقين . قال لهم : فاعلموا صدق ما أنبأكم به ، بخبر طفل لقنه الله من غير تلقين ، ولا معرفة عن الناقلين . قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله على خلقه . فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عيني ، ثم قال : أنت القائم من بعدي ، فلهذا قالت الواقعة ، إنه حي وإنه القائم . ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم وانصرفوا مسلمين .

\* \*

## أشعة من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام

### ١ . حديث الإمام عليه السلام في مكانة العقل وأهمية التعقل

روى في الكافي : ١ / ١٣ ، حديث الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم ، وهو رسالة في أهمية العقل ودوره في حياة الإنسان وتكامله ، قال هشام عليه السلام : « قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال : **فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ .**

يا هشام ، إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ، ونصر النبيين بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال : **وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .** يا هشام ، قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً فقال : **وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالتُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .** وقال : **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً**

ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَسْدَدَكُمْ ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا شُيُوحًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَتَّبِعُوا أَجَلًا مُسَمًّى  
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

وقال : واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد  
موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . وقال : يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم  
الآيات لعلكم تعقلون .

وقال : وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد  
ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

وقال : ومن آياته يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لقوم يعقلون ..

وقال : قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً  
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقتربوا الفواحش ما ظهر منها  
وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ..

وقال : هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء  
تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون

يا هشام ، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة فقال : وما الحياة الدنيا إلا لعب  
ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون .

يا هشام ، ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى : ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ .  
وَأَنْتُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ . وبالليل أفلا تعقلون وقال : إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ  
الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ .

يا هشام ، ثم بيّن إن العقل مع العلم فقال : **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ .**

يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال : **وَإِذَا قِيلَ لَهُمِ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ .**

وقال : **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .**

وقال : **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ .** وقال : **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا .**

وقال : **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ .**

وقال : **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .**

يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال : **وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .** وقال : **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .**

يا هشام ، ثم مدح القلة فقال : **وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ .** وقال : **وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** وقال : **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ** وقال : **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ .** وقال : **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .** وقال : **أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .** وقال : **أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ .**

يا هشام ، ثم ذكر أولي الأبواب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية ، فقال :  
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو  
الْأَلْبَابِ . وقال : وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا  
أُولُو الْأَلْبَابِ . وقال : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ  
لِأُولِي الْأَلْبَابِ .

وقال : أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو  
الْأَلْبَابِ . وقال : أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ  
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ .

وقال : كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ .

وقال : وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي  
الْأَلْبَابِ وقال : وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ .

يا هشام ، إن الله تعالى يقول في كتابه : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، يعني :  
عقل . وقال : وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ، قال : الفهم والعقل .

يا هشام إن لقمان قال لابنه : تواضع للحق تكن أعقل الناس ، فإن الكيس لدى  
الحق أسير ، يا بني إن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها عالم كثير ، فلتكن سفينتك  
فيها تقوى الله ، وحشوها الإيمان وشراعها التوكل ، وقيمها العقل ودليلها  
العلم ، وسكانها الصبر .

يا هشام ، إن لكل شئ دليلاً ودليل العقل التفكير ، ودليل التفكير الصمت ،  
ولكل شئ مطية ومطية العقل التواضع ، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نحيت عنه .

يا هشام ، ما بعث الله أنبياءه ورسله عليه السلام إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله ،

فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً ، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة .

يا هشام ، إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأما الباطنة فالعقول !

يا هشام ، إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ، ولا يغلب الحرام صبره .

يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله : من أظلم نور تفكيره بطول أمله ، ومحى طرائف حكمته بفضول كلامه ، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه ، فكأنما أعان هواه على هدم عقله ! ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه .

يا هشام ، كيف يزكو عند الله عملك ، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك !

يا هشام ، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ، ورغب فيما عند الله ، وكان الله أنسه في الوحشة ، وصاحبه في الوحدة ، وغناه في العيلة ، ومعزته من غير عشيرة .

يا هشام ، نصب الحق لطاعة الله ، ولا نجاة إلا بالطاعة ، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعقل يعتقد ، ولا علم إلا من عالم رباني ، ومعرفة العلم بالعقل .

يا هشام ، قليل العمل من العالم مقبول مضاعف ، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود .

يا هشام ، إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك رحمت تجارهم .

يا هشام ، إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب ، وترك الدنيا من الفضل ، وترك الذنوب من الفرض .

يا هشام ، إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها ، فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ، فطلب بالمشقة أبقاها .

يا هشام ، إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة ، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة ، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته .

يا هشام ، من أراد الغنى بلا مال ، وراحة القلب من الحسد ، والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله عز وجل في مسألته بأن يكمل عقله ، فمن عقل قنع بما يكفيه ، ومن قنع بما يكفيه استغنى ، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً .

يا هشام ، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا : **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** ، حين علموا أن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها !

إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً ، وسره لعلايته موافقاً ، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن



الخفي من العقل ، إلا بظاهر منه وناطق عنه

يا هشام ، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ما عبد الله بشئ أفضل من العقل ، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى :

الكفر والشر منه مأمونان والرشد والخير منه مأمولان ، وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف ، ونصيبه من الدنيا القوت ، لا يشبع من العلم دهره ، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثير المعروف من نفسه ، ويرى الناس كلهم خيراً منه ، وأنه شرهم في نفسه ، وهو تمام الأمر !

يا هشام ، إن العاقل لا يكذب ، وإن كان فيه هواه .

يا هشام ، لا دين لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا عقل له ، وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً ، أما إن أبدانكم ليس لها ثمنٌ إلا الجنة ، فلا تبيعوها بغيرها .

يا هشام ، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال : يجيب إذا سئل ، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله ، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شئ فهو أحمق . إن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن ، فمن لم يكن فيه شئ منهن فجلس فهو أحمق .

وقال الحسن بن علي عليه السلام : إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها . قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها ؟ قال : الذين قص الله في كتابه وذكرهم فقال : **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ** ، قال : هم أولو العقول .

وقال علي بن الحسين عليه السلام : مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح ، وآداب العلماء زيادة في العقل ، وطاعة ولاة العدل تمام العز ، واستثمار المال تمام المروة ، وإرشاد المستشار قضاء لحق النعمة ، وكف الأذى من كمال العقل ، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً .

يا هشام ، إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعبد ما لا يقدر عليه ، ولا يرجو ما يُعْتَفَ برجائه ، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه . انتهى .

## ٢ . من أحاديثه عليه السلام في توحيد الله تعالى ومعرفته

في التوحيد للصدوق عليه السلام / ٦٩ ، عن الإمام الكاظم عن آباءه ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال : « خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة ، فقال :

الحمد لله الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء كَوَّنَ ما قد كان ، مُسْتَشْهَدٌ بحدوث الأشياء على أزلته ، وبما وسمها به من العجز على قدرته ، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه . لم يخل منه مكان فيدرك بأينية ، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية ، ولم يغيب عن علمه شيء فيعلم بجيثية ، مبائن لجميع ما أحدث في الصفات ، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات ، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات ، محرم على بوارع ثاقبات الفطن

تحديده ، وعلى عوامق ناقيات الفكر تكييفه ، وعلى غوائص ساجات الفطر تصويره ، لا تحويه الأماكن لعظمته ، ولا تدرعه المقادير لجلاله ، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه ، ممتنع عن الأوهام أن تكتنعه ، وعن الأفهام أن تستغرقه ، وعن الأذهان أن تمثله ، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول ، ونضبت عن الإشارة إليه بالإكتناه بحار العلوم ، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم .

واحدٌ لا من عدد ، ودائمٌ لا بأمد ، وقائمٌ لا بعمد ، ليس بجنسٍ فتعادلته الأجناس ، ولا بشبحٍ فتضارعه الأشباح ، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات !

قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه ، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزلته ، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته .. الى أن قال عليه السلام :

وأشهد أن لا إله إلا الله إيماناً بربوبيته ، وخلافاً على من أنكره ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المقر في خير مستقر ، المتناسخ من أكارم الأصلاب ومطهرات الأرحام ، المخرج من أكرم المعادن محتدماً ، وأفضل المنابت منبتاً ، من أمنع ذروة ، وأعز أرومةً ، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه عليهم السلام ، الطيبة العود ، المعتدلة العمود ، الباسقة الفروع ، الناضرة الغصون ، اليانعة الثمار ، الكريمة الحشا . في كرم غرست ، وفي حرم أنبتت ، وفيه تشعبت وأثمرت ، وعزت وامتنتعت ، فسمت به وشمخت ، حتى أكرمه الله عز وجل بالروح الأمين ، والنور المبين . والكتاب المستبين ، وسخر له البراق وصافحته الملائكة ، وأرعب به الأباليس ، وهدم به الأصنام ، والآلهة المعبودة دونه .. « . الخ .

« عن يعقوب بن جعفر قال : سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام وهو يكلم راهباً من النصارى ، فقال له في بعض ما ناظره : إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يجد بيد أو رجل ، أو حركة أو سكون ، أو يوصف بطول أو قصر أو تبلغه الأوهام ، أو تحيط به صفة العقول ، أنزل مواعظه ووعدته ووعدته ، أمرٌ بلا شفة ولا لسان ، ولكن كما شاء أن يقول له كن فكان ، خبراً كما أراد في اللوح » . ( التوحيد / ٧٥ ) .

« عن محمد بن أبي عمير قال : دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له : يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال : يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك ، واعلم أن الله تعالى واحد ، أحد ، صمد ، لم يلد فيورث ، ولم يولد فيشارك ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً ، وأنه الحي الذي لا يموت ، والقادر الذي لا يعجز ، والقاهر الذي لا يغلب ، والحليم الذي لا يعجل ، والدائم الذي لا يبيد ، والباقي الذي لا يفنى ، والثابت الذي لا يزول ، والغني الذي لا يفتقر ، والعزيز الذي لا يذل ، والعالم الذي لا يجهل ، والعدل الذي لا يجور ، والجواد الذي لا يخجل ، وإنه لا تقدره العقول ، ولا تقع عليه الأوهام ، ولا تحيط به الأقطار ، ولا يحويه مكان ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وليس كمثل شئ وهو السميع البصير **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** . وهو الأول الذي لا شئ قبله ، والآخر الذي لا شئ بعده ، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث ، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً » . ( التوحيد / ٧٦ ) .

« كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة ، فكتب : سبحان من ليس كمثلته شيء ولا جسم ولا صورة » . ( التوحيد / ١٠٢ ) .

« كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء : الحمد لله منتهى علمه ، فكتب إلي : لا تقولن منتهى علمه ولكن قل منتهى رضاه » . ( التوحيد / ١٣٤ ) .

« عن عبد الأعلى ، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال : إن الله لا إله إلا هو كان حياً بلا كيف ولا أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ، ولا قوي بعد ما كَوَّن الأشياء ، ولا يشبهه شيء يكون ، ولا كان خلواً من القدرة على الملك قبل إنشائه ، ولا يكون خلواً من القدرة بعد ذهابه ، كان عز وجل إلهاً حياً بلا حياة حادثة ، ملكاً قبل أن ينشئ شيئاً ومالكاً بعد إنشائه ، وليس لله حد ، ولا يعرف بشيء يشبهه ، ولا يهرم للبقاء ، ولا يصعق لدعوة شيء ، ولخوفه تصعق الأشياء كلها ، وكان الله حياً بلا حياة حادثة ، ولا كون موصوف ، ولا كيف محدود ، ولا أين موقوف ، ولا مكان ساكن ، بل حي لنفسه ، ومالك لم يزل له القدرة ، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته وقدرته ، كان أولاً بلا كيف ، ويكون آخراً بلا أين وكل شيء هالك إلا وجهه ، له الخلق والأمر تبارك رب العالمين » . ( التوحيد / ١٤١ ) .

« عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : لأي علة عرج الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان ؟ فقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولكنه عز وجل أراد أن

يشرف به ملائكته وسكان سماواته ، ويكرمهم بمشاهدته ، ويريه من عجائب عظمته ، ما يخبر به بعد هبوطه ، وليس ذلك على ما يقول المشبهون ، سبحان الله وتعالى عما يشركون » . ( التوحيد / ١٧٥ ) .

« عن محمد بن أبي عمير قال : رأى سفيان الثوري أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وهو غلامٌ يصلي والناس يمرون بين يديه ، فقال له : إن الناس يمرون بك وهم في الطواف ، فقال عليه السلام : الذي أصلي له أقرب إلي من هؤلاء » ( التوحيد / ١٧٩ )

« ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال : إن الله تبارك وتعالى لا ينزل ، ولا يحتاج إلى أن ينزل ، إنما منظره في القرب والبعد سواء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتاج بل يحتاج إليه ، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم . أما قول الواصفين إنه تبارك وتعالى ينزل فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة ، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به ، فظن بالله الظنون فهلك ، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود ، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين » . ( التوحيد / ١٨٣ ) .

« لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع : بقضاء ، وقدر ، وإرادة ومشئئة ، وكتاب ، وأجل وإذن ، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله عز وجل ..

لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى ، قلت : ما معنى شاء ؟ قال : ابتداء الفعل ، قلت : ما معنى قدر ؟ قال : تقدير الشيء من طولته وعرضه ، قلت : ما معنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مرد له .. إن الله إرادتين ومشئتين :

إرادة حتم وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء ، أوَمَا رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى ، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى . ( الكافي : ١ / ١٥٠ ) .

### ٣ . من أحاديثه عليه السلام في النبوة

« عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله وورث النبيين كلهم ؟ قال : نعم ، قلت : من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه ؟ قال : ما بعث الله نبياً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه ، قال قلت : إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله ، قال : صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطلق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل . قال فقال : إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك في أمره فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين ، حين فقده فغضب عليه فقال : لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . وإنما غضب لأنه كان يدلله على الماء ، فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة له طائعين ، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء ، وكان الطير يعرفه وإن الله يقول في كتابه : **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَى** : وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان ، وتحيي به الموتى ، ونحن نعرف الماء تحت الهواء ، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به ، مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون ، جعله الله لنا في أم الكتاب إن الله

يقول : وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين ، ثم قال : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء » . ( الكافي : ١ / ٢٢٦ ) .

« سألت أبا الحسن عليه السلام : أيما أفضل المقام بمكة أو بالمدينة ؟ فقال : أي شيء تقول أنت ؟ قال فقلت : وما قولي مع قولك ؟ قال : إن قولك يردك إلى قولي ، قال : فقلت له : أما أنا فأزعم أن المقام بالمدينة أفضل من المقام بمكة ، قال فقال : أما لئن قلت ذلك لقد قال أبو عبد الله عليه السلام ذاك يوم فطر وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه في المسجد ثم قال : قد فضلنا الناس اليوم بسلامنا على رسول الله » ( الكافي : ٤ / ٥٥٧ ) .

« لما قبض إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرت فيه ثلاث سنن : أما واحدة فإنه لما مات انكسفت الشمس فقال الناس انكسفت الشمس لفقده ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا ، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف ، فلما سلم قال : يا علي قم فجهز ابني ، قال : فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فغسل إبراهيم وكفنه وحنطه ومضى ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى به إلى قبره فقال الناس : إن رسول الله نسي أن يصلى على ابنه لما دخله من الجزع عليه ، فانصب قائماً ثم قال : إن جبرئيل عليه السلام أتاني فأخبرني بما قلتم ، زعمتم أني نسيت أن أصلي على ابني لما دخلني من الجزع ، ألا وإنه ليس كما



ظننتم ، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات ، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة ، وأمرني أن لا أصلي إلا على من صلى .

ثم قال : يا علي إنزل والحد ابني ، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده فقال الناس إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله بابنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أيها الناس إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم ، ولكن لست آمن إذا حل أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عن ذلك من الجزع ما يجبط أجره ثم انصرف صلى الله عليه وآله . « ( الكافي : ٣ / ٤٦٣ ، والمحاسن : ٢ / ٣١٣ ) .

#### ٤ . من أحاديثه عليه السلام في الإمامة

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خلقت أنا وعلي من نور واحد » . ( الخصال / ٣١ ) .

قال أبو بصير : « دخلت عليه فقلت له : جعلت فداك بم يعرف الامام ؟ فقال : بخصال ، أما أولاهن فشئ تقدم من أبيه فيه وعرفه الناس ونصبه لهم علماً حتى يكون حجة عليهم ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نصب علياً علماً وعرفه الناس وكذلك الأئمة يعرفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه . ويسأل فيجيب ويسكت عنه فيبتدئ ، ويخبر الناس بما في غد ، ويكلم الناس بكل لسان » . ( قرب الإسناد / ٣٣٩ ) .

« قال عليه السلام : مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماض وغابر وحادث ، فأما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ، ولا نبي بعد نبينا » . ( الكافي : ١ / ٢٦٤ ) .

وفي الكافي : ٢٨١ / ١ : « حدثني موسى بن جعفر عليه السلام قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله صلى الله عليه وآله المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود ؟ قال : فأطرق طويلاً ، ثم قال : يا أبا الحسن قد كان ما قلت ، ولكن حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر ، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً ، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة فقال جبرئيل : يا محمد مُرْ بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها منا وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها ، يعني علياً فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا علياً عليه السلام وفاطمة عليها السلام فيما بين الستر والباب ، فقال جبرئيل : يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول : هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك ، وأشهدت به عليك ملائكتي ، وكفى بي يا محمد شهيداً . قال : فارتعدت مفاصل النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا جبرئيل ربي هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام ، صدق عز وجل وبرّ ، هات الكتاب ، فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : إقرأه فقرأه حرفاً حرفاً ، فقال صلى الله عليه وآله : يا علي ، هذا عهد ربي تبارك وتعالى إلي شرطه علي وأمانته وقد بلغت ونصحت وأديت ! فقال علي عليه السلام وأنا أشهد لك بأبي وأمي أنت ، بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت ، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي !

فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا لكما على ذلك من الشاهدين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي أخذت وصيتي وعرفتها وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها ، فقال علي عليه السلام : نعم بأبي أنت وأمي عليّ ضامناً وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة فقال علي : نعم أشهد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك !

فقال : نعم ليشهدوا وأنا بأبي أنت وأمي أشهدهم ، فأشهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله !

وكان فيما اشترط عليه النبي بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عز وجل أن قال له : يا علي تفي بما فيها من موالاته من وإلى الله ورسوله والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، والبراءة منهم على الصبر منك وعلى كظم الغيظ وعلى ذهاب حقك وغضب خمسك وانتهاك حرمتك ؟

فقال : نعم يا رسول الله فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السلام يقول للنبي : يا محمد عرفه أنه تنتهك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسول الله ، وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط !

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل حتى سقطت على وجهي وقلت : نعم قبلت ورضيت وإن انتهكت الحرمة ، وعطلت السنن ، ومزق الكتاب ، وهدمت الكعبة ، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط ، صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة والحسن والحسين وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين ، فقالوا مثل قوله ! فختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

فقلت لأبي الحسن عليه السلام : بأبي أنت وأمي ألا تذكر ما كان في الوصية ؟ فقال : سنن الله وسنن رسوله صلى الله عليه وآله . فقلت : أكان في الوصية توئبهم وخلافهم على أمير

المؤمنين عليهم السلام؟ فقال : نعم والله شيئاً شياً ، وحرزاً حرفاً ، أما سمعت قول الله عز وجل : إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ؟ والله لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين وفاطمة عليها السلام : أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه ؟ فقالا : بلى وصبرنا على ما ساءنا وغازنا » .

« عن الجعفري قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه » ( الكافي : ١ / ١٩٣ ) .

« علي بن جعفر قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله تيمماً وعدياً وبني أمية يركبون منبره أفضعه ! فأنزل الله تبارك وتعالى قرآناً يتأسى به : وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ثم أوحى إليه يا محمد إني أمرت فلم اطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وصيك » . ( الكافي : ١ / ٤٢٦ ) .

« إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة وإن بنات الأنبياء لا يطمنن » . ( الكافي : ١ / ٤٥٨ ) .

« ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلا بدأ بالإمام ، فعرض ذلك عليه ، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر » . ( الكافي : ١ / ٣٩٤ ) .

« أدنى ما يشاب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمته وولايته ، أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . ( الكافي : ٤ / ٥٨٢ ) .

« قال أبو الحسن عليه السلام : أتدري لم سميت الطائف ؟ قلت : لا ، قال : إن إبراهيم عليه السلام لما دعا ربه أن يرزق أهله من الثمرات قطع لهم قطعة من الأردن ، فأقبلت حتى طافت بالبيت سبعة ، ثم أقرها الله في موضعها ، وإنما سميت الطائف للطواف بالبيت » . ( الكافي : ٤ / ٤٢٨ ) .

« عن محمد بن أبي عمير قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول : لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك ، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر ، قال الله تبارك وتعالى : **إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا .**

قال فقلت له : يا ابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين ؟ قال : حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل . قال ابن أبي عمير فقلت له : يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول : **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى ! فقال عليه السلام : يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتك ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : كفى بالندم توبة ، وقال صلى الله عليه وآله : من سرته حسنته وساءته سيئة فهو مؤمن ، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة ، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول : **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .**

فقلت له : يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه ؟ فقال : يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة ، ومتى لم يندم عليها كان مصراً ، والمصر لا يغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : لا كبيرة مع الإستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار . ( التوحيد / ٤٠٧ ) .

« يا سماعة إنا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينه وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوضهم الله عز وجل » . ( الكافي : ٨ / ١٦٢ ) .

### ٥ . من أحاديثه عليه السلام الفقهية

« قال أبو الحسن عليه السلام : من أفى الناس بغير علم لعنته ملائكة الأرض وملائكة السماء » . ( المحاسن : ١ / ٢٠٥ ) .

« عن محمد بن الفضيل قال : قال أبو الحسن موسى عليه السلام لأبي يوسف القاضي : إن الله تبارك وتعالى أمر في كتابه بالطلاق وأكد فيه بشاهدين ولم يرض بهما إلا عدلين وأمر في كتابه بالتزويج فأهمله بلا شهود فأثبتم شاهدين فيما أهمل وأبطلتم الشاهدين فيما أكد » . ( الكافي : ٥ / ٣٨٧ ) .

« سألت أبا الحسن يعني موسى عليه السلام عن رجل استودع رجلاً مالاً له قيمة والرجل الذي عليه المال رجل من العرب يقدر على أن لا يعطيه شيئاً ولا يقدر له على شئ ، والرجل الذي استودعه خبيث خارجي فلم أدع شيئاً؟ فقال لي : قل له رده عليه فإنه ائتمنه عليه بأمانة الله عز وجل » . ( الكافي : ٥ / ١٣٣ )

« عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان قال : البادي منهما أظلم ، ووزره ووزر صاحبه عليه ، ما لم يعتذر إلى المظلوم » . ( الكافي : ٢ / ٣٦٠ ) .

«عن أبي الحسن عليه السلام في رجل دخل على دار آخر للتلصص أو الفجور فقتله صاحب الدار ، أ يقتل به أم لا ؟ فقال : أعلم أن من دخل دار غيره فقد أهدر دمه . ولا يجب عليه شيء » . ( الكافي : ٧ / ٢٩٤ ) .

« عن عثمان بن عيسى قال : سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القياس فقال : مالكم والقياس إن الله لا يسأل كيف أحل وكيف حرم » . ( الكافي : ١ / ٥٧ ) .

« عن محمد بن الفضيل قال : كنا في دهليز يحيى بن خالد بمكة وكان هناك أبو الحسن موسى عليه السلام وأبو يوسف ، فقام إليه أبو يوسف وتربع بين يديه فقال : يا أبا الحسن جعلت فداك المحرم يظلل ؟ قال : لا ، قال : فيستظل بالجدار والمحمل ويدخل البيت والخباء ؟ قال : نعم قال : فضحك أبو يوسف شبه المستهزئ فقال له أبو الحسن عليه السلام : يا أبا يوسف إن الدين ليس بالقياس كقياسك وقياس أصحابك ! إن الله عز وجل أمر في كتابه بالطلاق وأكد فيه بشاهدين ولم يرض بهما إلا عدلين ، وأمر في كتابه بالتزويج وأهمله بلا شهود . فأتيتم بشاهدين فيما أبطل الله وأبطلتم شاهدين فيما أكد الله عز وجل ! وأجرتم طلاق المجنون والسكران ! وحج رسول الله صلى الله عليه وآله فأحرم ولم يظلل ودخل البيت والخباء واستظل بالمحمل والجدار ، فعلنا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ! فسكت » . ( الكافي : ٤ / ٣٥٢ ) .

« لا يحل أكل الجري ولا السلحفاة ولا السرطان ، قال : وسألته عن اللحم الذي يكون في أصداف البحر والفرات أيؤكل ؟ فقال : ذاك لحم الضفادع لا يحل أكله » . ( الكافي : ٦ / ٢٢١ ) .

« سألته عن الغراب الأبقع والأسود أيحل أكلهما؟ فقال: لا يحل أكل شيء من الغريان، زاغ ولا غيره » (الكاظمي: ٦ / ٢٤٥).

« أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير إلا طين قبر الحسين عليه السلام فإن فيه شفاء من كل داء وأمناً من كل خوف » (الكاظمي: ٦ / ٢٦٦).

« سألت أبا الحسن عليه السلام عن أدنى ما يكون من الحيض فقال: ثلاثة وأكثره عشرة » (الكاظمي: ٣ / ٧٥).

« إذا وقع الختان على الختان فقد وجب الغسل البكر وغير البكر » (الكاظمي: ٣ / ٤٦).

« عن الفتح بن يزيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن المتعة فقال: هي حلال مباح مطلق لمن لم يغنه الله بالتزويج فليستعفف بالمتعة، فإن استغنى عنها بالتزويج فهي مباح له إذا غاب عنها... كتب أبو الحسن عليه السلام إلى بعض مواليه: لا تلحوا على المتعة، إنما عليكم إقامة السنة، فلا تشتغلوا بها عن فرشكم وحرائرکم فيكفرون ويتبرين ويدعين على الأمر بذلك ويلعنونا » (الكاظمي: ٥ / ٤٥٢).

« عن سماعة قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير » (الكاظمي: ١ / ٥٤٥).

« المصعوق والغريق، قال ينتظر به ثلاثة أيام إلا أن يتغير قبل ذلك.. كنا بمكة سنة من السنين فأصاب الناس تلك السنة صاعقة كبيرة حتى مات من ذلك خلق كثير، فدخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال مبتدئاً من غير أن أسأله: يا علي ينبغي للغريق والمصعوق أن يتربص به ثلاثاً إلا أن يجيء منه ريح يدل على موته، قلت له: جعلت فداك كأنك تخبرني أنه دفن ناس كثير أحياء؟ قال: نعم يا علي قد دفن ناس كثير أحياء، ما ماتوا إلا في قبورهم »! (الكاظمي: ٣ / ٢٠٩).



## ٦ . من أحاديثه عليه السلام في الأدعية والأذكار

« عليكم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قُدر وقُضي ولم يبق إلا إمضاؤه ، فإذا دعَى الله عز وجل وسُئِلَ صُرف البلاء صرفاً » . ( الكافي ٢٣ / ٤٧٠ ) .

« ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عز وجل الدعاء ، إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً . وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً ! فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل » . ( الكافي ٢ / ٤٧١ ) .

عن زياد القندي قال : « كتبت إلى أبي الحسن الأول عليه السلام : علمني دعاء فيإني قد بليت بشيء وكان قد حبس ببغداد حيث اتهم بأموالهم فكتب إليه : إذا صليت فأطل السجود ثم قل : يا أحد من لا أحد له حتى تنقطع النفس ثم قل : يا من لا يزيدك كثرة الدعاء إلا جوداً وكرماً حتى تنقطع نفسك ، ثم قل : يا رب الأرباب أنت أنت الذي انقطع الرجاء إلا منك ، يا علي يا عظيم . قال زياد : فدعوت به ففرج الله عني وخلي سبيلي » . ( الكافي ٣ / ٣٢٨ ) .

« كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام : إن رأيت يا سيدي أن تعلمني دعاء أدعو به في دبر صلواتي يجمع الله لي به خير الدنيا والآخرة . فكتب عليه السلام تقول : أعوذ بوجهك الكريم وعزتك التي لا ترام وقدرتك التي لا يمتنع منها شيء من شر الدنيا والآخرة ومن شر الأوجاع كلها » . ( الكافي ٣ / ٣٤٦ ) .

« قال لي أبو الحسن عليه السلام : إذا كان لك يا سماعة إلى الله عز وجل حاجة فقل : اللهم إني أسألك بحق محمد وعلي فإن لهما عندك شأننا من الشأن وقدراً من القدر فبحق ذلك الشأن وبحق ذلك القدر أن تصلي علي محمد وآل محمد ، وأن تفعل

بي كذا وكذا . فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن ، إلا وهو يحتاج إليهما في ذلك اليوم » . ( الكافي : ٢ / ٥٦٢ ) .

« من قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثلاث مرات حين يصبح وثلاث مرات حين يمسي ، لم يخف شيطاناً ولا سلطاناً ولا جذاماً ولا برصاً . قال أبو الحسن عليه السلام : وأنا أقولها مائة مرة » . ( المحاسن : ١ / ٤١ ) .

« إذا مرض أحدكم فليأذن للناس يدخلون عليه فإنه ليس من أحد إلا وله دعوة مستجابة » ( الكافي : ٣ / ١١٧ ) .

« ما من مؤمن يؤدي فريضة من فرائض الله إلا كان له عند أداءها دعوة مستجابة » . ( المحاسن : ١ / ٥٠ )

## ٧ . من أحاديثه عليه السلام في الآداب والتربية

« سأل رجل رسول الله ﷺ ما حق الوالد على ولده ؟ قال : لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ، ولا يجلس قبله ولا يستسب له » . ( الكافي : ٢ / ١٥٩ ) .

« من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل » . ( الكافي : ٢ / ٣٦٦ ) .

« سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : إذا كان الجور أغلب من الحق ، لم يجل لأحد أن يظن بأحد خيراً ، حتى يعرف ذلك منه » . ( الكافي : ٥ / ٢٩٨ ) .

« سمعته يقول : إن الله عز وجل يبغض القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » . ( الكافي : ٥ / ٣٠١ ) .

« عن أبي الحسن عليه السلام قال : التودد إلى الناس نصف العقل » ( الكافي : ٢ / ٦٤٣ ) .

« إذا كان ثلاثة في بيت فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك مما يغمه » .  
( الكافي : ٢ / ٨٨٠ ) .

« لاتذهب الحشمة بينك وبين أخيك ، أبق منها فإن ذهبا ذهاب الحياء  
» . ( الكافي : ٢ / ٦٧٢ ) .

« إن الله عز وجل يبغض العبد النوام الفارغ .. إياك والكسل والضجر ، فإنك  
إن كسلت لم تعمل ، وإن ضجرت لم تعط الحق .. إياك والكسل والضجر ، فإنهما  
يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة » . ( الكافي : ٥ / ٨٤ و ٨٥ ) .

« كان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي ولا يضحك ، وكان عيسى بن مريم عليها السلام يضحك  
ويبكي وكان الذي يصنع عيسى أفضل من الذي يصنع يحيى » ( الكافي : ٢ / ٦٦٥ ) .

« عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك  
الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه ، فأساله عن ذلك فينكر ذلك  
وقد أخبرني عنه قوم ثقات ! فقال لي : يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك  
فإن شهد عندك خمسون قسامة ، وقال لك قولاً فضدقة وكذبهم ، لا تزيعن عليه  
شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته ، فتكون من الذين قال الله في كتابه : إن الذين  
يجبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم » . ( الكافي : ٨ / ١٤٧ ) .

وقال عليه السلام : « أخذ أبي عليه السلام بيدي ثم قال : يا بني إن أبي محمد بن علي عليه السلام أخذ  
بيدي كما أخذت بيدك قال : إن أبي علي بن الحسين عليه السلام أخذ بيدي وقال : يا بني  
إفعل الخير إلى كل من طلبه منك ، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه ، وإن لم

يكن من أهله كنت أنت من أهله ، وإن شتمك رجل عن يمينك ، ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك ، فاقبل عذره . ( الكافي : ٨ / ١٥٢ ) .

« عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه » . ( الكافي : ٢ / ٦١ ) .

« عن علي بن سويد ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ؟ فقال : التوكل على الله درجات ، منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها ، فما فعل بك كنت عنه راضياً ، تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً ، وتعلم أن الحكم في ذلك له ، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها » . ( الكافي : ٢ / ٦٢ ) .

« سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعل له أو الحسنه ؟ فقال عليه السلام : ريح الكيف وريح الطيب سواء ؟ قلت : لا قال : إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال : صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم فإنه قد هم بالحسنة فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له وإذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين : قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه » . ( الكافي : ٢ / ٤٢٩ ) .

« سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها ، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله ، وثلم في الإسلام ثلثة لا يسدها شيء ، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها » ( الكافي : ١ / ٣٨ ، و : ٣ / ٢٥٤ ) .

« محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي » . ( الكافي : ١ / ٣٩ ) .

« من نزه نفسه عن الغناء فإن في الجنة شجرة يأمر الله عز وجل الرياح أن تحركها فيسمع لها صوتاً لم يسمع بمثله ، ومن لم يتنزه عنه لم يسمعه » ( الكافي : ٦ / ٤٣٤ )

« قال له : جعلت فداك إني أقعد مع قوم يلعبون بالشطرنج ولست ألعب بها ولكن أنظر فقال : مالك ومجلس لا ينظر الله إلى أهله » . ( الكافي : ٦ / ٤٣٧ ) .

« سألته عن الميت يزور أهله ؟ قال : نعم فقلت : في كم يزور ؟ قال : في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته . فقلت : في أي صورة يأتيهم ؟ قال : في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم ، فإن رأهم بخير فرح ، وإن رأهم بشر وحاجة حزن واغتم » . ( الكافي : ٣ / ٢٣٠ ) .

وفي الكافي : ٣ / ٢٣١ : « منهم من يزور كل يوم .. قلت : في أي ساعة ؟ قال عند زوال الشمس ومثل ذلك قال قلت : في أي صورة ؟ قال : في صورة العصفور أو أصغر من ذلك فيبعث الله تعالى معه ملكاً فيريه ما يسره ويستتر عنه ما يكره فيرى ما يسره ويرجع إلى قرّة عين » .

« إن الله خلق قلوب المؤمنين مطوية مبهمة على الإيمان ، فإذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة وزرعها بالعلم ، وزارعها والقيم عليها رب العالمين » . ( الكافي : ٢ / ٤٢١ ) .

## ٨ . من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام الطبية

« ليس من دواء إلا وهو يهيج داءاً وليس شئ في البدن أنفع من إمساك اليد إلا عما يحتاج إليه » . ( الكافي : ٨ / ٢٧٣ ) . « ليس الحمية أن تدع الشئ أصلاً لا تأكله ، ولكن الحمية أن تأكل من الشئ وتخفف » . ( الكافي : ٨ / ٢٩١ ) .

« لو أن الناس قصدوا في الطعام لاستقامت أبدانهم » . ( المحاسن : ٢ / ٤٣٩ ) .

« لا يخصب خوان لا ملح عليها وأصح للبدن أن يبدأ به في أول الطعام » . ( الكافي : ٦ / ٣٢٦ ) .

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رحم الله المتخللين . قيل : يا رسول الله وما المتخللون ؟ قال : يتخللون من الطعام ، فإنه إذا بقي في الفم تغير فأذى الملك ريحه » . ( المحاسن : ٢ / ٥٥٩ ) .

« كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن قال : يا علي ، كُـلِ العدس فإنه مباركٌ مقدس ، وهو يُرَقِّق القلب ، ويكثر الدمعة ، وإنه بآرك عليه سبعون نبياً » . ( المحاسن : ٢ / ٥٠٤ ) .

« أطمعوا المحموم لحم القباج فإنه يقوي الساقين ويطرد الحمى طرداً » . ( الكافي : ٦ / ٣١٢ ) .

« قال لي أبو الحسن يعني الأول عليه السلام : مالي أراك مصفراً ؟ فقلت له : وعك أصابني ، فقال لي : كل اللحم فأكلته ، ثم رأني بعد جمعة وأنا على حالي مصفراً فقال لي : ألم آمرك بأكل اللحم ؟ قلت : ما أكلت غيره منذ أمرتني ، فقال : وكيف تأكله ؟ قلت : طيخاً . فقال : لا ، كله كباباً ، فأكلته ثم أرسل إليّ فدعاني بعد جمعة وإذا الدم قد عاد في وجهي فقال لي : الآن نعم » . ( الكافي : ٦ / ٣١٩ ) .

« السمك الطري يذيب الجسد ... يذيب شحم العين » . ( الكافي : ٦ / ٣٢٣ ) .

« قال شكوت إلى أبي الحسن عليه السلام قلة الولد فقال لي : استغفر الله وكل البيض بالبصل » . ( الكافي : ٦ / ٣٢٤ ) .

« كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أنه قال له : يا علي عليك بالدباء فكله فإنه يزيد في الدماغ والعقل » ( الكافي : ٦ / ٣٧١ ) ..

« ما من أحد إلا وبه عرق من الجذام فأذيبوه بأكل السلجم » . ( الكافي : ٦ / ٣٧٢ ) .

« كان دواء أمير المؤمنين عليه السلام السعتر وكان يقول : إنه يصير للمعدة خملاً كخمل القطيفة ... شكاً إليه رطوبة فأمره أن يستف السعتر على الريق » . ( الكافي : ٦ / ٣٧٥ ) .

« تمشطوا بالعاج فإن العاج يذهب بالوباء » . ( الكافي : ٦ / ٤٨٩ ) .

« كنت عند أبي الحسن الأول عليه السلام فرآني أتأوه فقال : مالك ؟ قلت : ضرسى ، فقال : لو احتجمت ، فاحتجمت فسكن فأعلمته ، فقال لي : ما تداوي الناس بشئ خير من مصة دم أو مزعة عسل ، قال قلت : جعلت فداك ما المزعة عسل ؟ قال : لعقة عسل » . ( الكافي : ٨ / ١٩٤ ، و : ٦ / ٣٣٢ )

« شكاً رجل إلى أبي الحسن عليه السلام البهق فأمره أن يطبخ الماش ويتحساه ويجعله في طعامه » . ( الكافي : ٦ / ٣٤٤ ) .

« يعرف رعافاً شديداً فدخلت على أبي الحسن عليه السلام قال : يا زياد أطعم سيفاً التفاح فأطعمته إياه فبرئ » . ( الكافي : ٦ / ٣٥٦ ) .

« الإحصاص الطري يطفئ الحرارة ويسكن الصفراء ، وإن اليابس منه يسكن الدم ويسل الداء الدوي » . ( الكافي : ٦ / ٣٥٩ ) .

« رأيت أبا الحسن يقطع الكراث بأصوله فيغسله بالماء ويأكله » . ( الكافي : ٦ / ٣٦٥ ) .

« عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : ثلاثة يتخوف منها الجنون : التغوط بين القبور ، والمشى في خف واحد ، والرجل ينام وحده » . ( الكافي : ٦ / ٥٣٤ )

« عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : عليكم بالرمان ، فإنه ليس من حبة تقع في المعدة إلا أنارت وأطفأت شيطان الوسوسة » . ( المحاسن : ٢ / ٥٤٥ ) .

« الكاظم عليه السلام قال : من فرج عن أخيه المسلم كربة ، فرج الله بها عنه كربة يوم القيامة » . ( كتاب المؤمن / ٥٠ ) .

### ٩ . من أحاديثه في البشارة بالإمام المهدي عليه السلام

« قال عليه السلام : إذا فقد الخامس من ولد السابع ، فالله الله في أديانكم لا يزيئكم أحد عنها . يا بني إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به ، إنما هي محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه ، ولو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لا تبعوه . فقلت : يا سيدي وما الخامس من ولد السابع ؟ فقال : يا بني عقولكم تضعف عن ذلك ، وأحلامكم تضيق عن حمله ، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه » . ( الإمامة والتبصرة / ١١٣ ) .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين .



## فهرس كتاب الإمام الكاظم ؑ سيد بغداد

### مقدمة

### الفصل الأول : عراقة الشيعة في بغداد

- ١ . مسجد براثا قبل بغداد بأكثر من قرن ! ..... ٧
- ٢ . مقبرة براثا ..... ١٠
- ٣ . كان سكان الكرخ شيعة قبل تأسيس بغداد ..... ١٠
- ٤ . معروف الكرخي ليس من كرخ بغداد ..... ١١
- ٥ . من تاريخ مظالم الشيعة في بغداد ..... ١٢
- ٦ . من العوائل الشيعية في بغداد ..... ١٦
- ٧ . المراسم الدينية عند الشيعة في بغداد ..... ٢١
- ٨ . منعت السلطة زيارة مشهد الكاظمين والحسين ؑ ..... ٢٧
- ٩ . أئمة أهل البيت ؑ في بغداد ..... ٢٩
- ١٠ . الإمام الجواد في بغداد ؑ ..... ٣٢
- ١١ . رسالة الإمام الهادي ؑ إلى شيعته في بغداد ..... ٣٣
- ١٢ . السفراء الأربعة البغداديون ..... ٣٥
- السفير الأول : عثمان بن سعيد العمري ؑ ..... ٣٦
- السفير الثاني : محمد بن عثمان بن سعيد العمري ؑ ..... ٣٧
- السفير الثالث : أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي ؑ ..... ٣٩
- السفير الرابع : أبو الحسن علي بن محمد السمري ؑ ..... ٤١
- ١٣ . قبور السفراء الأربعة والمؤلفات فيهم ..... ٤٢
- ١٤ . مذاهب الغلو التي كانت في بغداد ..... ٤٥

## الفصل الثاني : بحث الروايات التي وردت عن بغداد

- ١ . تسمية بغداد بالزوراء ..... ٤٩
- ٢ . رد روايات خسف بغداد وخرابها ..... ٥٣
- ٣ . أحاديث جيش السفيناني في بغداد ..... ٥٥
- ٤ . صحة الأحاديث التي تدم الجبايرة في بغداد ..... ٥٨

## الفصل الثالث : المنصور العباسي مؤسس بغداد

- ١ . شخصية المنصور وأسرته ..... ٦١
- ٢ . نقل المنصور العاصمة حتى استقر في بغداد ..... ٦٣
- ٣ . ظلم بني العباس أشهر من كفر إبليس ! ..... ٦٤
- ٤ . الثروة التي ورثها المنصور لابنه ..... ٦٧
- ٥ . كان المنصور شيعياً قبل ثورة الحسينيين ! ..... ٦٨
- ٦ . المنصور مهندس الخلافة ومهندس المذاهب ! ..... ٦٩
- الأول : تأسيس مذاهب مقابل مرجعية الإمام الصادق عليه السلام ..... ٧٠
- الثاني : إبادة العلويين حتى أطفالهم ! ..... ٧٤
- الثالث : أحيا المنصور حملة الأمويين ضد علي عليه السلام ! ..... ٨٠
- الرابع : أمر بتعظيم أبي بكر وعمر لأنهما خصوم علي عليه السلام ..... ٨١
- الخامس : تعظيم جده العباس وحصر الخلافة بأولاده ..... ٨٢
- ٧ . المنصور يحاول قتل الإمام الكاظم عليه السلام ..... ٨٤

## الفصل الرابع : الإمام الكاظم عليه السلام قديس بغداد

- ١ . شريط سيرة الامام الكاظم عليه السلام ..... ٨٩
- ٢ . اعتقاد أئمة المذاهب بالإمام الكاظم عليه السلام ..... ٩٢
- ٣ . مقتطف من تراجم أئمة علماء السنة للإمام الكاظم عليه السلام ..... ٩٣
- ٤ . الإمام الكاظم عليه السلام حامي بغداد ..... ١٠١
- ٥ . زيارة قبر الإمام الكاظم عليه السلام دواء مجرب ..... ١٠٢

### الفصل الخامس : الإمام الكاظم عليه السلام والمهدي العباسي

- ١ . أخبر الإمام عليه السلام عن قرب موت المنصور ..... ١٠٣
- ٢ . فروقات شخصية المهدي عن أبيه المنصور ..... ١٠٣
- ٣ . رووا هم أن المهدي العباسي ليس بمهدي ! ..... ١١٢
- ٤ . كان المهدي يخاف من زوجته الخيزران ! ..... ١١٤
- ٥ . لم تكن الخيزران ناصبية كزوجها وولديها ! ..... ١١٧
- ٦ . كتب الإمام الكاظم عليه السلام رسالة الى الخيزران ..... ١١٩
- ٧ . كانت علاقة الإمام الكاظم عليه السلام حسنة مع المهدي ..... ١٢١
- ٨ . وكان المهدي يحترم مقام الإمام الكاظم عليه السلام ..... ١٢٣
- ٩ . ومع ذلك أراد المهدي العباسي قتل الإمام عليه السلام ! ..... ١٢٥
- ١٠ . وأخبر عليه السلام بأنه لا يصله شر من المهدي العباسي والذي بعده ..... ١٢٨
- ١١ . قال الإمام عليه السلام للخليفة : ما بال مظلمتنا لا ترد ؟! ..... ١٢٩
- ١٢ . المهدي العباسي يختبر علم الإمام الكاظم عليه السلام ..... ١٣٢
- ١٣ . الإمام عليه السلام يأمر تلاميذه بإيقاف المناظرة في زمن المهدي ..... ١٣٣
- ١٤ . قرر المهدي أن يقتل الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً ! ..... ١٣٤

### الفصل السادس : الإمام الكاظم عليه السلام وموسى الهادي العباسي

- ١ . الخليفة موسى الهادي قصير العمر كثير الشر ..... ١٣٥
- ٢ . كان موسى الهادي مشهوراً بالفسق ! ..... ١٣٦
- ٣ . ثورة الحسين بن علي صاحب فخ على موسى الهادي ..... ١٣٧
- ٤ . موسى الهادي يقرر قتل الإمام الكاظم عليه السلام ..... ١٤٢

### الفصل السابع : خلافة هارون قاتل الإمام الكاظم عليه السلام

- ١٤٧ ..... ١ . عزله أخوه فقتلته أمه ونصبت هاروناً خليفة
- ١٥٠ ..... ٢ . الفردية المُقرطة عند هارون !
- ١٥٣ ..... ٣ . خليفة يتفنن في تقصيب المسلمين حتى آخر ساعة !
- ١٥٦ ..... ٤ . أولاده يتحسسون عليه ويستعجلون موته !
- ١٥٧ ..... ٥ . خليفة المسلمين يغني ويرقص ويشرب ويسكر !

### الفصل الثامن : وزراء هارون فيهم أبرار !

- ١٦٣ ..... ١ . البرامكة زنادقة ونواصب !
- ١٦٤ ..... ٢ . عداوة البرامكة للإمام الكاظم عليه السلام
- ١٧٠ ..... ٣ . نكبة البرامكة في أوج مجدهم !
- ١٧٤ ..... ٤ . علي بن يقطين رضي الله عنه رئيس وزراء هارون
- ١٧٥ ..... ٥ . من أخبار علي بن يقطين مع الإمام الكاظم عليه السلام
- ١٨١ ..... ٦ . جعفر بن محمد بن الأشعث رئيس وزراء هارون

### الفصل التاسع : هارون يعرف أن الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى

- ١٨٥ ..... ١ . يعرف أنه إمام رباني ويعاديه !
- ١٨٩ ..... ٢ . حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام . المرة الأولى
- ١٩٣ ..... ٣ . خلط الرواة بين أخبار حبسه عليه السلام في المرة الأولى والثانية
- ١٩٦ ..... ٤ . الإمام الكاظم عليه السلام يصارح هارون !
- ٢٠١ ..... ٥ . الإمام الكاظم عليه السلام ينسف أساس نظام العباسيين !
- ٢٠٣ ..... ٦ . حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام . المرة الثانية
- ٢٠٧ ..... ٧ . فرض عليه هارون الإقامة الجبرية في بغداد

فهرس المواضع الكتاب ..... ٣٤١

٨ . سكن الإمام علي في بغداد في بيت متواضع ..... ٢١٠

٩ . محاولات هارون الإستخفاف بالإمام علي وإهانته ..... ٢١٢

### الفصل العاشر : تصورات هارون لخطر الإمام الكاظم علي

١ . الخطر الأكبر برأي هارون على ملكه ! ..... ٢١٥

٢ . هارون يعتقد أن التعايش مع الإمام علي غير ممكن ! ..... ٢١٧

٣ . هارون يحضر مناظرات تلميذ الإمام الكاظم علي ! ..... ٢١٨

٤ . محاولات هارون قتل الإمام الكاظم علي ..... ٢٢٧

### الفصل الحادي عشر : إصرار هارون على قتل الإمام الكاظم علي

١ . حبسه في البصرة سنة ثم نقله الى بغداد ..... ٢٣٣

٢ . لماذا لم يعاقب هارون عيسى بن جعفر والفضل بن الربيع ؟ ..... ٢٣٤

٣ . لماذا غضب هارون على وزيره الفضل بن يحيى ؟ ..... ٢٣٨

٤ . العباس بن محمد الذي وكله هارون بجلد وزيره الفضل ؟ ..... ٢٤١

٥ . السندي بن شاهك رئيس شرطة هارون ..... ٢٤٣

٦ . السندي بنت شاهك خير من أخيها ! ..... ٢٤٥

٧ . سجن السندي أشد سجون الإمام الكاظم علي ..... ٢٤٥

### الفصل الثاني عشر : شهادة الإمام الكاظم علي ومراسم تشييعه

١ . أخبر الإمام علي بشهادته وأوصى بتجهيزه ..... ٢٤٧

٢ . المكان الذي استشهد فيه الإمام علي ..... ٢٥٣

٣ . إهانة هارون لجنابة الإمام علي وتكريم عمه لها ..... ٢٥٥

٤ . سليمان بن أبي جعفر عم هارون ..... ٢٥٧

٥ . صار قبر الإمام علي مزاراً ومشهداً من أول يوم ..... ٢٥٩

### الفصل الثالث عشر : هارون يقتل الإمام عليه السلام وينكر قتله !

- ١ . لما رأى هارون معجزات الإمام عليه السلام قرر قتله ! ..... ٢٦١
- ٢ . هارون يحاول إثبات براءته من دم الإمام عليه السلام ..... ٢٦٥

### الفصل الرابع عشر : بعض أخبار الامام الكاظم عليه السلام في السجن

- ١ . كان عليه السلام يشكر الله لأنه فرغه لعبادته ! ..... ٢٦٩
- ٢ . رسالة الإمام عليه السلام الى هارون الرشيد ..... ٢٧٣
- ٣ . رسالة الإمام عليه السلام الى يحيى بن خالد البرمكي ..... ٢٧٣
- ٤ . عاهرة الرشيد صارت عابدة ! ..... ٢٧٤
- ٥ . فقهاء السلطة يزورون الإمام عليه السلام في السجن ..... ٢٧٥
- ٦ . كان عليه السلام يجيب من السجن على بعض الرسائل ..... ٢٧٧
- ٧ . غلام السندي بن شاهك يتشيع ! ..... ٢٨٠
- ٨ . كان الإمام عليه السلام يخرج من السجن بنحو الإعجاز ..... ٢٨٢

### الفصل الخامس عشر : الإمام الكاظم عليه السلام وعلماء النصارى

- ١ . إسلام الراهب بُرَيْهَةَ على يده عليه السلام ..... ٢٨٥
- ٢ . إسلام راهب آخر قصد الإمام عليه السلام من الشام ..... ٢٩٠

### الفصل السادس عشر : آيات الإمام الكاظم عليه السلام من طفولته

- ١ . كان أبوه الإمام الصادق عليه السلام يحدثه وهو في المهدي ! ..... ٢٩٥
- ٢ . كان عليه السلام صبياً وأفحم أبا حنيفة ! ..... ٢٩٥
- ٣ . حديث الإمام الكاظم عليه السلام في معجزات النبي صلى الله عليه وآله ..... ٢٩٦

### الفصل السابع عشر : أشعة من أحاديث الامام الكاظم عليه السلام

- ١ . حديث الإمام عليه السلام في مكانة العقل وأهمية التعقل ..... ٣٠٧
- ٢ . من أحاديثه عليه السلام في توحيد الله تعالى ومعرفته ..... ٣١٤
- ٣ . من أحاديثه عليه السلام في النبوة ..... ٣١٩
- ٤ . من أحاديثه عليه السلام في الإمامة ..... ٣٢١
- ٥ . من أحاديثه عليه السلام الفقهية ..... ٣٢٦
- ٦ . من أحاديثه عليه السلام في الأدعية والأذكار ..... ٣٢٩
- ٧ . من أحاديثه عليه السلام في الآداب والتربية ..... ٣٣٠
- ٨ . من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام الطبية ..... ٣٣٤
- ٩ . من أحاديثه في البشارة بالإمام المهدي عليه السلام ..... ٣٣٦

\* \*